==========

مذكرات قرية فلسطينية

"السموعي"

طبعة أولى منقحة

Memories of a Palestinian Village

مصلح أشــقر

==========

الكتاب: مذكرات قرية فلسطينية

الكاتب: مصلح عبد القادر أشقر

الطبعة الأولى : كانون الثاني (يناير) 2008.

الطبعة الثانية : أيار (مايو) 2008

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الناشر: دار الشجرة للنشر والتوزيع

دمشق ❍ 6320775

تلفاكس: 6347030 ص.ب: 34413

www.al-shajara.info

E-mail: gshjra@ scs-net .org

التصميم والإخراج الفني:

أحمـــــــــد شـــــــــهابي

إعداد وإخراج المخططات والصور:

أغيد محمد خير أشقر

رقم موافقة وزارة الإعلام: 2007/7/23

96046

==========

Memories of

a Palestinian Village

By: Moslih Achkar

مذكرات قرية فلسطينية
مصلح أشقر

Marji'yun
UNDOF Zone
Tyre
Dirylat Shemona
Al Qunaytirah
GOLAN HEIGHTS (Israeli occupied)
Nahariyya
'Akko
Haifa
NORTHERN
SYRIA
Tiberias
Lake Tiberias
HAIFA
Nazareth
Irbid
Dar'a
Bosrá ash Shám
Hadera
Jenin
Netanya
Tulkarm
Al Mafraq
Jarash
CENTRAL
Nabolus
WEST BANK
Herzliyya
Az Zarqa'
Yafo
Bat Yam
Ram Allah
Amman
Rehovot
Ramla
Ashdod
Jericho
Jerusalem
Mādabā
JERUSALEM
Ashqelon
Bethlehem
Qiryat Gat
GAZA STRIP
Gaza
Hebron
Khān Yunis
Beersheba
Al Qaṭrānah
SOUTHERN
Al Karak
Dimona
Zefa'
Aş Şafi
JORDAN
NEGEV
Bi'r Lahfān
Abū 'Ujaylah
Zin
'Ayn al Quşaymah
Mitzpe Ramon
Al Jafr
Ma'an
EGYPT
SINAI
Al Kuntillah
Ra's an Naqb
An Nakhl
Yotvata
Eilat
Tabā
Al 'Aqabah
Gulf of Aqaba
Al Mudawwarah

فلسطين 1948

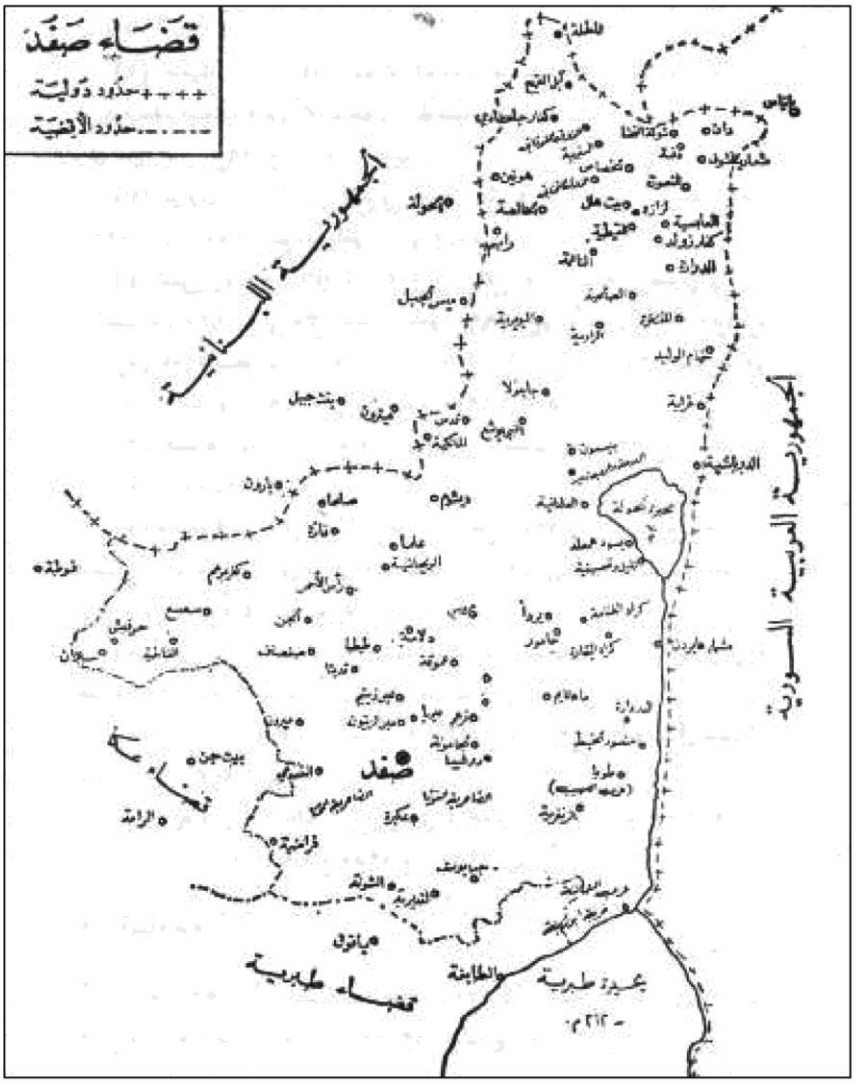
قضاء صفد
حدود دولية
حدود الأقضية
الجمهورية اللبنانية
الجمهورية العربية السورية
صفد
قضاء طبرية
بحيرة طبرية

قرى قضاء صفد

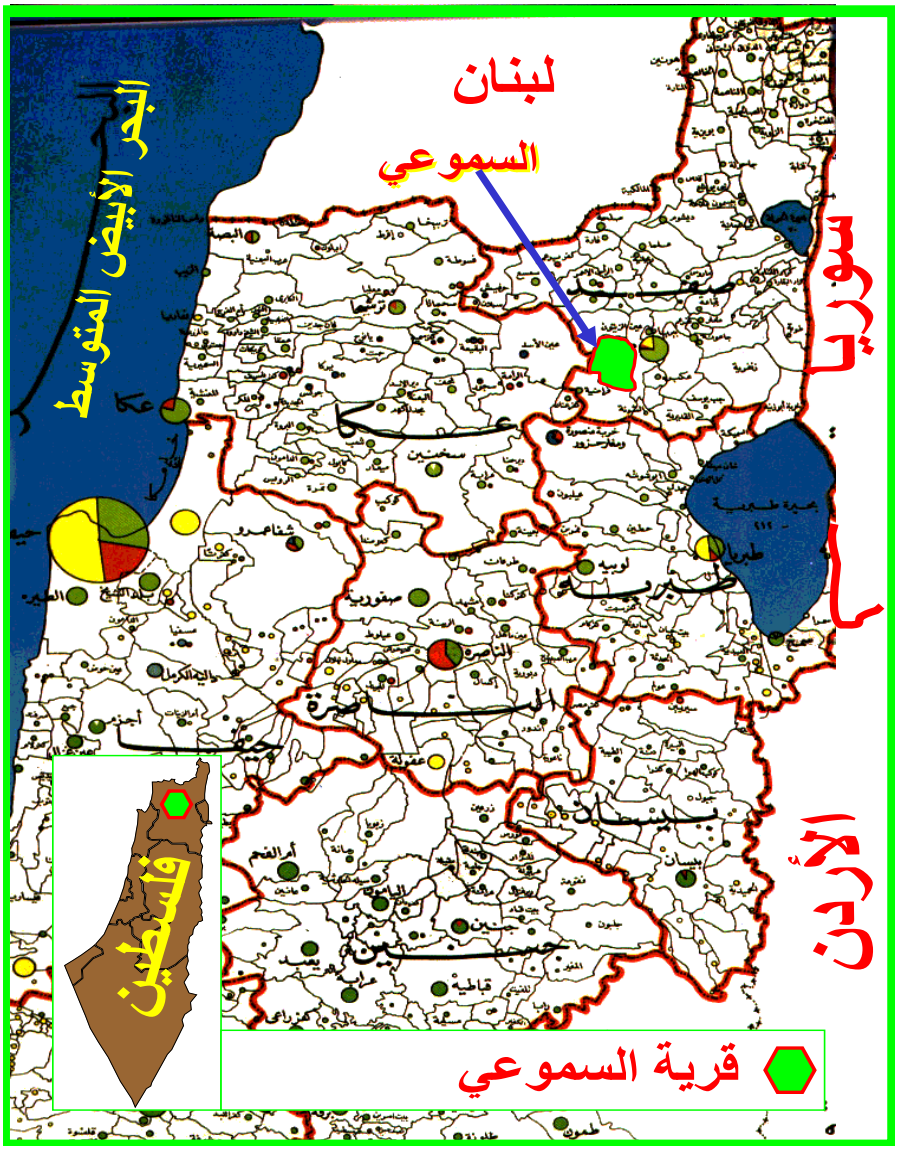
لبنان
السموعي
البحر الأبيض المتوسط
سوريا
الأردن
فلسطين
قرية السموعي

==========

بسم الله الرحمن الرحيم

مذكرات قرية فلسطينية

Memories of Palestinian village

1* الافتتاحية

. صالح أشقر (أبو جاد) **12**

2* الإهداء **14**

3*أحاسيس أبناء النكبة . من الجيل الأول . من ولد بعيداً عن الوطن **16**

. وسيم أشقر

. نبيل أشقر

. أغيد أشقر

4* شكر وثناء . من السموعي **20**

5* فلسطين في التاريخ **22**

6* السموعي **29**

7* كهوف القرية **33**

8* الغابات والمزروعات **34**

9* حدود قرية السموعي **36**

10* سيرين **38**

11* أراضي السموعي بين 1944، 1945 ..... **42**

12* رحلة العذاب **47**

13* حكاية جبل الأربعين **49**

14* القرية بين الحقيقة والخيال **51**

15*صفحات من المقاومة المشرقة **55**

16* معركة الديدبة **57**

17* مذكرات قرية فلسطينية **62**

18* أحلام قرية فلسطينية **64**

19* نصائح القرية لأبنائها **68**

20* عين من دمشق على قريتي **71**

21*الفلامينكو وأبناء قريتي **73**

22*طال المشوار في حصاد الأفكار **78**

==========

23* حصاد قبل أن يتناثر العقد أباديدا 82
24* عائلة محمود سليم الوحيدة التي بقيت في فلسطين 86
25* مخيم نهر البارد إلى أين..؟! 93
26* أصحاب منازل.. عروسة المنازل 97
27* ألا إنّا وردنا الينابيع الصافية 99
28* وسالت لنا على البطحاء دماء 101
29* بيادرنا ممالك لنا 106
30* هل تعود الطيور المهاجرة لكرومها 109
31* الدندانه والوطن 112
32* بساتين في مهب الريح 115
33* بساتين قريتي بحاجة إلى ترجمان 117
34* آخر شحطة 120
35* تجربة رائدة 122
36* الجذور والكعكبان 124
37* البرجاوي. 127
38* المبيّض 130

* الأفراح:

39* أفراح قريتنا مواعيد مع اللقاء 132
40* زغاريد رنت في قريتنا (نموذج) 135

*الأطفال :

41* أحلام طفل من السموعي 138
42* ألعاب أطفال السموعي، ما زالت بالذاكرة 141
43* أناشيد للأطفال لم تقع تحت الاحتلال 151
44*أناشيد لم تصادر كما صادروا أراضينا 154

* من حكايا الأطفال: (سمر العجائز)

45* الكلب سمور 157
46* وفاء الكلب حمور 159
47* المتحدي المجهول 161
48* التحدي في جورة النحلة 162
بقلم فايز أشقر(أبو أسامة)
رشيد الحاج (أبو سمير)

* كوميديا:

49* كوميديا على موقف البوصطة 165
50* كوميديا في كتاب القرية 167

==========

الافتتاحية

السموعي: تلك القرية الوادعة الواقعة على سفح تلة على طريق صفد . حيفا. فإذا ما أسعفتك الفرصة، وكنت هناك على تلك الرابية وسرحت بنظرك نحو الشرق فإنك ستملأ عينيك بمنظر مدينة صفد، وجبل كنعان، وهضبة الجولان السورية الرائعة الجمال وإن نظرت شمالاً سترى جبال لبنان الشماء، وأما جبل الشيخ، حيث يعلو قمته الشامخة الثلج على مدار العام. وإذا ما نظرت غرباً، فسترى جبل الزبود، وجبل الجرمق، أعلا جبال فلسطين، وأن نظرت جنوباً فسترى جبل الأربعين، وبحيرة طبريا.

اشتهرت القرية ببساتين غناء من أشجار الفواكه المتعددة الأصناف، وحولها كروم التين واللوز والصبر وفي الحقول تنتصب معمرة أشجار الزيتون تساهرها ليلاً وتقيل معها نهاراً أشجار الخروب أما حقولها فقد زرعت بالقمح والشعير والعدس والكرسنة والذرة البيضاء، والفول، والحلبة، والسمسم، إلا أن المحصول المربح الخاضع لتصدير كان محصول الدخان وساهم مدخوله في إعادة البناء وتحديث المنازل والعمران. فالبناء من الحجر والطين بدأ يندحر يوماً بعد يوم ليحل محله الحجر الأبيض المنسق مع الأسمنت والرمل والحديد ومع هذا التطور في البناء بدأ تجميل القرية المرغوب.

كان مولد الكاتب مصلح أشقر في مستشفى صفد، وعاش جزءاً من طفولته في السموعي مسقط رأس جميع أفراد عائلته، إلى أن أرغم وأهل القرية على مغادرتها قصراً فرحل عنها مع الراحلين وها هو يختزن انطباعات وانطباعات عن طفولته في القرية، إنها طفولة البراءة، أحب القرية ورحلت ذكرياتها معه فلم تفارق ذاكرته وإن جارت عليه القرية، وآلمته حرقة الفراق، أو لذة الحياة في عالم آخر ومن هذه المودة العارمة لقرية السموعي أراد أن يذكر الأجيال، التي تعقد عليها الآمال بقرية السموعي الجميلة، وأهلها الجادون في العمل اليومي ليوفر لهم الراحة والسعادة والطمأنينة.

لم يكتف الكاتب بتسجيلاته الشخصية عن القرية الزهراء بل طاف يسعى لمقابلة من تقدموه سناً من أهل القرية، ليصور لنا أنواع من العادات والطقوس والحكايات، والألعاب والأطعمة الشعبية. لقد حقق الكاتب غايته في إظهار صورة، لا غبار عليها، عن تلك القرية بطبيعتها الغناء الآمنة

بأهلها البسطاء، والآن يهديها أمانة للأجيال القادمة للحفاظ عليها، والرجوع إلى بساتينها الجميلة وطبيعتها البديعة ومائها العذب وأرضها الطيبة المعطاء فالحق لن يضيع ما دام هناك مطالب يذكر به ويسعى إليه.

ولما دعت روح العروبة لدعوة أهل الجزائر من خلال البعثة العربية السورية لتعليم بها لبى النداء وآزار الأشقاء لإعادة وجه العروبة للجزائر فدرس العربية بها، فهب لتلبية دعوة الداعي فشد الرحال إلى هناك ليقضي شطراً من حياته بها في خدمة أبنائها. وقد سنحت الفرصة للكاتب بأن يجول ببعض بلدان البحر المتوسط فامتلأت جعبته بمكاسب اجتماعية وفنية تتفاوت بين جمال طبيعتها وجمال طبيعة قريته التي أغرقته في وصف طبيعتها الغناء وأرضها المعطاء التي فازت بكل مقارنة فالحب لها صادق مهما مر الزمن واشتدت المعضلات.

فلله درك يا مصلح....! سر على دربك والله الموفق.

صالح عبد القادر أشقر (أبو جاد)

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

. ستون عاماً من الشتات ونختصرها في هذا الكتاب.. إنها رحلة عبر المجهول، بدون تذاكر تدون ما جرى لنا.. من خلال شريط الذكرى... نعرضه على شاشة من رمال متحركة.

** إن التاريخ هو السعي إلى إدراك الماضي البشري، خلال عقود سلفت فإذا ما ضاعت الأصول يوماً يضيع تاريخ تلك الأمة وينطوي وراء غبار الحياة فكم من حضارات أفلت، وأخرى أشرقت. وثالثة اندثرت، ورابعة أطلت.*

** إن التاريخ بحق هو ذاكرة الشعوب فكيف نحمي ذاكرتنا وما هو السبيل إلى ذلك.*

** فما أجمل أن نعانق تاريخنا من جديد، ليكون منارة لأجيال قادمة. فلن يضيع تاريخ وراءه أمة تنبض بالحياة تؤثر وتتأثر تعانق وتعانق. لا ولن يضيع حق وراءه مطالب. وأحفادي هم منائر من بعدي سيحملون الأمانة كما حمل الأوائل الرسالة. فكانت فلسطين حكاياتي لهم في الأهازيج والأوزان إذا ضاق بالعرب زمان من الجيل الأول بعد نكبة **1948**.*

==========

ويهدى الكِتابُ

. إلى أهلنا في المنفى والاغتراب، حيثما هم تحت سماوات الدنيا فهذا لاجئ وذاك منفي وآخر مهاجر يقطع البحار والمحيطات، وإلى الذين تواجدوا في القارات الخمس، والذين حملوا قرية السموعي في قلوبهم نبض الذكرى .

. وإلى الجيل الثاني والثالث وهم من سمع عن فلسطين حكايا الآباء والأجداد... ويشدهم إلى مرابعها في كل يوم حنين، لا لأنها أرض الآباء والأجداد بل لأنهم ولدوا في المنافي والمهاجر. وعلى أبواب العودة ينتظرون وطال بهم الانتظار، يسمعون عنها ولا يعرفونها لأنهم ولدوا في المخيمات، وعيونهم ترحل إليها، وآذانهم تسمع عنها فيصغون، وقلوبهم تخفق حباً لها.. سعداء بها أشقياء غرباء بعيدين عنها.

. وإلى كل محب كان مسقط رأسه في السموعي الزهراء عروس المنازل فلها في القلب منازل.

. إلى هؤلاء الذين كانوا عظاماً، فأصبحوا عظاماً...بين لآلئ من قرى لواء الجليل واحدة من الأسيرات (93) قرية فهل يرد الأسير لأهله..!؟

وهل بينكم من يفكُ أسرها، ويصدح للدنيا بأخبارها. أما الآباء والأجداد فمنهم من قضى وفي قلبه حسرة لأنه لم يعد، فأوصى بعودة رفاته إليها مات بعيداً عن الوطن وفي حلقة غصة. خدرونا وقالوا لم يبق للعودة إلا قليلاً ومن أبناء بلدي من بات ينتظر وفي قلبه حرقه وعلى فمه كلمة... وهذه هي كلمتنا إليكم أحفادنا اللهم أشهد.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مع تحيات الجيل الأول

==========

أحاسيس أبناء الجيل الأول في المهجر

. إيه يا فلسطين يا جرساً يدق في آذاني صباح مساء.

ـ ويا أغنية على لساني، ملأت قلبي أحاسيس ومشاعر، ويا قصيدة تعثر القلم من رسم كلماتها، وأخفق القلب من العزف على أوتارها.

ـ يا لها من قرية أخفقت قيثارة العمر من العزف على أوتارها ، فما أصعب أن تعيش في مواطن الجمال لتعبر عن الجمال، بأوتار الحقيقة.

. قريتي يا لغزاً نصب الحيرة في فكه للمفكرين..!

. إيه يا جرس العمر لقد ملأت آذاني طرباً، وإلى العودة شوقاً.

. فلسطين جسم لذلك الجرس... وكتلته هي قريتي.. قرية السموعي، بلواء الجليل.

. أيا حقوق الإنسانية خبريني كيف أصغي إلى هذا الجرس، جرس عودتي، إذا غاب الجسم، وتهشمت كتلة الجرس فصارت قريتي رمساً...

. ثم جاء كتاب مذكرات قرية فلسطينية فأيقظ في خاطري حقاً بالعودة إليها.

. رن ... رن يا جرس، فمن يصغي لحقنا...؟

. فكانت هذه الدراما الجرس الذي أيقظ الجميع... ورسم لنا طريق العودة.

أنه جرس الحنين إلى فلسطين.

وسيم مصلح أشقر

==========

. سموعتي.. أيا أغنية أصغي إليها صباح مساء... فملأت مشاعري طرباً من عبرة ودرس فإذا ما نمت نامت معي على مخدتي، لا تفارقني، إنها مخدة الشوق إليها إذا ما تعبت من مشاغل الحياة، جعلت من قريتي مخدة، أستريح على حكايا أمي وأبي عنها.

. فلسطين يا أغنية تعلمتها من حكايا ملأت قلبي أحاسيس شوق إلى رؤيتها... ولما قرأت كتاب مذكرات قرية فلسطينية أناب عن حكايا جدتي. فكانت سلواي في غربتي.

ـ سموعتي يا أغنية نمت بقلبي وعلمتني حب الوطن، سافرت معي إلى المهجر البعيد إذا ما عصفت بقلبي هموم الحياة أصغيت إليها.

. سموعتي يا أغنية العمر نمت بنفسي مع أغاني فيروز.

ـ قريتي يا قصيدة شعر عربية نمت بنفسي وعلمتني كما تعلمت من قصائد إبراهيم طوقان ومحمود درويش ونزار قباني في حب الوطن.

. ثم جاءت مذكرات قرية فلسطينية فأعادت لي الأحداث كما كانت لوحة من الدراما الفلسطينية بأسلوب من النثر العربي ، فكانت عقداً من فخار زين جيد قوافل العائدين إلى قرية فلسطينية .

. إنها أحاسيس طفل سمع عن فلسطين بعد أن ولد في الشتات أنا نبيل مصلح أشقر.

. تصفحت كتاب مذكرات قرية فلسطينية .. ثم عدت لأقرأ الكتاب من جديد قراءة عميقة. وفي كل مرة تعلمت شيئاً جديداً.

نبيل مصلح أشقر

==========

عن هذه القرية تساءلت كيف أعاد الكاتب صورة لهذا الماضي ورسم الأحداث بحذافيرها فجعلني وكأني أعيش الحدث وقد سمعت عنه عندما كنت صغيراً فعايشته مع كل عودة للقراءة. فعرفت أن الكاتب جمع ألوان ريشته من مصادر متعددة. مما تعيه ذاكرته كطفل ولد في السموعي وغادرها مشياً على الأقدام حيناً وراكباً حيناً آخر إذا سَمَحَتْ له ولغيره من الصغار الظروف ثم تحملت وإياه مشقة السفر لجمع المعلومات من مصادر ثقة من رجال ونساء عاشوا النكبة فجمعنا منهم ألوان لوحَتنا إنها الحقيقة من أفواه من كانوا كباراً وعاشوا مع الأحداث وراحت ريشة الكاتب ترسم ألوان لوحته حتى أصبحت هذه الفكرة فكرة تأليف الكتاب قبل أن تضيع ذاكرة الزمن عملاً واقعاً.

. كتاب بحق ترك في نفسي أحاسيس شدتني إلى الوطن. وتمنيت أن أركب جناح الشوق لمشاهدته والعودة إليه لأنهه حق مشروع لنا ولا ينكره إلا من طمع بضم أرضنا إليه وَجَحَدَ بحقنا.

سموعتي .. إنها قرية الأحلام جمالاً أبت إلا أن تجلس في أحضان طبيعة غناء فقدمها الكاتب لنا على طبق من الأفكار وقد شدني في الكتاب ألعاب الأطفال وحكاياهم فتمنيت أن أعود طفلاً فأعود إلى فلسطين.. وتعلمت من مضافة المختار رجاحة العقل في صحبة الكبار وتناول القهوة السادة، وتعلمت منهم لبس القمباز والحطة والعقال وتعلمت من الحقل حب العمل، وتعلمت من البيدر مواعيد الدرس وكل نشاط رياضي.

ومن الكرم تعلمت الحلم والصبر فعلمني حزام الصبر الدفاع عن الوطن والحياض... وتعلمت من بساتين جدي حب الزراعة. ومن الدندانة حب الوطن.

وها أنا اليوم أهدي كلماتي إلى قريتي التي عشت لحظات مشرقة من عمري معها، ولم أرها. يا لها من أحاديث سمعتها عنها عاشت في ذاكرتي أعيش مع عطر ذكرياتها أتمنى أن أرتوي من مائها ولكني لم أشربه، ولم تكتحل عيناي بمشهدها لكنها تعيش في ذاكرتي. وجاء هذا الكتاب فجعلني وكأني أراها وأعيش مع ذكراها، ولكن لم ترمقها عيناي قريتي ها أنا سائر على دربها من خلال ذكريات جدي وأعماله التي سمعتها منه ونقشت في ذاكرتي وجعلتني أسير في دروبها فأشم أزهارها وأعجب بفاكهتها. وكلما مرت سنوات تكبر قريتي في ذاكرتي فأتوق إلى هوائها المنعش، وفي كل عقد هجرة تتبعها غربة إلى أقاصي الأرض، أطرب بالاستماع إلى من عاشوا في قريتي عندما يقدمون لنا نحن الذين ولدنا بعيداً عن فلسطين حكاياها ورشفت من أحاديثهم تاريخي وحفرته في عقلي سأرويه لأبنائي حديثي عنها لا يغادر شفتي، ورؤيتي لها لا تفارق نظري أنظر إليها من خلال ما جاء في هذا الكتاب فأراها في عمري ومستقبلي فلن أنساها لأنها هويتي أقرأ عنها هنا فأشعر كأني ولدت بها وأحبها إلى أبد الآبدين لأن قريتي نبع الرجولة والكرم، وقد استشهد على ثراها.

رضا أشقر، وعلي سليم، وعبد الله الصرصور، وتركي قدورة وكم أتمنى أن أراها وأعيش بها قبل أن يغرب نجمي، فإن لم أجد لي فيها موطئ قدم فهل لي أن أعيش في أحدى مغاورها بمغارة العبدة، أو لاحق، أو الجوق، أو نابل، وعلّي بها أعيد ترتيب أشواقي إليها، أشتاق إلى أحاديث الكبار عنها.

* والهدة في قريتي الشروع بالحصاد قطعة قطعة في قريتنا أو عزبة سيرين وبها الحاضر يعلم الغائب عن موعد الحصاد مكاناً وزماناً.

وهي من صور التعاون أثناء الحصاد اليدوي بالمناجل التي أعيد جلخها قبل موسم الحصاد والحصاد الماهر يكون في مقدمة الحصادين فيقول مداعباً من تأخر عن اللحاق بما هم بالمقدمة ألا أني أحس ورائي خرفشة.. ولست أدري...! أهي من فار أم خنفسة..

فكم من درس تعلمته من هذا الكتاب... أنا.

أغيد محمد خير أشقر

==========

شكر وثناء

قريتي قصيدة شعر... تأخرنا في نظمها.. فطال وقوفنا على أطلالها ولكن أن تصل متأخراً خير من أن لا تصل أبداً فمنها شكر وثناء إلى واضعي هذا الكتاب ولكل من ساهم في إعداده ليصبح في أيدي الأجيال من القراء.

فكرةً، وحقائق تاريخية، وموقعاً، وأملاكاً، ومنازلاً. وحياةً اجتماعية واقتصادية، ونشاطات رياضية وثقافية للكبير والصغير.فكان عملاً رائعاً، ومدماكاً في صرح هذا الجدار، الذي لا يدانيه جدار من الجيل الأول المهجرين عن فلسطين: إلى الجيلين الثاني. والثالث من الأبناء والأحفاد، أينما هم متواجدون في المخيمات بفلسطين وحولها وفي أصقاع الدنيا بالمهاجر، والشتات.

فتبقى فلسطين في قائمة الذكريات، وحلقة في الأذن، وأغنية على كل لسان. وقصيدة أخذنا حروفها من لغة الضاد وأوزان حبها من حروف جمعها العرب في لمعت سيوفنا، فكانت قرية السموعي واسطة العقد بين قرى لواء الجليل فاستحقت منا كل جميل.

***ويخص الكتاب بالشكر والتقدير لهذا العمل الجماعي الرائع.**

==========

ونشكر كل من قدم من معلومات

وإحصائيات وخرائط وصور

من جميع البلدان على هذه المعمورة

وساهموا في هذا العمل المؤرخ

لقريتنا الحبيبة السموعي، ليرى هذا الكتاب النور . .

شكراً، وجزاكم الله خيراً 2007/02/13

فلسطين عبر التاريخ [1]

نحاول في هذه المقدمة إبراز الخطوط العامة لما كانت عليه فلسطين منذ أن استوطنها الإنسان. ولكننا لن ندخل في التفاصيل الأثرية والتاريخية التي لها موضع آخر غير هذه الدراسة، ومن ثم، فإننا نقسم هذه الفترة إلى أربعة أقسام هي:

أولاً ـ فلسطين في العصور القديمة.

ثانياً ـ فلسطين في عصري اليونان والرومان.

ثالثاً ـ فلسطين في العصر الإسلامي العربي.

رابعاً ـ فلسطين في العصر الحاضر.

أولاً ـ فلسطين في العصور القديمة:

1. البدايات:

(أ) أقدم إنسان في فلسطين: وجدت أقدم بقايا أثرية بشرية في فلسطين في رسوبيات تكوين عرق الأحمر (Erk el Ahmar) الواقعة في غور الأردن جنوب غرب مصب نهر اليرموك في نهر الأردن. وكذلك في وادي شقمة وهي أدوات حجرية صغيرة وأدوات للقطع (Chopping Tools) وعظمة كبيرة لجمل أو زرافة. ويرجع عمرها إلى عصر غنز (Gunz)، أي عصر أول جليدية حلت بالأرض في عصر البلايستوسين، ويتراوح عمر هذا التكوين بين 1.7 . 1.4 مليون سنة قبل الآن. وقد وجدت بقايا بشرية لها نفس العمر في الشريعة جنوب حماة، وفي منطقة الرستن بين حمص وحماة في سوريا. وقد دعا هورز (Hours) هذه الصناعة شبه أشولية (Para – Acheulian).

---

(1) الموسوعة الفلسطينية . الدراسات الخاصة

(ب) الصناعة الأشولية: ازدادت بقايا الإنسان، ووجدت في مواقع كثيرة من فلسطين، حيث ظهرت صناعة الفؤوس الممثلة للصناعة الأشولية المتوسطة والعليا من العصر الحجري القديم. ومن أماكن وجودها المشهورة بقايا إنسان جسر بنات يعقوب بين طبرية والحولة، وبرعم في الجليل، وأم قطفة في منقطة القدس، وكهف طابون في الجليل، والأحداث من هذه جميعاً بقايا إنسان يبرود في سوريا ومثيلاته في فلسطين. ويبدو أن إنسان هذه الفترة استعمل النار لأول مرة. وقد وجد ذلك في كهف أم قطفة قبل 100.000 سنة من الآن، وتنتهي هذه الفترة قبل حوالي 70 ألف سنة، أي عند بداية عصر فورم (Wurm) البارد.

(ج) الصناعة المستيرية (Mousterian): كانت هذه الصناعة تابعة للعصر الحجري القديم الأوسط. وقد امتدت بين 70 ألف سنة إلى 40 ألف سنة قبل الآن. وهي صناعة الرقائق (Flakes)، وتتمثل في فلسطين في أماكن عديدة مثل كهف طابون وكهف أم السخول وكبارا في الكرمل، وموقع عبده في النقب... أما العصر الحجري القديم الأعلى فقد سادت فيه صناعة الشفرات (Blades)، ووجدت في كهفي قفزة وكبارا وتمتد في الزمان بين 40 ألف سنة و18 ألفاً من الآن تقريباً.

(د) العصران الحجريان المتوسط والحديث: أعقب فترة العصر الحجري القديم الطويلة فترة العصرين الحجري المتوسط والحجري الحديث (18 ألف سنة . 4 آلاف قبل الآن) وأشهر ما يميز هذه الفترة هي حضارة الكباريين (نسبة إلى كهف كبارا) وحضارة النطوفيين (نسبة إلى سهل النطوف في الجليل). وكان الإنسان في هذه الفترة لا يزال يستعمل الأدوات الحجرية الصوانية والبازلتية كالأدوات الهلالية والمناجل والجواريش البازلتية. وفي هذا العصر وجدت أول مساكن دائمة من صنع الإنسان هي أريحا (9300 . 8300 ق.م تقريباً) وفي هذه الفترة أيضاً (10.300 سنة قبل الآن) نشأت الزراعة لأول مرة، ولعل سبب ذلك تحول المناخ البارد المطير في نهاية عصر فورم إلى المناخ الجاف الحالي.

2. عصر التحضر (4000 . 325 ق.م):

(أ) قامت هجرات لأقوام عربية متعددة من جزيرة العرب سكنت فلسطين وما جاورها من البلاد واستوطنتها. وأشهر هذه الأقوام الكنعانيون والعموريون والفينيقيون والآراميون، وقد أقام هؤلاء الأقوام حضارات ومنهم، خاصة، الكنعانيون والفينيقيون. فاخترع الكنعانيون الكتابة وأقاموا المدن الكثيرة في فلسطين وسموها بأسمائهم التي ما زالت إرثاً حتى الآن.

ونشر الفينيقيون العلم والمعرفة والصناعة في بلاد اليونان وباختصار فإن هذه الأقوام قد أصبحت مادة الشعب باستمرار في فلسطين وما جاورها من بلاد.

(ب) غزت فلسطين والمناطق المجاورة مجموعات عرقية مختلفة، استطاعت أن تسود في بعض الأماكن وفي بعض الأحيان. لكنهم ما كانوا يقيمون في الأرض بعد الحروب الطاحنة والمتعاقبة حتى يطردوا منها آخر الأمر وتنتهي صلتهم بها وتعود البلاد إلى صفتها الأصلية حسب نوع الأقوام العرب الذين ذكرناهم في النقطة السابقة. ومن هؤلاء الهكسوس (1750 . 1500 ق.م) الذين حكموا فلسطين قرابة 200 عام ثم اندثروا، والفلسطينيون الذين غزوا جنوب فلسطين عندما خرجوا منابتهم في بحر إيجة وصقلية حوالي 1184 ق.م. وكذلك العبرانيون الذين غزوا فلسطين من الشرق في نفس فترة مجيء الفلسطينيين. ودارت بينهما معارك طاحنة دامت ردحاً من الزمان. وبقي المحتلان في فلسطين حتى طردا منها عن طريق القوتين الكبريين في العراق ومصر.

(ج) تكونت في مصر والعراق دولتان مركزيتان قويتان، وكانت فلسطين في هذه الفترة تخضع في كثير من الأحيان لإحدى هاتين الدولتين، فهي محكومة بالفراعنة في مصر أو بالكلدانيين أو البابليين أو الآشوريين أو الفرس في العراق حسب قوة هذه الدولة أو تلك. غير أن مادة الشعب بقيت في كل الأوقات واحدة أو أكثر من الأقوام العربية السابقة للذكر.

ثانياً ـ فلسطين في عصري اليونان والرومان:

قسمت فلسطين والمناطق المجاورة لها في فترة حكم الرومان إلى أربع مقاطعات إدارية:

1. **فلسطين الأولى:** وتشمل ديار نابلس والقدس والخليل والسهل الساحلي حتى رفح وعاصمتها قيسارية.

2. **فلسطين الثانية:** وتشمل الجليل وأم قيس في الأردن وطبرية وعاصمتها بيسان.

3. **فلسطين الثالثة:** وتشمل بلاد الأنباط وبئر السبع وعاصمتها البتراء.

4. **فلسطين الرابعة أو فينيقيا الأولى:** وتشمل حيفا وعكا وصور وصيدا وبيروت وطرابلس في لبنان، وعاصمتها صور.

==========

ثالثاً ـ فلسطين في العصر الإسلامي العربي:

دخلت فلسطين في دولة الخلافة الإسلامية مع بلاد الشام بعد معركة اليرموك سنة 13هـ /634م. ثم صولح على إيلياء (القدس) 15هـ/636 م، وبقيت فلسطين تحت ظل دولة الخلافة الإسلامية حتى عام 1918 بغض النظر عن مركز الخلافة أو من يكون الخليفة أموياً أو عباسياً أو عثمانياً، ولم ينقطع هذا الوضع إلى أثناء الغزو الصليبي لبلاد الشام، إذ استطاع الصليبيون الأوروبيون أن ينشئوا لهم مملكة في فلسطين وجزء من جنوب لبنان وجزئ من غرب الأردن بين عامي 492 . 583هـ/1099 . 1187م. وبعد أن أزيلت هذه المملكة على يد صلاح الدين الأيوبي استطاع الغازون أن يقيموا مملكة صغيرة لهم في عكا وما جاورها من بلدان الساحل بين عامي 587 . 690هـ /1191 . 1291م.

وفي بدايات هذه الفترة قسمت فلسطين وما جاورها، خاصة الأردن، إلى جند فلسطين وجند الأردن، وعلى الرغم من عدم الوضوح في حدودهما، فإن الراجح عندي هو أن الحد بينهما كان في اتجاه شرق غرب تقريباً. فيبدأ من شمال قيسارية في الغرب على البحر المتوسط ماراً باللجون ثم يقسم من نهر الزرقاء ثم يستمر الحد مع هذا النهر تقريباً. ومن ثم يكون جند الأردن مكوناً من الأراضي شمال هذا الخط ويضم مدن جرش وإربد وأم قيس وفحل وبيسان وطبرية وعكا وصور والجولان. وعليه فإن لجند الأردن ساحلاً على البحر المتوسط يمتد من جنوب حيفا حتى شمال صور.

أما جند فلسطين فيقع جنوب ذلك الخط ويشمل البلقاء وعمان والشوبك وزغر (غور الصافي)، وجميعها شرقي نهر الأردن، وأريحا وإيلياء (القدس) والرملة وقيسارية وغزة وعسقلان وبيت جبرين ويافا، وقد كانت الديار النابلسية الجنوبية في هذا الجند ومنها نابلس. وقد نقل المؤرخ لي سترانج عن الاصطخري وابن حوقل أن جبال آدوم والشراة حتة إيلة (قرب العقبة) تتبع جند فلسطين. وقد قسم الجغرافيون القدامى شبه جزيرة سيناء إلى قسمين: شمالي أسموه إقليم الجفار وجنوبي جبلي هوالتيه. وهي بالنسبة لهم واقعة بين مصر وبلاد الشام.

وقد ألحقها كثير منهم بجند فلسطين وكتب الدمشقي عن الأقاليم الصحراوية من التيه قائلاً: «من المدن الواقعة فيه قدس وحويرق والخلصة والخلوص والسبع والمدرة» ونلاحظ أن السبع والخلصة تقعان الآن في فلسطين الجنوبية. ويبدو أن عدم وجود الخرائط المصورة الواضحة الحدود

وخضوع المنطقتين إلى دولة واحدة هي دولة الخلافة قد أديا إلى عدم وضوح الحد الفاصل بين جند الأردن وفلسطين من جهة وجند فلسطين ومصر من جهة أخرى.

أما سكان فلسطين في أوائل هذه الفترة، أي عند بدء الفتح الإسلامي، فكانوا في الجنوب والجنوب الشرقي قبائل من لخم وجذام وقضاعة، وفي الشمال والشرق وحوران كلب والغساسنة. ثم جاءت كندة مع الفتح الإسلامي وكذلك قبائل الأشعريين والأوس والخزرج وزبيد وطيء والأزد وبلي وبهراء وجهينة وقيس وكنانة. أما أواسط فلسطين وسواحلها ومدنها الكبرى فكان فيها الآراميون والنصارى من عرب وغير عرب وبعض اليهود والسمرة (بقايا يهود لا يزالون يعيشون في منطقة نابلس) وبقايا يونان ورومان وفرس. وفي خلافة الراشدين والأمويين دخل كثير من هذه القبائل المد وتطور وجودها فيها.

رابعاً ـ فلسطين في العصر الحاضر:

تبدأ هذه الفترة بسقوط دولة الخلافة العثمانية مع انتهاء الحرب العالمية الأولى عام 1918 التي جاست فيها جيوش بريطانيا خلال فلسطين وبقية بلاد الشام. وقد كانت بريطانيا اصطفت منطقة فلسطين لنفسها في محادثات سايكس . بيكو السرية مع فرنسا وروسيا (آذار/ مارس 1916 . 2 نيسان / أبريل 1917)، وكان ذلك على الرغم من خروج روسيا منها ونشرها الاتفاقية في جريدتي برافدا وإزفستيا يوم 1917/11/23 وإخبار قادة العرب والترك بذلك قبل أكثر من عام على نهاية تلك الحرب، أقول اصطفت بريطانيا فلسطين لنفسها تنفيذاً لتوصية مؤتمر خبراء الاستعمار في 1907 بإقامة دولة غربية في منطقة فلسطين تقطع المنطقة العربية إلى قسمين وثانياً تنفيذاً لوعد بلفور (1917) وهكذا كان، فانتدبت بريطانيا نفسها على فلسطين، وخططت حدودها بما يناسب متطلبات الدولة التي ستنشها في فلسطين.

1. حدود فلسطين في عهد الانتداب:

عينت الحدود الشمالية والشرقية الشمالية لفلسطين باتفاق الإنكليز والفرنسيين في 1920/12/23 الذي عدل بعد سنتي 1922 و1923 ليضم مصادر المياه في تلك المنطقة. وبدلاً من أن يسير الحد مع نهر الأردن ماراً بوسط بحيرة طبرية فنهر الأردن مرة ثانية، أقول بدل ذلك دفعت الحدود إلى الشرق في هذه المنطقة لتشمل:

(أ) جميع بحيرة طبرية إلا قليلاً من شمالها الشرقي بحيث أصبحت الحدود شرق البحيرة مسافة 100 . 200م.

(ب) أما جنوبها فإن الحدود سارت إلى الجنوب الشرقي حتى أصبحت قرية الحمة على نهر اليرموك جزءاً من فلسطين، وذلك طمعاً في مياه نهر اليرموك.

(ج) وكذلك فعل ببحيرة الحولة.

(د) أدخلت بعض الأراضي الواقعة حول أنهر بانياس والحاصباني والليطاني في فلسطين وهو ما يعرف الآن بإصبع الجليل.

واضح من هذا التعديل أن بريطانيا وفرنسا أرادتا أن تعطيا فلسطين حقوقاً مائية في تلك المنطقة. لاحظ شكل النتوء الغريب المستطيل الشكل الذي يمتد شمالاً . جنوباً بين سوريا ولبنان المعروف الآن بإصبع الجليل. وهو يشمل المنطقة الخصبة الكثيرة المياه التي تقع شمال بحيرة الحولة وتشمل معظم الأنهر الثلاثة دان والحاصباني وبانياس التي تصب في الحولة. طول هذا النتوء 22 كم وعرضه 14 كم. هذه الحدود في اعتقادي دليل طبيعي على تهيئة البلاد لتقوم عليها دولة (إسرائيل).

أما الحدود مع الأردن فقد حددها المندوب السامي البريطاني على البلدين على أن تكون مارة بنهر الأردن عند نقطة التقائه بنهر اليرموك بخط يقسم البحر الميت إلى نصفين ثم يسير الخط في منتصف وادي عربة حتى منتصف شاطئ خليج العقبة (1922/9/1).

أما الحدود مع مصر، فقد بقيت كما حددت عام 1906 بين مصر الخديروية التي تحكمها بريطانيا وبين الحكومة العثمانية. وتمتد الحدود من تل الخرائب في رفح على ساحل البحر المتوسط وتنتهي في «رأس طابا» على خليج العقبة، في خط يكاد يكون مستقيماً.

وفلسطين بهذا الوصف تقع بين خطي عرض: 30' 29° و15' 33° وخطي طول: 15' 34° و40' 35°.

أما أطوال حدودها فهي كما يلي:

الحدود الساحلية على البحر المتوسط = 224كم

الحدود مع لبنان = 79 كم

==========

الحدود مع سوريا = 70كم

الحدود مع الأردن = 360كم

الحدود مع مصر = 240 كم

الحدود على ساحل خليج العقبة = 10.5 كم

أما مساحة فلسطين فهي 27.009 كم2 (10.429 ميلاً مربعاً) بما في ذلك بحيرتا طبرية والحولة ونصف مساحة البحر الميت.

وشكل فلسطين مستطيل يمتد ضلعاه الطويلان شمالاً . جنوباً. ويبلغ طولها من شمال بحيرة الحولة حتى العقبة 430كم. أما عرضها فمتغير، فهو في أقصى الشمال يتراوح بين 50 و70 كم يم يزداد جنوباً حتى يصل إلى 82 كم عند القدس. وأقصى عرض للبلاد هو عند رفح وخان يونس، حيث يصل إلى 117كم. وبعدها يبدأ في التناقص من جديد إلى أن يصل إلى بضعة كيلومترات عند خليج العقبة. وبهذا فإن طول فلسطين يساوي ست مرات عرضها. وليس ذلك غريباً، فحدودها في اتجاه شمال . جنوب تحاذي ثلاث دول هي لبنان وسوريا والأردن.

ومما يجدر ذكره أن هذه هي المرة الثانية في تاريخ فلسطين التي تصل فيها حدود فلسطين الجنوبية خليج العقبة. ومرد ذلك هو حرص بريطانيا على قطع بلاد الشام والعراق وعرب المشرق عن مصر وعرب المغرب، مما يجعل من دولة (إسرائيل) عائقاً جغرافياً مانعاً للنهضة في هذه المنطقة. وقد كانت المرة السابقة أيام مملكة الفرنجة في القدس (492 ، 583هـ /1099 . 1187م).

الموسوعة الفلسطينية (الدراسات الخاصة)

السـمـوعـي

الموقع:

المسافة من صفد (بالكيلو مترات): 4 متوسط الارتفاع (بالأمتار): 675 ملكية الأرض واستخدامها في 1945/1944 (بالدونمات):

الملكية	عربية	يهودية	مشاع	الإجمالي
	9713	0	5422	15135

في عام	1931	1945/1944
عدد السكان	213	310
عدد المنازل	39	

الاستخدام	مزروعة	مبنية
	4636	27

السموعي قبل سنة 1948

كانت القرية تنتصب على السفح الشرقي لجبل زبود وتشرف على صفد من جهة الشرق. وكانت تبعد نحو 100م إلى الغرب من طريق صفد . عكا العام. في سنة 1596، كانت السموعي قرية في ناحية جيرة (لواء صفد)، وعدد سكانها 308 نسمة. وكانت تؤدي الضرائب على عدد من الغلال كالقمح والشعير والزيتون، بالإضافة إلى عناصر أخرى من الإنتاج والمستغلات كالماعز وخلايا النحل وكروم العنب ومعصرة كانت تستعمل لعصر الزيتون أو العنب [Hut and Abd] وقد قيل عن عالم الكتاب المقدس الأميركي إدوارد روبنسون، عندما مرّ بالمنطقة في أواسط القرن

التاسع عشر، إن السموعي تقع على (طريق مستوية وسهلة نسبياً) [Robinson 185:72] أما غيران [guerin]، الذي رأى القرية في سنة 1852، فقال إن عدد سكانها 100 نسمة وهم من المسلمين وعندما وصل مؤلفو كتاب (مسح فلسطين الغربية) [The Surver of westren Palestine] إلى القرية في سنة 1877، كان عدد سكانها 200نسمة، وكانت قائمة على تل. وكان فيها مقام لشيخ يدعى محمد العجمي بالإضافة إلى بضعة صهاريج. وكان يبدو أن الكثير من منازلها الحجرية بني بمواد قديمة [swp(188)I:200.25].

كانت السموعي على شكل مستطيل قليل العرض. وكان عرب المضاربة من البدو يضربون خيامهم جنوبي شرقي القرية، كلما مروا بالمنطقة في دورة ترحالهم السنوية. وكان سكان السموعي في معظمهم من المسلمين، وفيها مسجد وبضع ينابيع عذبة. وكان ينبوع منها، في الجهة الشمالية، يمد سكان السموعي بمياه الشرب التي كانت تخزن في ثلاثة خزانات مياه بناها سكان القرية. وكانت بساتين الزيتون والأشجار المثمرة تزرع في الأراضي الواقعة جنوبي القرية. في موسم 1943/1942، كان شجر الزيتون بغطي مساحة 170 دونماً وفي 1945/1944 كان ما مجموعه 4204 من الدونمات مخصصاً للحبوب، و422 دونماً مروياً أو مستخدماً للبساتين. وقد لاحظ المنقبون عن الآثار وجود بناء خرب ذي أعمدة، وهذا يدل، مع غيره من البقايا المعمارية، على أن الموقع كان أهلاً في الماضي.

احتلالها وتهجير سكانها:

يشير المؤرخ الإسرائيلي بني موريس إلى أن السموعي أخليت، كلياً أو جزئياً، في أيار/مايو 1948، لكنها لم تحتل إلا في تشرين الأول/أكتوبر من تلك السنة. والمرجح أن يكون سبب فرار السكان أصلاً، في أيار 12 /مايو، سقوط صفد في العاشر من ذلك الشهر بان سقوط المدينة . فضلاً عن حملة الحرب النفسية التي شنها الهاغناه، وما دأبت عليه في تلك الفترة من قصف قرى المنطقة بمدافع الهاون . قد أدى إلى نزوح سكان كثير من قرى الجليل الأعلى في ذلك الزمن [M:1231] في نهاية تشرين الأول/أكتوبر، وقعت السموعي ضمن نطاق جيب كونته وحدات الجيش الإسرائيلي التي تلاقت في سباق عملية حيرام (انظر عرب السمينة، قضاء عكا) واستناداً إلى موريس، فإن القرية قاومت الهجوم الإسرائيلي بعض المقاومة وهو يستدل على ذلك بإشارة وزارة

شؤون الأقليات الإسرائيلية إلى السموعي باعتبارها مثالاً لقرية قاومت الاحتلال، ولذلك (هجرت . إما بالفرار وإما بالفرار الجزئي والطرد أيضاً) وليس ثمة تفصيلات أخرى غير هذه[m:22].

المستعمرات الإسرائيلية على أراضي القرية:

في سنة 1949 أنشأت إسرائيل مستعمرة كفار شماي (193262) إلى الشرق مباشرة من موقع القرية، وعلى أراضيها كما أسست مستعمرة اميريم (192260) في سنة 1958، على أراضي القرية أيضاً، لكن إلى الجنوب من الموقع [M:195]. على الجهة الجنوبية من جبل الأربعين.

المستعمرات على أراضي السموعي

1. كفار شماي (السموعي)([2])

موشاف. يتبع العامل الشرقي. أسسه 1949 يهود مهاجرون من اليمن. سكانه239 (1961).في مقاطعة صفد في أوساط الجليل الأعلى قرب ميرون على طريق عكا.

2. آمريم([3])

قرية عمل. أسست 1950 ثم أعيد تنظيمها1958. لا يقيم فيها إلا النباتيون والطبيعيون وبعض العائلات الأمريكية المسيحية التي تتبع الوصايا العشر بحذافيرها سكانها 78 (1961) في مقاطعة صفد تطل على بحيرة طبريا وجبل الطابور على طريق عكا. صفد.

تنتج الفواكه والبهارات والمكسرات.

(من بلدانية فلسطين المحتلة)

أنيس صايغ

([2])أقيمت على أراضي السموعي من الجهة الشرقية لتلة السموعي.

([3])أقيمت على أراضي السموعي على السفح الجنوبي لجبل الأربعين.

==========

القرية اليوم:

الموقع مهجور، ولم يبق من أبنية القرية إلا بعض الحيطان الحجرية المبتورة، وبئر، وقناة وينمو عدد من أشجار التين والزيتون في أرجاء الموقع، أما الأراضي المجاورة، فيستعمل المزارعون الإسرائيليون معظمها مرعى للمواشي.

وترى بعض الدراسات أن لفظ السموع كلمة كنعانية تعني اشتموع، بمعنى الطاعة إنها قرية تحيط بها كوكبة من القرى هي عين الزيتون، وميرون، وبيت جن وفراضة والظاهرية. تعد القرية ذات موقع أثري يحتوي على أساسات جدران وبناء متهدم فيه عامود وقاعدة عمود ومدافن منقورة في الصخر ومغائر وعتبات وأبواب عليا.

هدمت القرية وشرد أهلها البالغ 360 نسمة وأقيم بالقرب منها مستعمرة (كفارشماي) سنة 1949.

==========

كهوف قرية الســـموعي

وما أكثرها، لعلي أذكر بها أبناء القرية، فهل لنا عود إليها

مغر البطحاء: وتقع:

على درب النساء الذي ينتهي إلى العين، طريق لا يطرقه إلا النساء وهن يقصدن العين، يحملن جرارهن يقصدنها أو عائدات منها مشهد لا يزال في ذاكرة الكبار ويشتاق إلى رؤيته الأجيال وإليكم أسماء هذه المغر.

1. مغارة التينة **2. مغارة الزيتونة الأولى**

3. مغارة الزيتونة الثانية **4. مغارة أم طاقة**

5. مغارة الخلة

مغر أخرى تناثرت في جبال هذه القرية الفلسطينية

1. مغارة العبدة، غربي البلد **2. مغارة سليم** **3. مغارة شهاب**

4. خلة كيكش **5. مغارة نابل**

6. مغارة العاصي تحت جبل الأربعين الذائع الصيت في أيامنا **7. مغارة الطياح**

8. مغارة الجوق الواسعة فقد اتسعت إلى (7000) رأس من القطيع

9. مغارة جورة النحلة **10. مغارة الجحايف** **11. مغارة الحرايق**

12. مغر وادي أبو يابس

==========

الغابات والمزروعات

إن ربوع بلادي قد حباها الله بأفضل ما يفيد الإنسان ويواكب حياته، عبر العصور. فقد ورثنا (الميرامية) فهي في جبالنا مرّصعة تعيش على البعل كشجيرات حينا أو جبا وراء جب برائحتها العطرة، و فوائدها التي لا تحصى... أمّا الزعتر فهو سيد لمائدة الصباح مع زيت الزيتون طعاما للآكلين أو مناقيشا للطالبين، فقد زركشت به حقول بلادي وخلاّتها. وحدّث عن المردقوش ولا حرج.....!

ومن الينابيع الصافية نهلت كؤوسا لأروي بها ظمأ معرفتي عن غابات السموعي وأشجارها الوارفة الظلال فهي محميات يصونها القانون، وتسهر عليها العيون، اذ يمنع الاحتطاب منها، وكان يرعاها كما سمعنا: السيد نايف محمد ابراهيم أشقر، ومعه سواعد أخرى من أهل القرية.

ومن تلك الأشجار:

غابات السنديان: المعمر، ومن ثمارها البلوط. أمّا البلوط الفليني الذي حبا الله فيه أرض المغرب العربي، فلم أعثر على مثيل له في قريتي.

الملّول: هو نوع من أنواع السنديان ثمره كالأنامل، يشوى ويأكل، وأحيانا يسلق.

البطم: ملونة حباته قطوفه كالعنب بحبات صغيرة كالفلفل الأسمر شكلا لا طعما، فهو أحمر أو أخضر أو أزرق في ألوانه. شجرة من فصيلة الفستق الحلبي، إذ يمكن تطعيم البطم فينتج فستقا. يقلى و يؤكل أو يرصع بالمناقيش.

الزعرور: هو الزعبوب الأحمر حينا والأصفر حينا آخر.

الأندول: بزهره الأصفر العطري وتستعمل جذوعه إذا يبست للوقود.

السويد: شجر شوكي يصنع من أخشابه المهباج.

الشيح: بزهره الأصفر العطري لتقطير العطور.

الشبرُؤ: شجر مزهر غير مثمر تأكل أزهاره الليلكية.

الريحان: يرى كشجرة أو كجب تأكل حبّاته. وهو الآس الذي يوضع على شواهد القبور وإذا جف سحق ناعما واستعمل كالبودرة الصغار.

الخروب: شجرة معمرة أوراقها خضراء ثمارها قرنية تظهر خضراء ثم تتحول الى بنية، ويصنع منها رب الخروب، ويأكل مع الطحينة أو بدونها.

القيقة: ورقه عريض وسميك أحمر اللون.

الفاوردا: يصنع منه الدواء للآلام.

العبهر: زهره أصفر و يكثر في خلات لواء الجليل فنسبت تلك الخلات اليه.

المزروعات....

- الفواكه:

الخوخ	الذّرّاق	التين	الأراصيا
الأجاص	العنب	العنّاب	الكرز
البطيخ	السفرجل	الصبار	الرمان(الحلو، الحامض ، اللفاني)

- الخضار:

البطاطا	البندورة	البصل	الثوم
الفجل	البقدونس	النعنع	الباميا ء
الفاصولياء	اللوبيا	الكوسا	اللفت
الجزر	الباذنجان	القرع	الياقطين
الفلفل الأخضر والأحمر	الخيار	القثاّء	الشمندر

- البقول:

القمح	الشعير	الكرسنة	الذرة البيضاء
الذرا الصفراء	حبة البركة	العدس	السمسم

==========

حدود القرية مع قرى فلسطين

ومن رام أن يتعرف على حدود القرية مع جيرانها فاركب معنا قطار الشوق الذي سيجوب الحدود فعندما يتحرك بنا قطار الشوق إلى جهة الغرب حيث نجد حدود القرية مع قرية بيت جن المجاورة، ويخترق القطار بنا من الغرب إلى الشرق. فنجد أنفسنا في **خلة كيكش**.

ويتحرك بنا قطار الشوق لمعرفة حدود القرية فتقطع متجهين شرقاً إلى الجنوب حيث نجد **عين السمورة** بانتظارنا، ويتحرك بنا قطار الشوق إلى **وادي الحندقوق** وبعدها يشق القطار بنا إلى **الرميلة** شرقاً إلى **كرم الشقطي**. ومن **كرم الشقطي** يتوجه القطار مع حدود السموعي إلى الجنوب من **كرم الشقطي** إلى **خلة اللوزة**. وإذا أخذنا جهة الجنوب من **فرش البطم** إلى **الدرات** بين السموعي وفراضة.

وإذا تحرك قطارنا متجهاً نحو الشرق إلى **كروم الزيتون** بجانب **تلة الشيخ معروف** ثم إلى **المشروع الفوقاني** وإذا انعطفنا نحو الشمال إلى **وادي الليمون**، إلى **عين التينة** إلى **وادي الناشف** (يلتقي شرقاً مع وادي الطواحين الفاصل بين السموعي وصفد ويسيران باتجاه سيرين جنوباً) وإذا تحركنا نحو الشمال إلى **أرض المخْيرة** قرب وادي ميرون و**كرم حميّد** ومنها غرباً إلى **بستان زندل** مابين أراضي السموعي وبين أراضي قرية ميرون في منطقة تعرف بجور ميرون وإذا ما أطلق القطار صفارته فاعلم أننا نسير الآن نحو الجنوب الغربي إلى **خلة كيكش** بين القرية وقرية بيت جن المجاورة لتقف في آخر محطة.

تلك هي حدود القرية كما رسمتها لكم ريشة السيد فايز أبو أسامة كما تعيه ذاكرته وكان قد ولد في تلك القرية وعاش بها طويلاً ومازال يحمل في قلبه عنها هذه الأسماء التي عاش بها أنها أرض ملك أكيد لأهالي قرية السموعي ويطمحون أن يعودوا إليها اليوم قبل غدٍ كل فتى وفتاة من أهل فلسطين.

==========

* بعض أسماء المناطق والأراضي التابعة للسموعي

وادي الجوق: يقع جنوب السموعي تحت جبل الأربعين.

بغداد: أرض خلف المنازل جنوباً تنزل من الطريق إلى جبل الأربعين إلى خلة اللوزة.

المنازل: أرض زراعية جنوب القرية وهي تلة أعلى من السموعي.

جبل الدولاب: أحراج تابعة للبلدة.

جورة النحلة: تقع شمال وادي الجوق ومنها إلى أرض الحرائق ثم إلى وادي الناشف.

عين السمورة: عين في أعالي جبل السنديانة غرب القرية.

الخلة: وادي صغير بين تلة السموعي وجبل السنديانة.

وادي الطواحين: وادي يفصل بين السموعي وصفد وكان ملكاً للبلدة وأهدي قديماً في فترة الحكم العثماني من قبل أحد الجدود إلى عائلة من آل السلطي وآل مشعل.

هذه المعلومات أفاض علينا بها السيد فايز أشقر

(انظر الخريطة المرفقة)

ســـــــيريــن

هل تعلم يا ابن السموعي أننا نملك بلدتين هما السموعي وخربة سيرين؟ تقع بلدة السموعي على تلة فإن نظرت باتجاه القبلة ترى أرض سيرين وبحيرة طبريا والناصرة وقضاها.

تقع سيرين على السفح والأرض تمتد من السموعي إلى سيرين يفصل بينهما وادي اسمه المشرع، يقصده أهل القرية للراحة، فيه أنواع من السمك وهو يصب في بحيرة طبريا. وتبعد عن السموعي حوالي أربع ساعات مشياً على الأقدام.

حدود خربة سيرين

وهي تقع إلى الجنوب الشرقي لأراضي السموعي وبينهما أراضي أحراج (مشاع).

عندما تصل إلى سيرين من الشمال (أي من جهة السموعي) من أراضي مشاع.

يحاذي أرض سيرين شمالاً جب النمر (أرض للفلاحة تابعة لسيرين) الذي يمتد نحو الغرب حتى يلتقي مع أرض الرقبات (أرض للفلاحة تابعة لسيرين) والتي تمتد غرباً حتى تصل العشر (أرض للفلاحة تابعة لسيرين) وخلف هذه الأراضي أراضي مشاع وليست هناك أراضي لقرى مجاورة.

ثم تنحرف حدودها جنوباً إلى أرض البياض (جبل البياض يفصل بين سيرين وقرية الياقوق).

ومن هناك تمتد حتى قطعة الصرار (أرض للفلاحة تابعة لسيرين) التي يشرف عليها من الجنوب جبل مرج الرمان.

ثم تمتد شرقاً حتى وادي الدفلة (امتداد وادي عين التينة ووادي الطواحين الفاصل بين السموعي وصفد) وتواصل امتدادها حتى عين الصرار ثم شمالاً حتى عين القصيب التي تمتد شمالاً حتى جب النمر (هذه العيون بقرب وادي الدفلة يفصل بين سيرين والشونة، وامتداده إلى بحيرة طبريا).

وتقدر مساحة سيرين بحوالي 6000 دونم.

==========

[وهذه المعلومات أفاض علينا بها السيد فايز أشقر.]

وفي كتاب بلادنا فلسطين ذكرت «خربة سيرين» في «قرية الشونة»:

(وكثيراً ما تذكر الشونة هذه باسم «خربة الشونة» وتحتوي على آثار ضيعة مهدمة. بناء من حجارة البازلت وفي ظاهرها الجنوبي تقع «خربة سيرين»).

من بلادنا فلسطين

وكان يزرع في سيرين القمح والشعير والذرة (وبسبب طول الذرة كان الزارع يركب حصانه ليقطفها دلالة على خصوبة الأرض). ومن نباتات سيرين الطبيعية الخبيزة وهي شديدة الطول (ويروى أنه إذا دخلت الأبقار داخل الخبيزة يصعب إيجادها إلا إذا صُعِدَ إلى مرتفع ويبدأ مشيراً إلى أهل البلدة بالتوجه يمنةً أو يساراً حين يرى أعالي رؤوس الخبيزة تهتز). ومن نباتاتها أيضاً الشومر والكلخ والعكوب والسنارية والقرة الحلوة والحادة والفطاريش (الفطر) اللذيذ الطعم.

وفي أيام الحصاد يتوجه أهل السموعي إلى سيرين بعد أن ينادي المنادي بأهل البلدة معلناً يوم الزرع أو الحصاد وعندها يقوم أهل البلدة بالتحضير لذاك اليوم الهام.

وكان يحرس سيرين على مدار السنة رجل اسمه خليل المحمود (أبو عبي) وأولاده. وسيرين تحوي مخازن للتبن تعود ملكيتها إلى أهل السموعي. وكان الحصاد فرحة عارمة تغمر أهل البلدة يرافقه الأهازيج والزغاريد والمرح. وكانت أراضي سيرين تُقسم بالقرعة على أهل السموعي كحصص يعاد فرزها كل سنة أو سنتين.

ومن أسماء الأراضي في سيرين:

الرقبات والعشر إلى الغرب والمرج إلى القبلة والمراح وقطعة الصرار وجب النمر.

وكان ينادي بالبلدة منادٍ اسمه صالح الحمد (أبو محمود) يا أهل البلد الحاضر يعلم الغائب أن ألهده (وهو مصطلح يعلن أن الحصيدة ستبدأ) ويسمي اسم قطعة الأرض عندها يتجه الكل إلى تلك الأرض متعاونين على الحصاد، وتحصد المحاصيل قطعة قطعة.

==========

والذي يعمل بسرعة ينظر إلى خلفه من المقصرين ممازحاً إياهم قائلاً:

أحس وراي خرفشة، ما أدري أهي فار أم خنفسة

وكان من بساطة الناس أن هوية الشخص هي: ما اسمك، من أي بلد أنت وما هو عملك؟

تلك هي خربة سيرين في سطور نسوقها لكم لتعرفوا أن هذه الأرض ملك خالص لأهل القرية لا لغيرهم من الغزاة. **(انظر الخريطة المرفقة)**

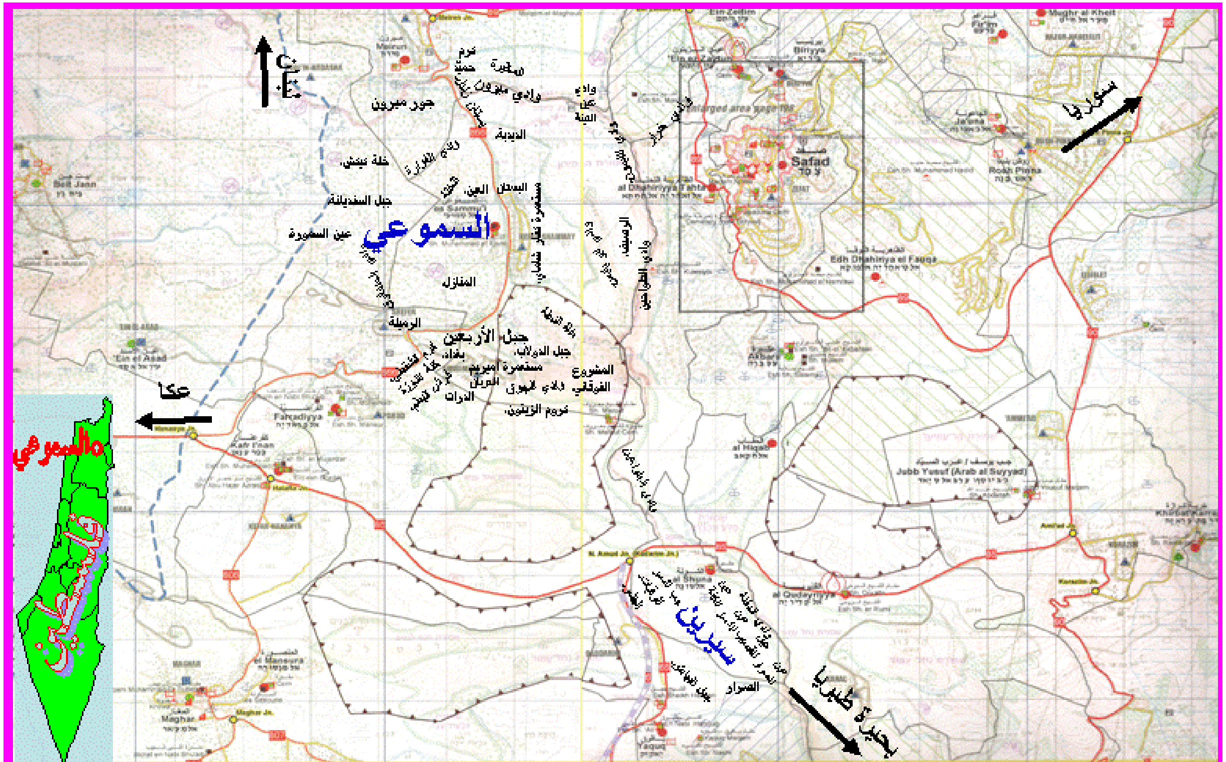

تصميم :راغيد اشقر   اراضي قرية السموعي وخربة سيرين وبعض قطع الأراضي فيهما وحدودهما   ٢٠٠٨/٠١/٠١

==========

أراضي السموعي ما بين 1944 - 1945

الأراضي العربية: 9631 دونم
المشاع: 5422 دونم
الأراضي اليهودية: دونم (صفر)
الإجمالي: 15135 دونم

وقد بذل السيد *محمد خير أشقر جهداً كبيراً في جمع أسماء قطع الأراضي التي يمتلكها أهل السموعي بفلسطين فأخذ عمن بقي على قيد الحياة من كبار العائلة قبل أن يخطفهم الموت في الشتات. فقصد زائراً السيد نايف عبد الحسين أشقر.. وقد زوده بالتسلل حسب مواقع الأراضي وقد كانت روايته رواية صدق وكان السيد محمد خير أشقر يدون ذلك بأمانة الحماس الذي يدافع عن قضيته. وقصد لنفس الغرض دار السيد *فوزي أشقر فأعطاه نفس المعلومات وقارن بين الروايتين فوجد بينهما التطابق والصدق وكان السيد محمد خير يعمل قبل إحالته على التقاعد مدير ابتدائية في مخيم اليرموك. وقد تحصل على شهادة تربوية لتعليم وشهادة المحاماة من جامعة دمشق. سافر إلى عدة أماكن منها لبنان، السعودية، ألمانيا، الولايات المتحدة الأمريكية يحب المشي عند الصباح والرحلات. عرف بحبه لأصدقائه والوفاء لهم دائم الابتسامة يرحب بالضيف. ويحب الأرض ويقطن في دمشق. حقاً لقد بذل جهداً كبيراً في جمع المعلومات لهذا الكتاب يشكر عليه سيترك بين أيدي الأحفاد أمانة، ومصابيح هداية لهم لا يضلون..وقد تعب في تنظيمها وتبويبها. وقد اجتمع أربعتهم وتأكدوا من الروايات (نايف ومحمد خير وصلاح وفوزي) وتأكدوا من رسم أسماء تلك الأراضي ولم يمتلك اليهود في قريتنا شيئاً من الأراضي ولكن لعابهم كان يسيل على جبل الأربعين لكنهم فشلوا.

==========

أراضينا تحت مجهر الحقيقة

من الشرق

الرقم	إحصاء بأسماء قطع الأراضي التي يملكها ملكاً خالصاً أهل السموعي	الاتجاه شرق/ غرب	ملاحظات
1	شقيف الخنزيرة	يحدها شرقاً وادي الطواحين الفاصل بين أراضي القرية وأراضي صفد	لم يكن بمقدورنا أن نحدد للقراء مساحة كل قطعة لكن هذه القطع تحمل اسماً عربياً قد يكون صفة للقطعة أو موقعها أو اسماً لشخص أو اتجاهاً أو طبيعة مزروعاتها أو غير هذا من الاجتهادات.
2	المرج		
3	كسيلان		
4	الزرب		
5	السهلي		
6	البركة		
7	صَفْ مُليسة		
8	صَفْ الزيتون		
9	المدوّرة		
10	كرم برهوش		
11	الحما		
12	وادي أبو يابس		
13	السّيَر		
14	الجذْوعا		
15	الرقبات		
16	بابُ الجُّوف		
17	وادي الجوق		
18	الدّولاب		
19	الطّياح		
20	جُورة النّحلة		
21	تينة خلف		
22	العاصي		
23	الميدان		

==========

من الغرب

الرقم	إحصاء بأسماء قطع الأراضي التي يملكها ملكاً خالصاً أهل السموعي	الاتجاه غرب/ شرق	ملاحظات
24	جبل السّنديانة	يحدها غرباً أراضي ميرون وبيت جن	لم يكن بمقدورنا أن نحدد للقراء مساحة كل قطعة لكن هذه القطع تحمل اسماً عربياً قد يكون صفة للقطعة أو موقعها أو اسماً لشخص أو اتجاهاً أو طبيعة مزروعاتها أو غير هذا من الاجتهادات.
25	عَيْن السمورة		
26	وادي الحندوق		
27	نبع رميلة		
28	الشيّح		
29	المزيريب		
30	رباع الوردة		
31	عريضُ القيقب		
32	الحدايق		
33	الخَلّة		
34	رباع علي زيفة		
35	البياضة		

من الجنوب

الرقم	إحصاء بأسماء قطع الأراضي التي يملكها ملكاً خالصاً أهل السموعي	جنوب/ شمال	ملاحظات
36	خلّة رقيقة	يحدها جنوباً أراضي رميلة وأراضي قرية فراضة	من أراضي السموعي الوقف لا يباع ولا يشترى لم يكن بمقدورنا أن نحدد للقراء مساحة كل قطعة لكن هذه القطع تحمل اسماً عربياً قد يكون صفة للقطعة أو موقعها أو اسماً لشخص أو اتجاهاً أو طبيعة مزروعاتها أو غير هذا من الاجتهادات.
37	خلة ركيبة		
38	جبل الأربعين		
39	كروم الزيتون		
40	قبر الزيات		
41	خلة قدورة		
42	الرحراح		
43	بغداد		
44	الدّورات		
45	مغارة النّابل		
46	كروم رأس القبلة		
47	خَلة بلاطة		
48	المَنازل		
49	رأس القبلة		
50	الحصص		
51	الغزلية		
52	خلة أبو الكلبان		

==========

من الشمال

الرقم	إحصاء بأسماء قطع الأراضي التي يملكها ملكاً خالصاً أهل السموعي	شمال /جنوب	ملاحظات
53	خلّة القصب	يحدها شمالاً وادي ميرون وبستان زندل	لم يكن بمقدورنا أن نحدد للقراء مساحة كل قطعة لكن هذه القطع تحمل اسماً عربياً قد يكون صفة للقطعة أو موقعها أو اسماً لشخص أو اتجاهاً أو طبيعة مزروعاتها أو غير هذا من الاجتهادات.
54	صف ديب		
55	الديدبة		
56	المشيرفة		
57	الفوّارة		
58	خلة كيكش		
59	عمود الهيق		
60	العريضة		
61	باب رزين		
62	الرّصيف		
63	خلة التون		
64	رأس العوجا		
65	زيتون حامد		
66	المغراقة		
67	الشّرار		
68	الهربة		
69	خّلّة المبيت		
70	خلّة سخير		
71	وعرة الفستقة		
72	زيتون النصب		
73	الشتول		
74	بساتين القرية		
75	البطحة		
76	زيتون الجامع		

محمد خير أشقر

سيريــن

الرقم	إحصاء بأسماء قطع الأراضي التي يملكها ملكاً خالصاً أهل السموعي	خربة سيرين	ملاحظات
1	جب النمر		لم يكن بمقدورنا أن نحدد للقراء مساحة كل قطعة لكن هذه القطع تحمل اسماً عربياً قد يكون صفة للقطعة أو موقعها أو اسماً لشخص أو اتجاهاً أو طبيعة مزروعاتها أو غير هذا من الاجتهادات.
2	الرقيبات		
3	خَلّة الزقْة		
4	المراح		
5	الرَّحراح		
6	المَرَج		
7	شكارة أحمد آغا		
8	الخرايب		
9	قطعة الصّرار		
10	عين التينة		
11	عقدة الزعارير		
12	خلال الورد		
13	خلّة النحلة		
14	الشونة		
15	البياض		
16	العشر		
17	تحاميل العروس		
18	قطع هاشم		
19	عين القصب		
20	البيادر		

==========

رحلة العذاب

رحلة أصفها للصغار كيف خرجنا من فلسطين؟ بأسلوب سهل والمنايا (الموت) من حولنا موج متلاطم. في إحدى أمسيات الخريف، وعند نقطة تعرف بعين السمورة. اعتصم أهل القرية كباراً وصغاراً بهذا المرتفع الذي شهد آخر لقاء معاً لأهل قرية السموعي، كان اللقاء تاريخياً، وفيه رسم المتحدثون صورة لمستقبل مجهول لأهل بلدتنا كان المتحدثون فيه كباراً، وكنا نحن الصغار نصغي إلى الحديث بدون تدخل فيه. بينما كان شبيبة القرية يضعون أيديهم على الزناد يذودون عن القرية حيناً وحيناً آخر يقوم البعض منهم بنجدة قرية مجاورة. ولما حط الليل أجنحته على عين السمورة. وبقيت عيون الصغار ترمق من بعيد أضواء مدينة الناصرة. بدت الناصرة من بعيد وكأنها طبق قد حوى حبات من الرمان وبدت لنا أضواء المدينة تطفئ عيونها حيناً وتفتحها حيناً آخر. أما المتحدثون فقد تشعبت آراؤهم بين المغادرة وعدمها رافضين رفع العلم الأبيض وتسليم أسلحتهم التي جاءت بالتبرعات من أهل القرية ونشاط مختارها ووجهائها، وعندما حدد يوم الظعن كانت وجهتنا قرية (بيت جن) وفيها التقطت الأنفاس بعد أن وصلت قافلتنا إليها وكان تعداد سكان قريتنا يومها وقد وصل إلى (310)ن وعدد المنازل التي تحولت إلى ركام 39 منزلاً. ومساحة الأراضي 15135 دونماً. أما اليهود فلا يملكون ذرة واحدة من تراب القرية وهذا فخر بالأجداد وعندما اكتملت فصول المسرحية تحركت قافلتنا نحو الشمال قاصدين الحدود اللبنانية فسار بنا قطار الهجرة من القرية حيث المحطة الأولى وتوقفت عجلات قطارنا في عين السمورة فكانت المحطة الثانية. ثم تحركت عجلات القطار إلى المحطة الثالثة في (بيت جن) وغادر القطار بنا على عجل إلى المحطة الرابعة في جنوب لبنان كانت قوافل المغادرين تعبر الحقول والجبال، ومنا من أسعفه الحظ فوصل راكباً إلى الحدود اللبنانية والأغلب وصل ماشياً بعد طول عناء. وكانت وسائل الركوب البغال والحمير التي شاركتنا رحلة العذاب. وعندما وصلنا الحدود اللبنانية اعتقل خيرة الشباب واعتدى اليهود على مقتنياتنا من أموال وذهب ونفذ حكم الموت بزهرات من قافلتنا واعتدي على أشرافنا وفلت من قبضتهم من فلت فكانت ليلة أخرى في جنوب لبناء حيث افترشنا العراء والتحفنا السماء وطالب الصغار من الكبار شربة ماء فجاءتنا غير صالحة للشرب، وفي هذه المحطة ولدت الحوامل وأنهك

==========

الشيوخ وتعب الصغار وانعقدت من جديد آخر جلسة لأبناء القرية فمنهم من آثر الذهاب إلى عنجر حيث انتصبت الخيام لهم وبعدها غادروا عنجر إلى مخيم نهر البارد وكانوا هم الكثرة من سكان السموعي من جميع العائلات وآثر فريق آخر أن يختار الأردن فقصدوها وكان معظمهم من آل قدورة وآثر فريق ثالث أن يهاجر إلى سورية فقصدوا بيت أم جبيل ثم بيروت وبعدها مدينة دمشق وكان معظمهم من آل أشقر فنزلوا مسجد شمسية على سفح جبل قاسيون بالمهاجرين، لأيام ثم استأجروا منازل واندمجوا بالحياة الدمشقية. إلى يومنا هذا ينتظرون العودة التي لم يبزغ فجرها حتى الآن وهم يقطنون في مخيم اليرموك.

فكانت بحق رحلة عذاب صنع أحداثها أفراد القرية. وكان غزاة أرضنا كالسيول وكنا نحن الجداول التي انسابت هادئة وأخذ الأشقاء العرب يمسحون دموع اللاجئين من أهل فلسطين .

من هنا بدأت رحلة العذاب

==========

حكاية جبل الأربعين

التف الأحفاد حول جدتهم لتحكي لهم حكاية جبل الأربعين، إنه عرس في حب الوطن. كانوا جميعاً آذان صاغية لحديثها... بلعت الجدة ريقها، وعدلت من جلستها وتنحنحت، ثم أباحت بصوت هادئ وراحت تقص الحكاية، وراح الأحفاد يصغون لها بجمعهم.

الجدة: جبل الأربعين، قمة شماء، ولأصحابها كل الثناء. يمتلكها أهل السموعي عموماً يرمق جبل الأربعين بعين بحيرة طبريا على يمينه، ويرمق بالأخرى مدينة صفد أمامه تعصب الغيوم جبينه، تجر ذيولها عليه لذا خصبت أرضه، وحلا موقعه وكثر مطره على عرش من الجمال. وسال لعاب الغزاة عليه شراء من العرب، من أهالي قرية السموعي لذا استعملوا كل المغريات من واسطات ورشوة...

يا أحفادي: هو جبل من ذهب فلا يباع بذهب الدنيا، إنه رمز عزتنا، وشرفنا وكرامتنا. وانتظر اليهود لسماع الجواب النهائي من مختار القرية.

فنودي في جنبات القرية لاجتماع في مضافة المختار، لتداول الأمر، وأخذ القرار مع وجهاء السموعي أصحاب العقول الرزينة. ولما اكتمل الحضور، قال المختار: لقد أتاني رجل يهودي اسمه (موشى الدرعي) وهو مندوب عن محامي (النحماني) يحاورني حول بيع قمة جبل الأربعين وكان يصحبه شخص آخر

فقلت له لما سمعت ذلك وانتابني هزة، علت وجهي قسمات غضب إن جبل الأربعين لا يباع لأنه ملك لكافة أهالي القرية ... تخيل أن المواطن من قريتنا (حسن دقو) له نصيب بهذا الجبل. وقدمت لي إغراءات الرشوة لقبول ذلك منها ألف ليرة فلسطينية للمختار حلال زلال ومثلها توزع على أهل القرية (لامين دري ولا مين سمع)

وكان أول من تدخل في الحوار نائب المختار، أحمد صالح، وهو من وجهاء البلد. فقال بصوت عال إن جبل الأربعين ملك لنا لن نبيعه بذهب الدنيا . امش تخيب . ثم عدل من حطته وعقاله، وهنا قال أبو سعيد محمد الابراهيم: نحن لا نبيع، وكفى، ومن الحكمة ألا نبيع . فهمت داير بالك إلي . ثم استدار إلى الوراء، وهنا عدل من وضع لفافته محمد لحسين أبو محمد قائلاً: جبل الأربعين إرث لنا من سنين، وهو عطر الماضي فمن باع الماضي فقد المستقبل، وأثنى على ذلك.

عثمان ذيب (أبو ذيب) أحسنت يا أبا محمد،

أما مصطفى الحسين فقد أومأ برأسه موافقاً على ما قيل من تحاليل صائبة

وبان الغضب على وجنتي محمد على الطه (أبو راسم) فقال: ياسي يلي ما أنت: خيانة ما بعدها خيانة من يبيع أرضاً للغزاة. ودخل على الخط خالد العلي (أبو علي) بعد أن سحب لفافته من فمه وتركها بين إصبعين، قائلاً: ماهذا الكلام، إنه خيانة للأوطان. ما هذا الكلام، يا سلام ... ما شاء الله وكان واستشاط غضباً محمد الأحمد سليم (أبو غازي) مما سمع:

إننا لن نبيع شبراً من جبل الأربعين، فهو لنا إلى يوم الدين بره وبعيد ارحلوا عنّا

الجدة: كان المختار ونائبه يصغيان إلى ذلك الحوار إلى أن قال

المختار: أنتم تعلمون أني طبيش بوليمة واحدة اصرف مبالغ طائلة سوف تمضي الألف كما مضت آلاف قبلها، لكن الخيانة ستركبني وتلحقني إلى الموت وتلحق اللعنة واللطخة بأولادي وأحفادي من بعدي فأنا أرى وهنا صمت المجلس ليسمعوا رأي المختار فهو حلال المشاكل.

المختار: إني أقترح أن نسجل جبل الأربعين في سجلات الأوقاف، هكذا فلا يباع وصاح الجميع. موافقون أبا صالح. ولم يتخلف عن الموافقة أحد من وجهاء القرية.

قالت الجدة: وماهي إلا أيام حتى حصل المختار على الوثيقة أنه وقف إسلامي وكان ذلك اليوم عرساً وطنياً في حب الوطن بعد أن صدر الحكم بالموافقة من محكمة صفد.

لذا كان المختار في قائمة المطلوبين لما وقفت القرية بوجه الغاصبين. وكان على المختار أن يسلم 30 بندقية اشتراها من أموال أهل القرية. وإلى يومنا هذا لم تسلم البنادق. وكانت منية المختار في دمشق. وأوصى ان ينقل رفاته إلى فلسطين بعد عودتها. في قفة. تلك كانت وصيته، وصية تتركها للأجيال يا أطفال

وهنا دهش الأبناء والأحفاد من تدبير الأجداد. ويا أبنائي بعد أن نسجت خيوط النكبة وخرجنا من فلسطين. أقام الغزاة لهم في جبل الأربعين منتجعاً للنباتيين وهي مستعمرة أمريم عام 1958 ويكفي أن يتصل السائح بالموقع ليحجز ويقصد جبل الأربعين لراحة والاستجمام وتناول النباتات وأصيب الأحفاد بدهشة مما حدث بإحداث هذه القصة. ثم غادر الأبناء الجدة إلى غرف نومهم. وأسدل الستار على حكاية هذا الجبل الذي هو رمز للوطن.

أما أحمد صالح (أبو ذيب) من وجهاء القرية ونائب المختار. شخصية قوية ساهم في تكوين أحداث هذا العمل قوي الشكيمة. يحب ركوب الخيل، نظامي. لعب دوراً في تكوين شخصية مصلح وكان معلمه في آداب المائدة. وكانت شخصية الحلاق لمصلح عندما يحس ماكنه الحلاق ترعى شعره بأمر من عمه، يبكى على شليشٍ ولى. وفجأة يسمع من يخفف عنه: بضاعة مخلوفة، إن شاء الله. وجبل الأربعين بضاعة مخلوفة انشاء الله.

==========

القرية بين الحقيقة والخيال

الحياة الاجتماعية في قرية السموعي

إن ما وصل إلينا من المعلومات التاريخية، نحن أبناء الجيل الأخير من قرية السموعي يؤكد مشافهة أن جذور أهل هذه القرية هم عرب قدموا مع الهجرات العربية منذ قرون غابرة في القدم من بلاد اليمن. وقد نزل جدودنا الأوائل في مكان يعرف على الخرائط القديمة في (مرابع الشقران) بالأردن (اليوم) ومن هناك حدثت هجرات أخرى فانتقل الأجداد إلى (عرابة) بالقرب من جنين. ومنها تفرع الأجداد، بل البعض منهم وانتقلوا تحت اسم أشقر أو جرار، أو عبد الهادي. وهؤلاء جدهم واحد، كما تقول الروايات وحدثنا بذلك الأجداد، ونحن ننقل الأمانة للقارئ أولاً وللأحفاد ثانية. وقد وجد آل أشقر طريقهم نحو شمال فلسطين وكانت السموعي موطئ أقدامهم وبها استقروا إلى أن غزا البلاد الغرباء الذي وصلوا من بعيد الآفاق وأجبرنا بعد نكبة (1948) على تجرع المأساة فتناثرت شظايانا في أنحاء العالم. وكانت منازل أهل قريتنا ما بين لبنان والشام والأردن ومنها وقعت هجرات أخرى إلى أنحاء العالم بحثاً عن تحسين الأوضاع في أصقاع القارات، ويقطن في القرية مع آل أشقر آل الحاج وقدروة وضاهر وسليم وعبد الله وشحادة، فكانت لهم في ميادين العلم منائر وفي الزراعة مداشر هذا ما وصل إلينا جيلاً بعد جيل من رواية عن أصل سكان قرية السموعي وقد حدثنا الكبار على أن شجرة للعائلة وقد وجدت طريقها على أحد جدران منازل بلدة عرابة وفي قريتنا مقبرة واحدة تضم رفات الأوائل من الأجداد، وقد ضمت أيضاً مقام محمد العجمي وفي القرية بقايا هياكل منزلية ومعصرة زيتون ومغارة شهدت حضارة الإنسان الأول وفي القرية مسجد حالت ظروف القرية والوطن على عدم إكماله، منازل السموعي قد بنيت من الحجارة والأسمنت من قبل الأغنياء ومن لبن وطين بطرق تقليدية تحتفظ بالدفء شتاء والبرودة صيفاً طينها أصفر خاص يحضر من محفر القرية وتطلى المنازل بكلس أبيض يضاف إليه شيئاً من أقراص (النيلة) الزرقاء. فيصبح اللون الأبيض مشوباً

بالأزرق الأخّاذ كما ترى الأمهات لأنهن هن اللواتي يقمن بالطرش بواسطة مكنسة خاصة . ولأهل القرية ملابس فلكلورية خاصة بهم ويرتدي الرجال القمباز المقلم، والحطة البيضاء والعقال. أنه اللباس التقليدي الذي ورثناه عن الآباء والأجداد ونعتز به فقل لمن يحرمنا من حق العودة هاهي ملابسنا تقاوم عنا وتعطينا حقاً أكيداً بالعودة فنحن ملتزمون به نرتديه للمباهات في أفراحنا وأتراحنا. فهو دليل على وجودنا، ومفخرة لنا أما الصغار فيرتدون غلابية خاصة وكانت مفرحة لصغار بألوانها وتشكل على الذكور منهم خطراً عند حفل الختان. والنساء في القرية محجبات يرتدين أزياء خاصة بهن من أرواب وبدلات جديدة وهن محجبات يرتدين الحجاب الأسود ويسمى الكاب، والبعض منهم يرتدين الملاءة (الملاية) المقلمة. أما البنات فيتحجبن بواسطة الايشارب الذي يغطي شعر الرأس وقد لعبت المرأة دوراً هاماً فهي مع الرجل في الحقل والبيدر، وهي سيدة المنزل مربية للأجيال، وطاهية، ومديرة لشؤون المنزل المختلفة لها نصيب أوفر في تربية الأطفال وتنشيئتهم نشأة صالحة فهي التي نثرت في مشاتل الحياة بذور الإصلاح والتربية.

وللأعراس في قريتنا طقوسها الخاصة..

وتبقى خروبة رأس القبلة، التي تقوم مقام صالة الأفراح في يومنا هذا وبلعب فيها الطبل والمجوز بعواطف الحاضرين وأحاسيسهم. وأكبر عازف على المجوز هو العازف الشهير (غنوم أشقر) وله قطع موسيقية من المجوز خاصة بإذاعة القدس العاصمة الفلسطينية.

وفي كل منزل توجد الكوايز على محيط (بيت العيلة) وتصنع من الطين خاصة بواسطة اللبائن ثم تكسى بنفس الطينة، لكل كوارة (خزانة) فتحة علوية تستعمل عند الملء، مستطيلة الشكل وللوصول إليها لا بد من سلم وفتحة دائرية سفلى للأخذ منها عند الطلب وتملأ الكوايز عندنا بالحبوب عموماً أو الدقيق (الطحين) (الغارنيا) أو الملح وكان الملح ذلك الوقت صخرياً غير موجود في مقالع القرية.

ويبدو لي أن الكوايز هي أم الصومعة الآلية أما البدائية فتملأ يدوياً وهي تختصر جهد الرجل والمرأة في هذه الكوايز، فهي في البيت الكبير (داير داير) يَمْ (بشكل دائري تماماً) ويطحن القمح في مطاحن وادي الطواحين عند آل مشعل وكان وادي الطواحين ملكاً لأهل البلد ثم أهدي من قبل أحد الجدود أيام الحكم العثماني إلى عائلة من آل السلطي، وآل مشعل وكل ما في قرية السموعي من أراضي واسعة أتيت على ذكر أسمائها هي ملك خالص لأهلنا ولا يملك اليهود بالقرية ذرة تراب

واحدة ونحن العرب سكان القرية نحمل وثائق من القضاء الفلسطيني بملكية ذلك. وقد أقيمت الأفراح وأشعلت المشاعل والنيران احتفالاً بالحدث السعيد رداً على من يدعي أن له في قريتنا ملكاً.

ومن مظاهر الفتوة في قريتنا تعلق الشباب بالصيد: وللصيد أربابه وأدواته التي يفتخر بها الصيادون بواسطة الجفت الذي يحمل صاحبه تصريحاً له واشتهر من الصيادين صالح أشقر وفوزي أشقر ونايف أشقر ومحمد العبد ويأتي في المدينة مختار القرية الذي زرع هذه الهواية في قلوب فتيان أهل القرية. ولكل صياد رفيق هو الكلب السلوقي وحصان عربي أصيل. إذ كان أهل البلد يهتمون بتربية الخيول العربية الأصيلة واقتنائها، ولها حكايا. ومناخ القرية يساعد على ذلك. فالمناخ متأثر بمناخ البحر المتوسط والطبيعة ملائمة لتعيش الطيور ويأتي في المقدمة الحجل. وسماء البلد صافية زرقاء صيفاً تمر بها غيوم عالية، وفي الشتاء تنزل الأمطار والثلوج ومعظم أيام الشتاء يكون الطقس في القرية دافئاً ومن الحيوانات الأليفة تربية قطعان الأغنام والماعز والبقر. والدجاج ومن الحيوانات المفترسة الضبع وبنات أوى ومن الحيوانات البرية الوبري وهو حيوان لذيذ لحمه يعيش ما بين شقوق الصخور وهو هدف لكل صياد ماهر وتلك الصخور تطل على وادي الجوق وجبل الدولاب وفي المنازل تربى الطيور والأرانب والبط وقضى على ما فيها من آخر النمور.

ويمر في سماء بلادي الطيور المهاجرة وهي لوحة ما زالت في ذاكرتنا عندما كنا في القرية أطفالاً، تلك هي الحقائق أسوقها لصغار بقلم من ولد في الشتات فعاش صغيراً إلى أن أصبح شاباً يافعاً يود أن يهمس كلمة الحق:

قل لمن يدعي ملكاً في قرية السموعي فهذا وهم من خيال أما الحقيقية فقد سقتها لكم وفي أيدينا الدليل والبرهان من قضاء فلسطين وإن لسان قلمي لا يبحث إلا عن الحقائق فيرصدها في هذا التحليل.

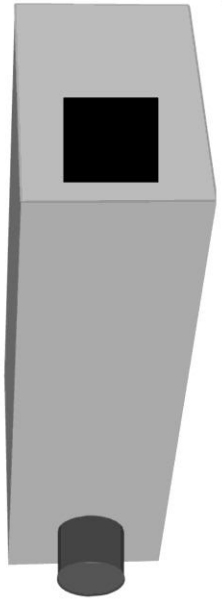

الكوارة

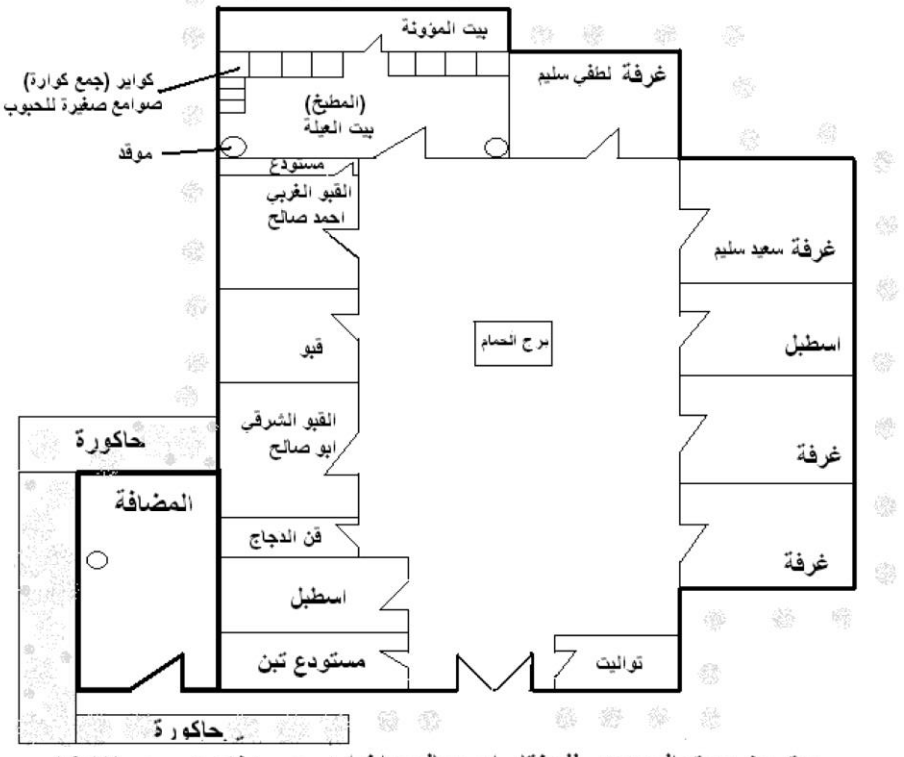

بيت من بيوت السموعي للمختار ابو صالح واخيه احمد وابناء عمومهم ١٩٤٧
تبلغ مساحته اكثر من ١٠٠٠ متر مربع

==========

صفحات من المقاومة المشرقة

ملأت سرج الذكريات بزيت الحقيقة فأضاءت دربي، وأخذت أعزف على قيثارة الوطن، فغمست ريشتي لأكتب لكم كباراً يتذكرون الحدث، وصغاراً للحفاظ على الذاكرة الفلسطينية. أقبلت على دراسة التاريخ في جامعة دمشق إقبال النحل على حقول الأزهار، وراحت أحداث فلسطين تراودني وذكرياتها تختمر في ذاكرتي. فأردت اليوم أن أكشف اللثام عنها ففتحت على الحقائق ستائرها لأروي ما حدث فوق صفحة من المقاومة.

قبل الرحيل عن الوطن، والدخول معاً في سراديب الشتات، ولكي لا أترك تلك الأحداث في خزائن النسيان، فأردت اليوم الكشف عنها، لذا ركِبْتُ زورقي وأخذت أشق عباب تلك الأحداث وأبحرت به.

زادي قلم لا ينضب مداده، ولا تحيد ريشته عن تلك الذكريات. فارتوي من الحقائق ما شاء له أن يرتوي، فأتركها بين أيديكم عبرة وذكرى، لوحة مقاومة.

بصيف عام 1948 اشتدت حرارة هذا الفصل، وبدأت معه مناوشات ومعارك بين العرب والصهاينة، الذين دخلوا إلى فلسطين من أبواب غير شرعية وراحت شوكتهم تقوى يوماً بعد آخر. وبطبيعة الحال كان أهالي قريتي السموعي عزلاً من السلاح ومن الإرادة أقوى صلابة، فتنادى أهل بلدتي إلى عقد اجتماع. وكان والدي أبو صالح مختاراً لتلك القرية. وفي هذا الاجتماع الذي عقد في مضافة البلدة وقد بلغت العاطفة ذروتها. فتنادينا للاستعداد ودفع التبرعات. من نقد وحلي من الرجال والنساء حتى اجتمع بأيدينا مبلغ لا بأس به كفيل بتنفيذ قول من قال: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة حتى النساء تبرعن بالحلي وكل غال لديهن من مال لشراء السلاح اللازم للمقاومة. وعلى الفور سافر والدي إلى مصر وعاد ببعض القطع من السلاح، ولم يكن ذلك كافياً لذا عزم أمره وبدأ يبحث عن مصادر أخرى، فكانت ضالته مدينة الناصرة بفلسطين هذه المرة، وكنت أنا في صحبته، فأحضرنا قطعاً من السلاح الكندي. ووزع الوالد قطع السلاح المتوفرة على شباب القرية وحراسها. فانعم بكل مقاوم..! حَمَل بندقيته ووقف على منافذ حدود القرية.

==========

وفي هدأة ليلة من ليالي (تشرين الأول) عام 1948 حاولت شرذمة من عصابات الصهاينة مهاجمة قريتنا ولكن حماة الديار كانوا لهم بالمرصاد فهب المجاهدون هبة رجل واحد، وكانت لنا مع الصهاينة معركة فاصلة في مكان عرف تاريخياً باسم (المخْيرة) واستطاع المجاهدون دحرهم وقتلنا منهم الكثير فانسحبوا مدحورين مكرهين خائبين. وقصد جمعنا المكان فوجدناه بقعاً كثيرة من دمائهم وتبعثرت قطع من سلاحهم وكان ذلك اليوم يوم النصر والغنيمة فاحتفل أهالي القرية بهذا النصر، ولازلت أذكر ذلك اليوم بكل فخر واعتزاز. وبعد ستة أشهر من سقوط صفد واكتمال النكبة كانت القرية قد حكم عليها بالنسف فانهارت جدرانها لكن عزائمنا لن تنهار بعدها. ولم يكتف العدو بهذا بل نبشوا القبور ولم يكتف اليهود بالمناوشات والاستفزازات، بل كانوا يلجأون إلى كل وسيلة جبن وخديعة. حتى أنهم طمعوا قبل النكبة بأرض السموعي فأشاعوا إدعاءاً كاذباً بأنهم يملكون قطعاً من أراضي أهل السموعي فأظهروا سندات مزورة وكان مستشارهم القانوني المحامي اليهودي (النحماني) (وقد فصلنا ذلك في حكاية جبل الأربعين).

فأقام والدي دعوة ضد ذلك الادعاء في محكمة طبريا مزوداً بالأوراق الثبوتية فضحض هو ومن معه من وجهاء القرية وهيئتها الغراء أكاذيبهم، وربحنا الدعوة لأن الحق كان معنا. وعاد موكبنا إلى القرية ولما علم القوم بنتائج الجلسة، أقيمت الأفراح والليالي الملاح، وأشعلت النيران وقرعت الطبول وغرد المزدوج فعمت الفرحة القلوب وعبروا عنها بالدبكة.

هذه صفحة من صفحات المقاومة التي عرفتها قريتنا فكانت مشرقة دونها تاريخ القرية في صفحاته. وإلى الأبد ستبقى فلسطين كلها في الذاكرة. يتوارث ذلك الإحساس جيلاً بعد جيل.

وها أنا اليوم أتركها للقراء على صفحات مذكرات قرية فلسطينية، لتكون للقراء زاداً، وللأحفاد عبرة وإرشاداً وفيها من التاريخ مَدَداً ومدادا.

وفي ذلك أقف بين يدي القراء شاهداً، صلب العود كالجدود، ما لوى ذراع قريتي اليهود عاشت فلسطين أرض الآباء والجدود.

صلاح أشقر

==========

معركة الديدبة

لقاء من أحد الذين شاركوا في هذه المعركة. ورفض أن نذكر اسمه. لأن التغني بما مضى قد مضى.

هي إحدى معارك المقاومة التي خاضها رجال قرية السموعي البواسل أنهم ثلة من الإبطال يتجاوزون أصابع اليد، خاضوا هذه المعركة على حدود قريتنا مع قرية ميرون.

كان الهدف من المعركة صد هجوم اليهود على قرية ميرون المجاورة لنا. المكان شمال السموعي بالقرب من وادي ميرون، شمال شرق. إذ جاء الخبر من الرعاة عيوننا الذين انتشروا ما بين القريتين.

فهب المدافعون من السموعي يقصدون المكان من سهل إلى سهل، ومن شجرة إلى أخرى، ومن صخرة صامدة إلى أخرى، وكان العدد (13) مقاوماً من شباب السموعي الذين وصلوا المكان، ونزل اليهود مندفعين من طريق مفرق (الأيومه) على زقاق الغار إلى (المخْيرة) حيث كان هناك تجمعهم فأصبحوا تحت مرمى بنادق المدافعين من أهالي السموعي، وكان هدفهم تطويق قرية ميرون من جهة الشرق، فلم يعط لهم المجال فاتخذوا من التين مجلساً لهم تحتها، بعيداً عن ميرون.

فكشفنا نقطة تجمعهم، وكانت فوهات بنادقنا تتابعهم وكانت الساعة التاسعة صبحاً عندما أمرنا بإطلاق النار ، والتقدم حسب المعطيات، كانت المعركة حامية الوطيس. فأردينا من اليهود (50) قتيلاً وكانت صيحات أوجاعهم وخوفهم تدوي في الوادي، وراحوا يسحبون قتلاهم وراحت مدفعية اليهود تطلق علينا نيرانها من عين الزيتون، قرب صفد لفك الاشتباك وإعطاء اليهود الفرصة للانسحاب من المعركة بعد أن تلاشى غبار النقع من فوقنا.

==========

وفشلوا في دخولهم إلى ميرون، أو التقدم نحو قرية السموعي، واستمرت المدفعية تطلق هجوم معاكس من زقاق الغار على كرم دار حميّد بميرون ـ وفشلوا في مسعاهم. لكن اليهود واصلوا انسحابهم مع قتلاهم. وعلى الساعة الثالثة بعد الظهر لم يعد الوادي يردد صدى الرصاص.

وأفشلنا هجوم اليهود على جارتنا ميرون التي استلقت على سفح جبل الجرمق، ووضعت المعركة أوزارها، ولكن ما زالت آثارها في ذاكرة من نجا بل حُرم من الشهادة.

وأخبار هذه المعركة يتناقلها جيل بعد جيل. وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم كما قالت العرب في وصفها، (وما هو عنها بالحديث المرجم).

. المخْيرة: أرض ليميرون فيها الكثير من جباب الريحان (آس).

كان الطلاب يستلقون عليها كأنها فراش وثير وكانوا يأكلون منها حبات جب الريحان (الآس) وهم عائدون إلى السموعي.

ومن الأبطال الذين شاركوا في هذه المعركة:

*** فايز أشقر (أبو أسامة)**

*** صالح أشقر (أبو جاد)**

*** فوزي أشقر (أبو حسن)**

*** نايف عبد الغني حسين (أبو محمود)**

*** قدورة عبد الغني أشقر (أبو منير)**

*** محمد عبد الغني أشقر (أبو عاطف)**

*** حميد الحاج (أبو جراح)**

*** ديب اليوسف الحاج**

*** محمد عبد الحسن عبد الله**

*** خالد محمد عبد الله قدورة (أبو يحيى)**

==========

وإذا عدنا إلى نتائج هذه المعركة، ووضعناها في غربال النقد البناء، رأينا أن هذه المعركة لم تكن، لولا الأعمال الجليلة التي قام بها أهل البلدة وعلى رأسهم مختار السموعي الحاج المرحوم عبد القادر صالح إبراهيم أشقر (أبو صالح).

وفي مقدمتها:

جمع التبرعات من أهل القرية، وتحمل مشاق السفر إلى مصر وغيرها لشراء عدد من البنادق، التي استعملت في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، والسيطرة على أجزاء من فلسطين، تحت سمع وبصر المستعمر الانكليزي لفلسطين.

وقد كان أهل البلدة يساهمون في تزويد الثوار في ثورة 1936 بما يحتاجون إليه من طعام وكما أذكر أن المختار كان يأمر بإعداد الطعام من رز ولحم، ويطلب من أبنائه أن يقوموا بنقل طلبات الأكل إلى أماكن تواجد الثوار، بعد أن يرشدهم إليها.

وقد كان المختار عضواً في لجنة إعادة الأراضي التي تباع إلى اليهود من ملاكها العرب.

وقد تراما إلى مسامعنا أن من يخطئ بذلك يكفر عن تلك الخطيئة بإعادة الأرض وإلغاء عقد البيع قانونياً، أو يهدر دمه.

إنه المختار الوحيد الذي وقف في وجه الحاكم البريطاني بشجاعة لا توصف عندما أعلنت سلطة الاحتلال عن ساعات منع التجول المبكرة ليلاً وقد طلب تأخير ساعة سريان منع التجول ليتمكن الرعاة من العودة إلى البلدة من المراعي. إنها شهادة نعتز بها قدمها معلومة للكتاب مختار عين الزيتون.

تلك هي العوامل مجتمعة حتى تم لليهود بالانتقام من أهل القرية بنسف منازلهم، ومسجدهم. ونبش قبورهم علماً بأن أهل القرية لم يغادروها إلا بعد سقوط عاصمة اللواء صفد بستة أشهر.

لقد كانت وصية المختار قبل أن يغادر الحياة وهذا نص الوصية:

إلى أبنائي: إذا تحررت فلسطين أعيدوا رفاة عظامي في قفة لتدفن في تراب قرية السموعي.

ونحن اليوم نحمل الأحفاد تطبيق هذه الوصية ولقد كان لهذا الشيخ اليد الطولى في إرساء قواعد المحبة بين العائلات السموعية.

المختار : عبد القادر صالح ابراهيم أشقر (ابو صالح)

عضو في لجنة اعادة الأراضي العربية المباعة لليهود الى العرب ١٩٤٧

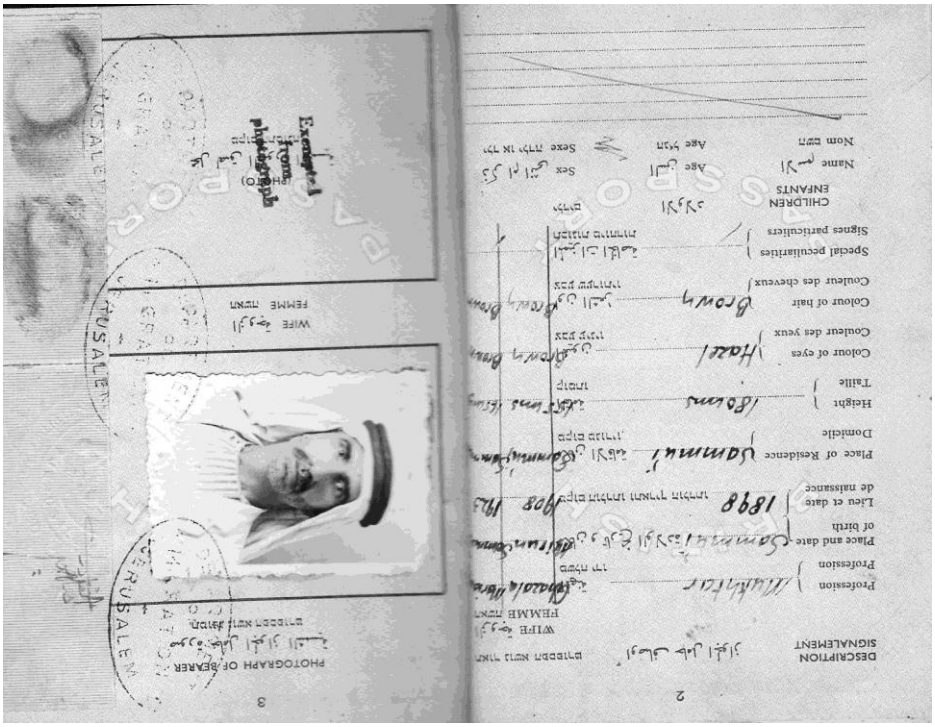

PASSPORT.

By His Majesty's High Commissioner for Palestine

These are to request and require in the Name of His Majesty all those whom it may concern to allow the bearer to pass freely without let or hindrance and to afford her every assistance and protection of which she may stand in need.

Given at Jerusalem the 19th day of July, 1945

for High Commissioner.

المندوب السامي نيابة عن

جواز السفر

صادر من المندوب السامي لصاحب الجلالة في فلسطين
نطلب وترجو، باسم جلالته، كل من له اختصاص ان يسمح لحامل هذا الجواز بحرية المرور من غير توان ومع تذليل كل صعوبة في سبيله وان يبذل له كل ما يحتاج اليه من مساعدة ورعاية

حرر في القدس في اليوم ..... من ..... سنة ١٩

פספורט

מאת הנציב העליון של הוד מלכותו לפלשתינה (ארץ
בזה תבוני לבקש ולדרוש בשם הוד מלכותו מאת כל הממונים ברבי לתרשות את נושא התעודה הזאת לעבור בחרות וסכלי מעצור או עכוב ולתת לו את כל אותה העזרה והחגנה אשר יזדקק לה.

ניתן בירושלים היום ..... לחדש ..... שנת 19

This Passport contains 32 pages.

يحتوى هذا الجواز على ٣٢ صفحة

Ce passeport contient 32 pages.

הפספורט הזה מכיל 32 עמודים

PASSPORT. PALESTINE

جواز السفر فلسطين

פספורט פלשתינה (א"י)

PASSEPORT.

No. OF PASSPORT / No. DU PASSEPORT 193409

رقم الجواز

מספר הפספורט

NAME OF BEARER NOM DU TITULAIRE

اسم حامل الجواز

שם נושא הפספורט

Abd el Qadir Efti Salih IBRAHIM

ACCOMPANIED BY HIS WIFE (Maiden name)

مصحوب بزوجته (اسم الزوجة قبل زواجها)

ACCOMPAGNÉ DE SA FEMME (Née)

נלוית אלין אשתו (שמה לפני נישואיה)

Ghazala KAHWASH ... Mariam TAHA

and by children

et de enfants

ו ילדים

NATIONALITY Palestinian citizen

الجنسية

NATIONALITÉ

הנתינות

under Article 6 (1) of the Palestinian Citizenship Orders, 1925-41.

مذكرات قرية فلسطينية

وبَعْدَ طولِ الفراق أضأتُ فناراً من القبو (الغرفة) الوسطاني لأرى دربي.. وفتحت أمامي للحقيقة دروباً رَصَفْتَهَا بألفاظي فأوصلتني إلى أبواب قريتنا، وساعدني قلم أخذت أدون بمداد يبقى إذا الطرس احترق يبقى بذاكرة كل من يقرأ مذكراتي. هذا التوكيل. توكيل أتاني من قرية لأكتب مذكراتها القرية التي نهلتُ منها مبادئ القراءة والكتابة من كُتّاب أبي جبر، ومن أول مدرسة ابتدائية بهذه القرية التي أنارت عقول المُتعلمين، يا له من كتاب حضننا.

إنها أحداث عشتها فعبرت عنها بصدق طفل. ورحت أقرع أبواباً أخرى. فاتصلت بمن هم أكبر مني وعاشوا في فلسطين فأخذت عنهم عما حدث. فأضاءت لي أخبارهم طريقي إنهم قد عاشوا الحدث. ولما سمعت ما جرى عايشت الحدث وأحسست به وعبرت عنه بصدق فني لا يقل أهمية عمن عاشوا الحدث. وفي سبيل ذلك كان علي أن أرتحل لأتصل بمن عاشوا الحدث. وقذفت بهم رياحُ الغربة إلى عوالم أخرى. إنه صدق التدوين في تحري الحقيقة والسعي وراءها.

يا لها من مهمة كبرى حملتني إياها تلك القرية. قرية حملتني صغيراً وعلي أن أحمل المهمة الثقيلة كبيراً قرية ما عرفنا في منازلها ماءاً يجري في أنابيب بل يجلب من العين لا كهرباء تُضيء البيوت والطريق فأضواؤها بأسرجة ولم يجد الهاتف طريقاً إليها لكن خطوط الهاتف وأعمدته تمر من حدودها وتأبى أن تدخل المنازل أما المذياع فقد عرفته فلسطين مع أول إذاعة إنها إذاعة القدس في (العقد 3 من القرن العشرين). وكان الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان مسؤول البرامج العربية آن ذاك وما زالت قريتي خارج نطاق التغطية لكن موجات راديو فلسطين تمر من سماء قريتي والأطفال يلعبون لعبة الراديو قرية أبت إلا أن تجلس في أحضان الطبيعة يشق أرضها من الشرق طريق السيارات الذي يربط صفد بحيفا ويكاد المرء إذا راقب الطريق أن يَعُدُ السيارات التي تمر عليه.. وإذا دخلت للحارة سيارة سركاسة (تكسي) أو شحن كان عرساً وطنياً لأبناء القرية وعطلة رسمية فيحيطون بالسيارة وكأن قطعة نزلت من كوكب آخر. وهذا لا يعني أن قريتي كانت على هامش الحياة بل كانت في لب الحضارة فتواكبها إذا ما استقرت الأوضاع وشفي الوطن من الأوجاع ما كانت بلدتي قاصرة ولا كان وطني فقيراً لكنها نقلة أخرى من أخريات الخلافة العثمانية إلى وعد بلفور إلى سايكس بيكو إلى احتلال ثنائي إلى فرض الأمر الواقع. مذابح ترتكب

==========

وقرى تدمر ومنازل تتسف. فكانت قريتي عروس المنازل إذ تحولت بعد الاحتلال إلى كومة من حجارة وأتربة. فصادروا حقوقونا بالأرض والعيش بالقرية وجعلوا منا لاجئين في مخيمات نهر البارد والبداوي، واليرموك وغيرها أخرى تبعثر أبناء بلدتي كما يتبعثر ورق الخريف. لكن الحق سيبقى هو الحق وسكة المحراث التي كانت تشق قلب التراب ستبقى من التراث وسكتي للعودة هي طريق طويل وحق لنا ما زال يعيش معي كظلي وقد فاقت نكبتي الخمسين ونحن ما زلنا منتظرين. أهذا حلم بالعودة أم حق فلن يضيع حق على دروب الحياة ما دام وراءه مطالب.. وحقنا أن نعود إلى القرى والمدن التي غادرناها ظلماً.. وعودتنا إلى السموعي حلم من أحلام قريتي ايه سموعتي سأحكي حكايا القرية إلى الأطفال من الأبناء والأحفاد قصصاً روتها أفواه الكبار سوف نروي بأمانة لصّغار فهذه عينٍ من دمشق على بلدتي، وكيف تناثر العقد الفريد ومخيم نهر البارد إلى أين... وبعد ذلك سأرسم لكم مخططاً للمنازل .. وسأحْصى أملاكنا من الأراضي. إحْصَاءٌ يشتمل أسماء الأراضي، عذراً لا مساحاتها... وسأرسل عنك شكر وتقدير إلى كل من ساهم في إعداد هذه التقارير. وكان المساعد الأكبر لنا في مهمتنا عدد المغتربين وإحْصاء بعدد سكان السموعي. وقد لقيت في ذلك كبير المساعدة. وكان المساعد الأكبر لنا في مهمتنا هو الحاسوب.. وإن سألتيني عن الحاسوب فهو جهاز حديث سريع يقدم الخدمات بسرعة فائقة تُرى فيه الصورة ويسمع الصوت وترى الكتابة والحساب والأرقام وهو جهاز يرافقنا فليتك سموعتي ترين ما رأينا من صور فما أجمل الطبيعة حولك فما زالت منازلك كوْمة من ركام كما غادرناك. وسنرسم لك صورة لدماء أبنائك على البطحة وقد توخينا الصدق فيما ندونه من مذكرات عنك وما زلنا نحتفظ بالأفورة والكاره عربون وفاء وبأشهى المأكولات ستبقى معنا حتى الممات.. وقد حكينا في هذه المذكرات عن ألعابنا ، والتعليلة وصندوق العجب والكعكيان. أتذكرين أطفال القرية وهم يقبلون ملتفين حول صندوق العجب والبرجاوي. أتذكرين هذا. وما زلنا نذكر أكثر وماذا عن الساج والطلامي كل هذا ما يزال على المائدة أمامي وزيت الزيتون الذي ذاع صيته. وأشجار الزيتون هل صارت أرامي (حطب).

==========

أحلام قرية فلسطينية

كيف كنا وكيف سنصبح، أنا السموعي، من قرى شمال فلسطين ولي أحلام... غادرني أهلي خريف (1948) جَبراً لا طوعاً بعد أن تركني الغزاة ركاماً من أتربة وحجارة. وبنوا ليس بعيداً وبأرضي قرية لهم سموها (كفار شماي) أنا السموعي أنا الوريث الشرعي لأبنائي، ولا أقبل إلا بعودتهم إليَّ، لا وريث لي ألاّ هم، وأنا لهم هم الذين بنوا منازلي وعملوا بالحقول التي تحيط بي. هم الذي فرشوا صدري بالبيادر، هم الذين شقوا طريقين لهم على البطحاء كشريان لي يروينـي بماء العين أسفل الوادي وهم الذين أمضوا نهارهم في الحقول والبساتين يكدحون يحرثون بالمحراث،، أو يبذرون، يرعون الأرض يزرعون البساتين، يحصدون، ويدرسون، أو يجنون المحصول، هم الذين سقوا هذه الأرض بحبات من عرقهم وبقطرات من دمائهم. هل لكم أن تسمعوا أمنيتي وحلمي.. أرغب بالعصرنة والتحديث فأحيل أدوات العمل إلى المتحف. أنا السموعي وأرضي الصابرة ما زالت تحلم بعودة أهلها من اللجوء أو الغربة انتظرتهم. ما تسرب اليأس إلى صدري، ولا خفق خوفاً بل خفق حباً لهم، أجل أحببتهم وما بدلت حبي عنهم مهما يطل انتظاري سأعانقهم عندما يعودون وسندخل في عناق طويل، ونشرب القهوة السادة بفناجين مقلمة كالقنابيز الفلسطينية، سأزرع لهم الحواكير زهر الياسمين والنرجس. سألبس لهم أحلى ما خبأت في صناديقي تحت الركام من ملابس، سأبسط لهم بساطاً سندسياً سأضع على الموائد أشهى المأكولات وأزينها من البساتين بالورد البلدي وما زال لساني عربياً. لغتي عربية وأحبها أنا السموعي أحلم في إدخال الماء إلى المنازل بالأنابيب ويصب في أحواض الحمامات ويجري في صنابير ويتدفق منها شريان الحياة. ولقد جعلنا من الماء كل شيء حياً.

أنا السموعي أحلم في بناء المرافق العامة والملاعب ودور العبادة. وسيدخل أحفادي إلى المدارس ولا يشقون في السعي إليها. وملاعب لهم بدل اللعب على البيادر وأحلم بشراء حصادات. وهنا تحال البيادر على قائمة الاحتياط. والمناجل ذكريات.

أنا السموعي أحلم في إدخال الهاتف الأرضي والمحمول ليتم الاتصال بيني وبين الحقول لأطمئن على سير العمل. ويستطيع أبو مديرس أن يتصل بأبي الشوك. بدل أن ينادي عليه ويصرع الدنيا أنا السموعي أحلم بإدخال المذياع إلى كل منزل... والتلفاز إلى كل دار. أحلم بالعصرنة ولكن حلمي الكبير في استعمال الحاسوب،... وقد ترامى إلى سمعي أن أهل السموعي قد جعلوا لهم على الحاسوب بريدا الكترونياً يتواصلون من خلاله وللسموعي (ويب صايد) ولي مَوْقع على الإنترنيت واستعملوا هذا الموقع في البحث عني وتجميع الصور عني وعن أخباري إذا ما الربيع كساني ولبست ثوب أحزاني إذا ما هاتف من عندهم ناداني.

أنا السموعي أحلم بكل هذه التغّيرات. فإذا تحضر العصر تحضرت كلمات وألفاظ الشعوب. وأصبح العالم بفضل عصر الحاسوب قرية صغيرة يتواصلون بسرعة فائقة وقد علمت أخيراً على موقع السموعي إنكم تكتبون عني فما أحلى أن يبر الأبناء آباءهم ويحسبوا حسابهم وفي الكتاب إحصاء عن عدد سكان السموعي قبل النكبة واليوم. وقد قرأت على الموقع قائمة الإحصاء وتشتمل على اسم المغترب، مكان الاغتراب، عدد أفراد الأسرة. ملاحظات (هاتف . البريد الإلكتروني) .

أنا السموعي: أفتخر بأهلي فقد ارتقوا سلم الحضارة. فمنهم أصحاب المهن، والأساتذة، والمهندسون والأطباء والشعراء والكتاب بل العلماء وقدموا للإنسانية خدمات جلي فهل من منصف لإحقاق الحق لهم. فهل يخدمون بلدهم يوماً أنا السموعي لي حلم وحلمي الكبير يوم يعم السلام ويعيش الإنسان كإنسان بجانب الإنسان بلا حروب ولا مجازر في حب ووئام... أنا السموعي كغيري أحلم فهل تتحقق أحلامي ويصل لآذان الدنيا مرامي أنا أحلم أن يكون لي متحف أضع فيه لوح الدِراسة (النادر) والكدانة . والمحراث . مضارب لعبة الحج والشكوة وكرات من قماش . والعواتيل . سرج . مجوز . حمالة . المِنصْب . فناجين القهوة السادة . طنبر . عجلات طنابر تاريخية . مناجل . الساج . الكاره . مواقد النار العارسة وحُلمي أن تكون لنا حدائق عامة للجلوس ومساحات خضراء يلعب عليها الأطفال. ومقاعد للجلوس عليها وأراجيح للصغار... وأحلم أن نقسم بلدتي إلى شوارع مضاءة ومنازل لأهلها مشتاقة عصرية البناء مضاءة بالكهرباء وأحلم غير هذا وأكثر أنا قرية فلسطينية أنا السموعي.

يا سموعتي أنت الحب الكبير للوطن.. ما بال عبوة تركناها هناك تجول بين حبات الزيتون التي أهملتها أنامل قاطفيها، فعلت مختبئة، تحتجب وتسفر وما بال مساسها أمازال؟ يباهي العبوة بطوله فطال حبات علت وانزوت. خذني إليهما.

*** المساس: عصا تستعمل لفرط الزيتون وهي طويلة.**

*** العبوة: مربوعة الطول تستعمل لنفس الغرض وهي أقصر من المساس.**

أنا السموعي، لست أنانية ولكني إنسانية أحب الناس جميعاً وأمْنَحُ خيري لناس جميعاً أنا كالنهر في عطائي على ضفافي النماء والعطاء، أقدم خدماتي للإنسانية كافَّةً ما عندي عقدة نقص أو تمييز أعامل في نَفعي أبناء البشر كافة سواء بسواء بلا كبرياء أنا التي قُطفتْ من حقولي الخيرات لناس كافة وأنا التي أمنح زيت زيتوني لناس عامة للغذاء وصناعة الصابون الذي يزيل الحقد من النفوس وجبني عكاوي أو نابلسي وحلاوتي من الشام.

لا فرق عندي بين الأجناس، كلهم أبناء آدم وحواء وفي قلب تربتي الخير كامن ذاك هو أنا ويَعُزُّ علي أن أرى أبناء من بلدتي في المخيمات يسكنون، تعجز الأقلام عن وصفها ما أجمل أن يسود العدل في الدنيا ويعم الناسَ جميعاً دون تمييز، أين يكون العَدْل والاستقرار.

أنا السموعي. وقد حفظت في قلب ترابي رفاة الآباء والأجداد. الذين أخذت عنهم فصاحة اللغة العربية. والفصاحة تعني الإبانة والوضوح وهكذا أنا واضحة في توزيع حبي على أفراد الإنسانية. لأن الدنيا ليست دار بقاء بل هي دار فناء ويقول فكتيور هيجو «يلد الإنسان ويخطو أولى خطواته نحو الموت» وحبي لبلدي قد برى جسدي، فقد طال انتظار لقومي فما تسرب القلق لنفسي وسأبقى على الدوام منتظرة. في الليل أسهر وحيدة أعد نجوم السماء وإذا بزغ القمر ألبسني ثوباً فضياً. وفي كل فصل أخلع وأرتدي. والذئاب حول سياجي تزورني ليلاً وتختفي أحياناً تحت هياكل منازلي التي صارت كومة واحدة ومما أثلج صدري وأدخل السعادة إلى قلبي حلمي بأن يُشارك أحفادي من أهل السموعي من الجيل الثاني والثالث في الحركة الثقافية التي تستعد لها دمشق لتكون عاصمة الثقافة العربية لعام (2008) م فلنكتب ليقرأ أشقاؤنا العرب ما تحلم به قرية فلسطينية سعادتها أن يعود أصحاب الوطن إلى وطنهم، وأن تعم الثقافة.

وحلمها أن يترك أبناؤها ذخيرة من المؤلفات تليق بدمشق نضيفها إلى المكتبة الظاهرية وإلى مكتبة الأسد. وتحتل الصدارة على رفوف المكتبات أنا السموعي أحلم كل يوم وحلمي يكبر أتفاعل مع الأحداث فكل شيء سأراه بفضلكم على المواقع العربية أنا قرية عربية من فلسطين شقيقة لكل قرية عربية من الخليج للمحيط وحلمي كبير.

أحلم بأن يبني أحفادي في السموعي مستشفى ومستوصف، وأن يكون على أرضي نادي للألعاب الرياضية ومسبح مغطى بارد صيفاً ساخن شتاءاً. بدل السباحة في جابات العين أو في مخزن الماء. وأحلم أن تكون القرية عصرية لها سوق ودكاكين لتقديم كافة الخدمات. ومطعم يقدم أشهى المأكولات الفلسطينية. وَنُزولاً تحت رغبة الشباب سنبني لهم كفاتيراً... شعارها ممنوع التدخين.

أنا السموعي أحلم كما يحلم غيري من القرى الفلسطينية أن تكون أرضي ملكاً لأصحابها العرب وتزرع بما تزرع به الأراضي الواقعة على ضفاف المتوسط. ولا يسمح لهم بزرع الدخان. وبذلك نكون قد حكمنا على المسطاع بالإحالة على التقاعد. وحلمي الأخير أن يبنى فندق من عدة طوابق يحتوي على غرف النوم والحمامات والصالات والردهات ومطعم عصري وملعب للغولف مكشوف. ومطعمي يقدم أشهى المأكولات الفلسطينية، ومكتب لحجز التذاكر، ومصرف مالي، وميدان واسع للخيول العربية الأصيلة أنا السموعي: هذه هي أحلامي أرفعها للباب العالي، وحذار أن يقول أحد مالك ومالي، وسأضع أحلامي هدفاً أمامي، ويد الله مع الجماعة. أنا واحدة وبالقرى الأخرى نصبح جمعاً وجميعنا أقوى، فهل تسمعون شكاتنا وتحققون أحلامنا في التغيير وتقرير المصير فهذا جزء من مذكراتي وعودة أبنائي هي أقصى غاياتي.

==========

نصائح القرية لأبنائها

أنا السموعي: أدعو أبنائي إلى شد الحزام، سوف تتحرك بنا مركبة الذكريات، لأنثر على سمع الدنيا تاريخاً فمنذ الأزل تكونت أكمة عالية تناطح السحاب، ومع الأيام والسنوات بنيت على قممي منازل وحارات ودبت في أركاني الحياة وشقت على أطرافي البيادر ورصفت، ونقل إليها قمح سهولي غذاءاً لأبنائي الذين شيدوني قرية على قمة تلك الأكمة والبطحاء مني وقد تدحرجت لنقل الماء من العين. مسالكها صارت مطروقة وزينت بما جاورها من سهول وَمَزَارِعَ وخلات وبساتين. أَصْغَيتُ لمن دبوا على أرضي، وسمعت منهم عدة لغات. لغات محتل، وفاتح وغزوات ومكتشفين وما راق لي إلا العربية. لأن لساني عربي، وقد كان بناتي على تلك الأكمة عرب أقحاح من العَرَبِ الخُلَّصِ وقد علموني العربية. فأصبح لساني عربياً. فأحكي مع أبنائي بلسان عربي مبين.

أنا السموعي: وعلى أطراف سهولي نبَتَتْ الأرصة عنيّ دوائرٌ دوائرُ كأنها صحون طائرة أو اسطوانات وباتت على ضفاف الكروم ربيعاً ساهراً. فكم حكت للأجيال. وفي أطراف جبالى نما الزعتر غذاء للإنسان وعطراً للمكان غذاء الصباح مع الزيت من زيتوناتي، وأقداح الشاي الساخنة. أنا بلاد الزيتون والخروب أنا مواطن الشومر والكلخ والعكوب، غذاءاً لذيذاً للآكلين. ونرشف معاً في المضافة القهوة العدنية.

أنا السموعي وَفِيَّ مَوَاطِنُ الجمال حيثما سرت، وكم رددتْ خلاتي صدى الميجنا والعتابا على همس السواقي وأنين المهباج. أنا عقدة الشريان الأبهر للوطن بين حيفا وصفد، كل هذا أنا وأكثر أنا الجمال في معبد الجمال وهيكله. أنا التاريخ الذي سهر مع نجوم السماء. ورأى الأقمار تخترق فضاءاتي. وتنقل لدينا حكاياتي، وصوراً من دماري. رأيت كل الحضارات. وللعرب فيها إمارات أنا التي نما على حفاف الكروم والخلات شقائق النعمان فتمايلت مع نسماتي، ونما على

أطراف البساتين بساط من الأقاحي. وفي كل يوم أصغي لصوت فأس يَهْوِي على أرضي وقديم شجراتي. ويشق بطن ترابي أنا السموعي التي رأت من عليائها أشجار البلوط تشمخ على سفوح

تلالي... وأرسل البطم أفورات من حَبّاتِي، وعبقاً وصل إلى كل نادي. هي الطبيعة الغناء من حولي. أنا السموعي التي تربع الجمال على عرش فوق سفوح تلالي واخفق الرسام في إبانة قسماتي أنا المنازل التي كانت تعج بأبنائي... وحَوّلني الغزاة إلى ركام وقطعوا أنفاسي وتراكمت حجارتي فهل تعود إلي أنفاسي بعد أن كان الجمال يمشي مزهواً بين حارتي...!؟

أنا السموعي. أنا تاريخ لأبنائي وفي جوفي قبور الأجداد حوت طيب الرفات وعبير الرفات أنا من يصونُ ذلك الرفات لأنه عبق الأجداد وقد سكنوا بأوسع ساحاتي وعانقتهم بذرات ترابي أنا التي خلع على الجمال ثوباً من جمالي وَوشحت لذكرى شالاً من ذكرياتي وفي جوفي صناديق حوت ملابس ودفاتر الذكريات فهل بينكم من يعيد التنقيب عن صدفاتي... ففي جَوفي تاريخ وما التاريخ إلا كيف عاش أهل الماضي، واستشراق للآفاق. فمن يحكي لدينا مذكراتي...؟ يكون مَرْجعاً لأحفادي وانبرى من بين أقلام السموعي قلم راح يرصد مذكراتي فقدم لقراء العربية تاريخي بدون زيف بل بصدق أحساس ونظم أفكار وَرَصَد الأراضي وسماها بمسميات فالسموعي عشق وأغاني، وذرف على جبل السنديانةْ عبَّرات من عبراتي نقشت بذاكرتي وعرج على أطلال سيرين وجعل من المجوز أعراساً وتذكاراً لحضارات.

إيه أيتها الأمهات الفضليات أحمل لكن في جوف بطني في صناديقَ لكُنّ أسكنوها في أعماقي حلو الذكريات ثوبَ عرسٍ أو فستاناً لسهرات، ودفتراً للمذكراتَ وأحزمة من جلد وقماش من أعراسكن وأقراط وحلقات.

وأكبر حماقة أقترفها محتل لبلد... نسف المضافة رأساً على عقب وفي داخل خزائنها ملفات القرية كاملة تداعت ونالت من البلل ما نالت ومنها ما أُخِذَ لكي لا تكون مرجعاً لها ولا إليها أرادوا قلع الجذور وطمس الحقائق وطيها ولكن هيهات. وفي خزائن البيوت وصناديقها دفنوا الحطة والعقال بل راحوا يمحون من الوجود القنابيز.. ولكن هيهات لهم ذلك فأنا هنا لهم بالمرصاد أكشف زيفهم للأنام، وأن ما فعلوا كان في التاريخ أكبر إجرام. ذرفت دمعي على كسرهم فناجين القهوة وتحطيم دلاتي وطمس آهاتي وقد ترامى إلى سمعي أن أبنائي في المهاجر جمعوا من مذكراتي أدق الأخبار وراحوا ينظمونها كتاباً بجمع أخباري نثراً. فطاف كاتبه شرقاً وغرباً لجمع المعلومات وكون خلية عمل في كل مدينة أو مخيمات فورد الينابيع الصافية لأخذ معلوماتي، فحكم العقل وَصِدقِ الموادِ. وكان واقعياً في رصف الكلمات، وسوف نسعى لتقديمها للقراء في ثوب فضفاض سهل التعابير والكلمات. جعلناه ناطقاً بالعربية للكبار والصغار لأن الصغار بناة الغد ورجال المستقبل الآتي وهم الذي

==========

سيقرؤون حكاياتي، ومُرَّ مأساتي حبذا لو أن الكتاب ينقل إلى عدة لغات، فخاطب الناس حسب اللغات، ليعيشوا مأساتي وليقفوا على حقائق ما جرى لنا وربما لما هو آتٍ ومن يدري ما هو الآتي؟ فكم أكون سعيدة لو ترصدون لحياة واحدَ من أبنائي وصل إلى أعلى المرتبات فبثو ذلك في مذكراتي بعد أن تفرجوا على رسم صورة من مذكراتي لتكون على موائد القراء ورفوفهم فإذا كان الطعام هو الغذاء النافع للجسم فليعطيه ديمومة الحياة، فإن المطالعة هي غذاء للعقل الذي يعطيه معارف شتى ويفتح له على الدنيا فوائد من المعارف. المختلفات ووصيّتي إليكم أن تسلموا مهمة الكتابة إلى من عاش مع اللغة العربية وامتلك ناصيتها ومارس الكتابة بها ليكون عمله كاملاً جاهزاً للقراء ليغرفوا من معينة كؤوس المعرفة. وليكن ميالاً إلى الشورى لأن الشورى لا تنقص من مكانه طالبها. بل تعينه على أن يشق لنفسه جدولاً يبحر فيه زورقه إلى شواطئ المحيطات. إذ لا يمكن لطائر أن يحسن الطيران إذا لم يكن له ريش صغير وآخر كبير. فالخوافي قوة للقوادم.

وليكن كاتبنا ممن يقبل النصيحة وألا يقبل النصيحة إلا ممن يمحضه النصيحة والنصيحة خالصة لوجه الله وليكن واضح الخط جلية لأن وضوح الخط نصف الفهم ونصفه الآخر القراءة المعبرة بدون تعثر حبذا التواضع وطول النفس في جمع المعلومات وإحالة تلك المعلومات على العقل وتقليبها. لتكون جاهزة للتدوين وليكن شعاركم عدم التسرع حتى لا ينفلت خبر أو نقصر في آخر ولا تُهْمِلَنَّ رأي الصغير لأنه سيكون في المستقبل رجل المستقبل. فقدموا للصغار ما يليق بمستواهم من حكايات القرية وألعاب أطفالها وأغانيهم ذكوراً وإناثاً.

==========

عين من دمشق على قريتي

أنا أكتب ليقرأ غيري، وأصمت إذا تكلم غيري وأصغي أكثر من أن أتكلم وأكتب لأقول متى تشرق شمسنا من جديد؟ كما كانت تشرق كل صباح واليوم ترتدي بلدتي ثوباً من جراح وتغرق. وجبل الأربعين يرتدي قبعة من اخضرار، وتغرق زاوية الأفق أمام ناظري بمياه بحيرة طبريا الزرقاء. وتتوشح صفد بملاءة من جمال، ويشمخ كنعان مزهواً يصغي لي ويرى عروس المنازل وقد فرشت الشمس لها بساطاً على أسطحة المنازل الطينية، فبدت قصوراً لناظرين وبيت عز وكرم لطارقين. إنها وطني الصغير الصغير الكبير الكبير...

هكذا كانت قريتي على خط عرض 260 وطول 190 تتربع قريتنا على صهوة تلة منذ الأزل كأنها معبد جمال للأجيال واحدة من قرى لواء الجليل التي انتظمت في عقد من لآلئ وقعت كغيرها منذ فجر النكبة بالأسر. لم يتمكن أحد من فك قيدها، وفي أيدينا سلاح الحق. فلن يصدأ سلاح في يد مطالب للحق وفي كل يوم نسجل على صفحات نكبتنا حكايا قرية أدمى الأسر معصميها لأنهم وأدوا الحق تنادى صفداً فدوى صدى صوتها بذرا كنعان واهتز الجليل حزناً عليها، وكفكف جبل السنديانة دمعها الذي روى خديها.

حكت لدينا حكاية أسرها، وترنحت قرون الخروب سكرى وروت عمدان الزيتون لدنيا حكايتها، وهدل الحمام على الأيك حزيناً، وناح الحجل شوقاً ولاحت أغصان السنديان فأنحنت مقبلة ترابها وتساقط البلوط وآثر أن يمتزج بترابها. وأثقلت وطفاء قريتنا، وعانقت ذراها وسقت حواكيرها، وغمرت بطحاءها ماءاً صافياً فامتلأت جورة الماء هناك على الصخرة الصماء كنا يوماً نلعب صغاراً حولها ونغرف الماء صافياً منها فحرمنا من رؤيتها كباراً، ما زلنا نراها في أحلامنا ويكبر الحلم معنا. وصار أحلاماً وهاجرت معنا عبر البحار أحلامنا.

وأخذت ضاضنا تروي لدينا مآثرنا. وخيم ليل على كلماتنا. وتمتمت شفاهنا وجمعت أقلامنا مآثر لنا، تركناها في دفاتر الذكريات هناك. فأينعت ثمار الشوق إليها وحان لنا قطافها وعلى صفحات الشوق أضفنا لتلك الدفاتر ما حل بهجرتنا. وأرسلت من أهدابها سهاماً من شوق.

==========

وراح قلمي راصداً لها، يدون عنها، سأتركها من بعدي ويتركها للأحفاد كل من ساهم في رسم صورة لقرية تعيش في ذاكرتهم كما عاشت عبر العصور أشجار البلوط في أراضينا جذورها في أرض الوطن وفرعها يسبح السماء فمالت أغصانها مع كل نسمة شوق هبت عليها من تلقائنا عند الأصائل. وقرع الشوق منازل القرية التي هوت جدرانها وطمرت أبوابها.

فلم نسمع جوابها وانبعثت من خلالها أصداء حواري معها وانبعث منها صهيل خيولنا، خيل تبحث عن فرسانها أخذت تتسلق طريق البطحاء عائدة وما بال حمائم باتت تنتظر، هديلها يطرب سمعي وشكواها تترك في ثنايا أسطري أنيناً وحزناً على فراقها. تنادي أهلها، وجبل الشيخ وقوراً يصغي لي ويملأ آذاني سرب من الحساسين راح يعزف أجمل الألحان من تغريد، لا تدانيه حساسين العالم جاءت لترد من العين. وحطت على ساقية تنحدر واختفت بين الأرة فأسمع معي هذا العزف السنفوني، خرير ساقية وتغريد حسون فإذا الكل يلتقون في لوحة ما زالت ذاكرتي تستدعيها من صفحات الطفولة.

إنها زاوية من زوايا الجمال في لوحة زيتية بريشة فنان سميتها بلدتي... وعلى صفحات هذا الكتاب سنكمل هذه اللوحة بريشة غمستها في جراحات الوطن. ستعيش لوحة آخذة بالألباب ستبقى في ذاكرة الأجيال وكلما بعدنا عن لوحتنا زادت جمالاً ووضوحاً كما يقول الرسامون.

وهكذا يزاد حبنا لبلدتنا كلما بعدنا عنها على دروب المهاجر، كما يزداد حب الفنان للوحته، كلما ابتعد عنها فأصلح شأنها وإذا اقترب منها طمس عيبها. فمن بعيد أرى بلدتي لوحة رائعة الجمال بهية الكمال بهيبة وجلال رسمها قاسيون للأجيال.

قريتي صارت بقايا ديناصور بعد نسفها من الغزاة

العملة الفلسطينية المتداولة قبل الـ1948

==========

الفلامينكو وأبناء قريتي

قف دون رأيك في الحياة مجاهداً..

لم أقصد (بالفلامينكو) بما عرف عن الأسبان برقصتهم الشهيرة (الفلامينغو) بل قصدت بالفلامينكو، ذلك الطائر المائي صاحب القوائم الطويلة، الذي يمضي حياته واقفاً على قدم واحدة بالتبادل. أنه الطائر المهاجر الذي تكتنف هجرته طقوس معينة. ويمضي سحابة عمره واقفاً قد أبيضت قوائمه من الملح الأبيض... حتى يذوي وسأحاول أن أتحدث هنا عن أسباب هجرة أبناء بلدي من وطنهم فلسطين لا الحديث عن أسرار هجرة (الفلامينكو) ربطاً بين الهجرتين هجرة أبناء فلسطين أولاً. فما هي يا ترى أسباب هجرة عرب فلسطين عام (1948)م حسب رأي الرأي الآخر ممن اغتصبوا فلسطين ولنا الحق أن نحتفظ بحقنا ونجهر بآرائنا فالرأي قبل شجاعة الشجعان فهم يقولون أن تلك الهجرة تعود لأسباب. أحاول أن أقدم لها إيجازاً وأزيح الستار عن حقيقة الأمر وأجيب عن سؤال لقارئي كيف تم للغاصب أن يبعد صاحب الأرض عن أرضه.

ـ يقولون أنه كان بسبب هجومهم العسكري المباشر أما نحن فنقول لقد كان هجوماً عسكرياً منهم علينا كان إرهابياً في كل المقاييس، غير متكافئ في ظل الاحتلال البريطاني لفلسطين.

ـ ويقولون لقد تم بالطرد على يد القوات اليهودية الطرد المتوقع بأية لحظة، أما نحن فنقول بأنه هجوم غير متكافئ فلا يرحم بأسلوب قائم على الخدعة، والتحالفات وعديد الإمدادات لهم وفي هذا يتجلى للمتتبع عنصرية الغازي فكنا نحن معشر الفلسطينيين الوقود والضحية.

ـ ويعزون ذلك خوفاً من هجوم يهودي متوقع بأية لحظة والواقع أنه هجوم لا يرحم قائم على المذابح

ـ ويقولون بأنها هجرة تركت الإحساس لدى عرب فلسطين من خوف بعد سقوط المدن والقرى المجاورة من تأثير على المعنويات فصارت القرى تهوي قبل أن هوت. فكانت حرباً نفسية وما أنجر عنها من خوف دفع الشيوخ والأمهات خوفاً على أطفالهم فقرروا النجاة قبل أن

تحل بهم ساعة الموت في ساحات القرى العامة. ويلقون الجثث في آبار الماء كما حدث في قرية الصفصاف المجاورة ليقضوا على الحياة، لأن الماء هي الحياة... ولا حياة بدونها.

. إنها حجة هاوية أن يقولوا إنه الخروج الاختياري، فهل هناك من اختيار وموج المنايا متلاطم لم يخرج أحد مختاراً أبداً بل خرجنا قصراً لهول ما رأينا من مذابح

وقد يخامرني سؤال هل كانت هجرة أبناء قريتي كهجرة طائر الفلامينكو؟ بقوائمه الطويلة وريشه الأبيض الوردي فكم سفكوا من دماء على ثرى بلادنا

ـ فهل قتلوا طيور الحمام رمز السلام؟ وإن جهلوا فليعلموا أن عدد القرى المهجرة بلواء صفد (78) قرية وكانت كطائر الفلامينكو في هجرتها. فهل ستكون النهاية واحدة...؟

وفي هذا الكتاب سوف أسلط الأضواء على واحدة من تلك القرى إنها قرية السموعي وفي كتابي سأنقل إلى الدنيا عما جرى لنا، ولن نقف على الأطلال ونذرف الدموع عليها سوف ننقل للدنيا آراءنا، ونعكس في كتابنا وجهة نظرنا. فنحن بعد الله نعتقد بعدالة قضيتنا وأن حرية الكلمة هي أول باب نقرع به أبواب الديمقراطية. فإن أرادوها كذلك فنحن لها وما زلنا نخطو على خطواتنا منذ فجر حضارتنا العربية لقد كانت هجرة أبناء قريتي واضحة المعالم منذ أن غادروا قصراً فلسطين عام 1948م وأصبحوا نزلاء المخيمات كلاجئين في البلاد العربية المجاورة ومنها هاجروا إلى بقاع الدنيا بحثاً عن تحسبين أوضاعهم، أو طلباً لعلم، وانتظاراً لعودتهم التي طالت كان عدد اللاجئين أثناء النكبة معلوماً بعد أن تجرعوا كأسها فهم 248 . 52.

بلغ عدد سكان قرية السموعي قبل النكبة 308ن.

لقد كانت أراضيهم ومنازلهم في فلسطين معلومة لكننا نجهل نفوسهم فكان علينا أن نقوم بذلك أما الأحفاد من الأجيال فهم يجهلون أخبار قريتهم وتاريخها فكان لزاماً على الجيل الأول أن يقوم بهذه المهمة قبل أن يقضي الجيل وتضيع الحقائق وهذا ما سيضع القارئ يده عليه في هذا الكتاب.

(انظر الجدول المرفق)

أهالي السموعي في العالم

فلسطين (بيت جن)	4
سوريا	150
لبنان	1100
الأردن	180
الإمارات	40
السعودية	15
قطر	5
النمسا	1
بلجيكا	3
ألمانيا	120
الدانمارك	37
السويد	10
النرويج	22
المملكة المتحدة	2
الولايات المتحدة الأمريكية	145
استراليا	37
كندا	64
هولندا	3
اليونان	2
المجموع	1940

==========

وليعلم من يريد جدل الحقيقة

نرى لنقد وجهان، أما الحقيقة فلها وجه واحد وهي أن الجليل كان عربياً مائة بالمائة والجليل جزء لا يتجزأ من فلسطين العربية وفلسطين جزء من الأمة العربية.

ثم شرع أصحاب الرأي الآخر بالتطهير العرقي لأبناء فلسطين كما يرى مؤرخهم Ilam Poppe في كتابه The Ethnic Cleansing Of Palestine لقد دخل إلى المصادر الإسرائيلية واقتبس منها واعتمد في مصادره أيضاً على شهادات الأحياء ممن نجوا من مذابحهم من مجازر طيرة حيفا في 1947/12/11 إلى خربة علين في 1947/1/19 وأبشعها ما ارتكب من تطهير عرقي في الطنطورة فقد كان تطهيراً منظماً قتلوا حوالي (500) عربياً ويكفي أن أشير إلى ما ارتكب من مجازر في مدينة صفد وما دار في فلكها من قرى عربية كمجازر عين الزيتون حيث قتل المئات وأبلى السوريون بلاء حسناً ومقاومة شديدة مع أشقائهم من عرب فلسطين وقد بلغ عدد المجازر التي ارتكبت بالجليل (31) مجزرة بأيدي اليهود. بل لاحقوا الناجين الذين اتخذوا من المخيمات بلبنان ملاذاً لهم فكانت صبرة وشاتيلا الحقد التطهيري الأعمى وغيرها كثير لأن المجال يضيق إحصاءاُ.

ويكفي أن أقول أن ما حدث في كفر قاسم كان قاسماً لظهر لكنه سيبقى عبرة لدهر فهل هناك من يعتبر فكان لواء الجليل مسرحاً لأبشع الجرائم التي ارتكبها الإنسان بحق الإنسان.

فهل نحن كطائر الفلامينكو نلقى مصيرنا ونحن على شاطئ الحياة واقفين...؟

وفي هذا الكتاب سوف أسلط الضوء على واحدة من تلك القرى. أنها قرية السموعي وفي كتابي سأنقل إلى الدنيا عَمّا جرى لنا، ولن نقف على الأطلال ونذرف الدموع عليها سوف ننقل لدنيا آراءنا، ونعكس في كتابنا وجهة نظرنا. فنحن بعد الله نعتقد بعدالة قضيتنا. وإن حرية الكلمة هي أول باب نقرع به أبواب الديمقراطية. فإن أرادوها كذلك فنحن لها وما زلنا نخطو على خطواتها منذ فجر حضارتنا العربية لقد كانت هجرة أبناء قريتي واضحة المعالم منذ أن غادروا قصراً فلسطين عام 1948م وأصبحوا نزلاء المخيمات كلاجئين في البلاد العربية المجاورة. ومنها هاجروا إلى بقاع الدنيا بحثاً عن تحسين أوضاعهم، أو طلباً لعلم، وانتظاراً لعودتهم التي طالت كان عدد اللاجئين أثناء النكبة معلوماً بعد أن تجرعوا كأساً فهم 248-52.

بلغ عدد سكان قرية السموعي قبل النكبة: 308 نسمة ومساحة الأراضي 15135 دونماً للعرب ترتفع القرية 675م عن سطح البحر.

اللباس الشعبي المتداول في السموعي قبل 1948

==========

طال المشوار في حصاد الأفكار

جداول من أبناء بلدي، تلاقت في آرائها، وراحت تروي بذكرياتها حقول الأبناء والأحفاد، تاريخاً، ينقش في ذاكرتهم لا ينتسى مهما امتد بهم طول البعاد عن قريتهم. راحت تلك الجداول تروي ورحت أدون على الأوراق تلك المذكرات. فرأيت تلك الجداول تنثني بتلك الأرض الطيبة لتروي الحقيقة ورحت أغمس ريشتي في حياة قريتنا ومن تلك الحقائق والذكريات والقصص والحكايا حاولت أن أرسم للمذكرات، تلك، ألوانها فبنيت للحقبة مداميك لأعيد بناء تلك المذكرات حية في ذاكرة الأجيال لتكون ماثلة أمامهم، لعلي أستطيع أن أعيد ترتيب أحداث الماضي، وحكايا القرية ماثلة أمام الأجيال. فاتخذت من الماضي ألفاظه وتعابيره التي كانت سائدة على ألسنتهم لأعيد للقارئ أولاً وللحفيد ثانياً واقعية الكتابة، ورسم الصورة كما كانت أتتبع بفضل تلك الجداول خطاً الماضي فأعيد بأسلوب سهل ممتنع مذكرات قرية فلسطينية لتبقى نبراساً للأجيال من بعدنا وراحت تلك الجداول منفردة تارة ومجتمعة تارة أخرى بالنصاب أو بدونه تجمع لأفكاري رحيقاً فأصنع بأسلوبي للقارئ عسلاً حلو المذاق حيناً، غارقاً في الأدب حيناً آخر أغرف من معين أفكارهم مما يجعل قلمي في سباق مع التدوين لها فلونت منها باقات من ذكريات تهدى للقارئ فنترع معاً كؤوساً لا تنسى، ولا يعصف بها الزمان حتى الممات.

وانثنت تلك الجداول هادئة تروي ضفتي الحقيقة، فركبت زورق أفكاري هادئاً فكانت رواياتهم رواية صدق دونتها بحبر من ذكريات عندما كان حديثهم عن حياة القرية اجتماعياً أو اقتصادياً. ثم هبت على سواحل أفكاري غضبة من جرائم غاصب لأرض ورثناها من جد إلى أب وغداً ستكون لأحفادنا من بعدنا. فهزني ألماً أسلوب الغزاة عندما راحت سيولهم تعكر جدول الحقيقة فتكسرت أمواج حقدهم على شواطئها وما زالت أقدامنا بهذه الأرض وجذورنا ترضع حباً لها.

==========

أما الجداول التي وردت منها أفكاري حتى الثمالى فهي من الجيل الأول المهجر عن فلسطين سنة 1948م وهم نجوم الحقيقة، وفرسانها:

1. نايف أشقر (أبو محمود) من دمشق
2. فوزي أشقر (أبو حسن) من دمشق
3. صلاح أشقر (أبو وائل) من دمشق
4. محمد خير أشقر (أبو أغيد) من دمشق
5. فايز أشقر (أبو أسامة) لبنان نهر البارد عندما قدم من المهجر بأستراليا.
6. صالح أشقر (أبو جاد) من المهجر بالولايات المتحدة الأميركية.

ست جداول كانت كافية في رواياتها لتصب في بحيرة الحقيقة عبرتُ بأفكاري عبابها واستطعت أن أنسج من أحاديثهم خيوطاً فتلتها لتزداد قوة فنسجت ثوباً لعروس المنازل قرية السموعي في عرسنا بإعادة أحداث الماضي شريط حب ووفاء فكانوا يعطون للحقيقة من أفكارهم حقها، ولم أسجل خلافاً بين الرواة مما سمعته عنهم فأخضعت رواياتهم للعقل أولاً فأعددت لأفكاري سنداً للحقيقة فطال مشواري معهم وكلما اقترب من الختام هاجمتني أفكار أخرى من أحد الرواة فأعود إلى التدوين وهكذا نمت في تربة الحقيقة تلك الأفكار حتى نضجت وحان حصادها للقراء وليتني قمت بالحصاد من رجالات القرية الكبار قبل أن يرحلوا عن دنيانا إلى عالم آخر ومن الحكمة أن نلحق بالقطار قبل أن يرحل وتصبح أخبار قريتي ومذكراتها كمن ذهب مع الريح نسياً منسياً . لا سمح الله . وتطمس الحقائق ويغطيها غبار الزمان وتقبع في زاوية النسيان ولكن الله هيأ لقلمي هذه الفرصة، ولعلي لا أنسب هذا الشرف لقلمي فلولا أفكار من أخذت عنهم لما انتظمت أفكاري ولما بنيت وإياهم للحقيقة مداميك، ولهذه المذكرات التي سنرويها للقراء أولاً وللأحفاد ثانياً نجعل منها حبوباً نبذرها في حقول الحقيقة ونرويها بماء أنقى من ماء المزن لتبقى جذورها على مدى العصر لا يطويها النسيان ولا الإغراق في البعاد ولا طول الزمان على شعب ما زال ينتظر على أبواب العدالة لتعدل الأمور ويعود العدل لأصحابه ومن الحقيقة صنعت لقرائي من باقاتها أفكاراً.

فما أحوجنا اليوم قبل غد إلى جمع هذه المعلومات في بوتقة الآمال ويبقى الحق حقاً مهما تنوعت موارد الاختبار التي تغيّر الحقائق وتلونها بلون يليق لهم لا لنا فالذهب يبقى ذهباً

والألماس ألماساً والحق حق مهما زور المزورون وقلبوا الحقائق وصبوا في قوالب تليق بهم لا بنا.

وهدفنا في هذا الكتاب أن ننقل الحقائق للقارئ الذي بات يعطي للمطالعة حقها لأنها غذاء الفكر، وفي كل خطوة خطوناها في هذا الكتاب كان سعينا أن نقدم للقارئ حيثما كان مادة دسمة هدفها واحد هو كتابة مذكرات هذه القرية الفلسطينية فهي كأخواتها القرى الأخرى إنها شجرة من شجرات الوطن داخل غابة ويكفي أن تسلط الأضواء على اِحْداها لتصف الغابة، مع اختلاف في المواقع ولكن طبيعة القرية الفلسطينية تبقى واحدة والاختلاف يجلو في طبيعة الاحتلال وممارساته بين قرية وأخرى لكن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية واحدة ونحن في هذا الكتاب نرغب جادين أن نقنع القارئ بمأساة مأساتنا فنحن نكتب لغيرنا ليعرفوا ما بنا.

أفكارنا ننثرها بين سطور هذا الكتاب على دروب الحياة فهي طبعاً من أثمن الحقائق التي كحلت بها عيني قريني في ليلة زفافها للقراءة.

وهكذا ركبنا قطار الحقيقة بعد طول طريق حتى وصلنا إلى محطة أسمها السموعي وهناك سيقف القطار على محطة الذكريات قبل أن يتناثر عقد بلدتي على دروب الشتات والمهاجر..

وها هو قطار الشوق إلى جمع مادتنا يتحرك، وزادنا الحقيقة في رحلتنا ورحت أصغي ليكتمل المشهدِ عندما تقترب أجراس القطيع من العين شيئاً فشيئاً، وكلما دَقَّتْ يَقُودُها علي سليم ويعلو صوت الأجْرَاسُ من الأحواض التي أُعِدَّ مَلْؤهَا لترد منها القطعان. ما كان ملؤها آلياً بل يدوياً من قبل أحد الشباب.

وعندما يفرغ من ذلك يأخذ شبابةً عَليٌّ يدوي عزفها في جنبات العين، أكرم يعزف كنا يوماً نصغي لعزفه، ونذوب شوقاً إلى سماع شبابته أو سماع أبيات العتابا، وقد دخل على الخط آخَرُ وأما الكلاب والجراء فما زالت عيناً ساهرة تحمي القطيع بَلْدَةٌ تركنا على بطحائها آثاراً لأقدامنا، أَلا فأنْظر نسوة يحملن عَلى رؤوسهنّ من الماء جِرَارا، وخلْفهُنَّ كواعبَ يُمسكن لهُن الدّمارا، خائفات من ضياع وفتية يجمعون للمزهرياتِ أزهاراً فأعدوا مِنْها باقات وأطواقاً وللأمهات تهدي.

وأخرى حملت شقعة حطب على رأسها بَلْدَةٌ أيقظتها عند كل صباح أصواتُ المعاول، وذكرياتي عنها عاشت في ذاكرتي أسراراً فأصغيتُ لهدير غدرانها، وتركت العنان لأفكاري، فامتطيت صهوة الذكريات فنسجت من أفكاري طريقاً لمسار بلدتي زينت صَدرها بلآلئَ من البيادر كانت بيوم مضى ملاعب طفولتنا وَبُراً لمؤونتنا في كواير احتلت من بيوتنا الصدارة. بيادر باتت بانتظار أهلها..

فأخذت تجتر الذكريات وتصفى لأجراس القطعان إلى مَراعيها عِنْدَ الصبَّاح وأوْبتِها عند المساء منها، وقد جَرَّتْ خطاها وأثقل الحليب مسراها فاهتدت إلى زرائبها، نامت فهدأت أصواتها، وألبس المساء قريتنا سدائل من ظلام وعصب الأفق جنبيه وكسر الصمت اجترار بعضها. أو خرير حليب تجمعه سيدات في قدور وهن يحلبن يدوياً وعند الظهر أصغي لهديل الحمام، على أغصان الزيتون الرومي، ويردد الوادي أصداء الماضي وأعادت بلدتي ذكريات الماضي القديم من جديد عندما شكلت أسراب الحجل رفوفاً في جوقٍ بديع أعاد لها ذكرى سنوات سلفت، وزينت هامات قريتي كروم اللوز والتين، ولفت على خصرها من الصبر سياجاً، فباتت تلعق الصبر انتظاراً، فارتحلت عيناي إليها، فصارت للناظرين في كل يوم مزاراً.

ويعلو سموعتي تاج من منازل الطين والحجارة، فصارت بعد النكبة ومن ظلم أكواماً، فزادتني في كل يوم غراماً، وتراكمت أشواقنا لها فصارت مع الأيام آلاماً، وراحت تغسل قدميها في كل يوم بسواقي العين، وترمق من علٍ أشجار البساتين، وهبت عليها من تلقاء رباع الورد عطور الورد والأزاهير يجمعها للعاشقين لأوطانهم رسول الحب، نسيم الصباح. وبكت أطباق الورد البلدي شوقاً لأصحابها وسال من لآلئ على بساتين القرية نداها ورددت عند العصر مهابيج قريتي أخبارها، وقال المنصفون مالها...!؟

إذ شكت لدينا حالها فكم طال على دروب العودة انتظارها فأصغى قاسيون لآهاتي وزفراتي فتساءلت فما بال أزقة قريتي خالية. ترسل آهاتها سفيراً عنها، فغرقت انتظاراً وباتت بعد النكبة آثاراً، ولفها من مأساة خمارها. ألا قولوا فهل هناك في هذه الدنيا شيء يعدل الوطن.. وقد أصغى قاسيون إلى كلماتي وحرك في نفسي آهاتي واهتز طرباً لعباراتي حقاً أنها عين ساهرة... من دمشق الفيحاء... وعلى دمشق يعقد لبلدي كل رجاء. فألف شكر لدمشق فعلى عجلات مطابعها سيرى كتابنا بعاصمة الثقافة العربية (2008) نوراً وضياء، لأنها قلب العروبة النابض كانت وما تزال. أيه يا قاسيون طال انتظاري على سفحك.

وصارت قريتي السموعي في فلسطين بقايا ديناصور وأحمر من خجل شقائق النعمان، فهل يهتز للإنسانية كيان.

==========

حصاد قبل أن يتناثر العقد أباديدا

أين فتية لنا كانوا يمرحون بها وعلى بيادرها يلهون في لعبة الحج، أو يلعبون العواتيل في الحواكير بل أين كُتَّابٌ يعج بالناهلين؟ ومسجد يزدحم بالمصلين وأين خيول عربية كانت لنا..؟ ما بالي لا أراها..؟ أين صهيل لها كان يدوي على أطرافها، بل أين ضيوف قادمون إليها؟ ما خطبهم...؟ ما بال خيولهم..؟ أين ثغاء أغنامها وخوار أبقارها وعواء كلابها وصياح ديكتها..؟ لهف نفسي على قريتنا.. لهفي على تاريخ مضى يعضني إبهامي فأترك على سطوري آلامي وأنْسَجَ من حروف أبجديتي لدينا آمالي، وأشكو من طين حالي.. فما أظلم الطين لطينِ لعمري! أينما حللتُ في دنيا الله الواسعة حملت معي نكبتي، ونثرت على الدَنيا أمالها وجمعتُ من ذاكرتي لها أخباراً.. نظمتها من ضاضي كلاماً شرحاً لمأساتي فجاءت عقوداً تليق لِعَروس المنازل.. فقد تناثر أبناء قريتي في الدنيا كما يتناثر العقد أباديد، فهم في القارات الخمس، وتحت كل شمسِ يرفضون من جدا كلِّ جبسِ. وما زالوا وكأنهم في حَبْسِ.

وها أنا أكتب عن قريتي نثراً فأترك العنان لقلمي بدون قيود ووزن أو قافية، نزولاً تحت رغبة أحد الأحفاد. فأخذت بناصية القول نثراً كأنَّ هذا الرجاء دعوة دَفَعَتْني لأكتب واعتبرتُ ذلك تكليفاً لا تشريفاً. فنثرت كنانتي أمامي من الكلمات وجمعت من كلمات النثر عقوداً زينت بها جبين قرية فلسطينية تابعة إلى لواء الجليل بالقرب من عاصمة الشمال مدينة صفد الغراء فاخترت أحدى هذه الحسناوات قرية السموعي لا لأنها شهدت مسقط رأسٍ لنا بل لأنها مرتع الطفولة ومنبع الذكريات ومسرحها في طبيعتها الغناء فتركت العنان لذاكرتي.

ذكريات لملمتها فجمعت ما تعيه الذاكرة كطفل أولاً لم يكمل عقده الأول بفلسطين. وما رواه لي الكبار ثانياً فرحلت لذلك واتصلت بالكبار ما بين مدينة دمشق ومخيم نهر البارد بطرابلس لبنان ومدينة ماديسون بالولايات المتحدة الأميركية، وعلى الهاتف والانترنت فأعطيت الكلمة لأصحابها علها تنوب عني في التعبير عن مأساة لعلي أساهم كغيري من أبناء بلدتي في جمع المعلومات من مصادر موثوقة.

توخيت الصدق فيما أكتب وفيما أنقل. فماذا يحدث لو فعل مثلنا أبناء القرى الأخرى في فلسطين. ومن يدري فقد نحصل على موسوعات. لنحم معاً تاريخنا من زيف غزو ثقافي ليكون هو السد الحقيقي لحقنا لا سورهم العالي بلدتي وقد غزاها الشيب بعد طول انتظارها لنا. لعمري كيف طاقت البعاد وهي تعيش في ذاكرتنا كل يوم وإلى يوم الميعاد...!؟

قرية ما زالت ترمق بعَيْنٍ لِصَفَدَ وبالأخرى ترمق طبريا تصغي لهما بآذان عربية ولسانها عربي. ورحت أسأل من كان حولي عنها فأخذت عن الأستاذ:

***صلاح أشقر**. فكان صادقاً في رواياته صدق المؤرخ الذي تعمق في دراسة التاريخ إذ هو أستاذ تخرج من جامعة دمشق، قسم التاريخ فقد امتهن التعليم سنوات عدة ما بين سوريا وليبيا أحب الأرض وزراعتها وعاش عقدين في فلسطين. وكان يعرف بين أصدقائه بروحه المرحة وحب الشطرنج. ويعرف باسم المختار. عاشر الكبار فأخذ عنهم الحكمة وعاشر الصغار فأندمج معهم وأحب مداعبتهم. كان محباً للغة العربية وكان أسيراً لها يقطن في شارع عكا بمخيم اليرموك منزل رقم 42 بدمشق. وقد كان لقائي به في منزله عندما فرد كنانته لبحثي عن قريتنا حدث حديث المؤرخين فقد امتلك ناصية الفصاحة فأذكى بنفسي نار الذكرى ثقافياً وجغرافياً، وتاريخياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وسياسياً. كل ذلك من جدول لا ينقطع عطاؤه يروى للأجيال فيروي النفوس التي ظمئت لمعرفة تاريخ هذه القرية. فكان منقباً عن آثارها وكنت لاقطاً لأخبارها.

وكم ساهمت زيارتي في تدوين تاريخ القرية والتقيت في مخيم اليرموك بدمشق بالسيد:

***فوزي أشقر (قبل وفاته)** وقد أدلى بدلوه مساهمة في تدوين هذه الحقبة وكان يسكن في أحد أزقة حيفا. فقصدت هذا المكان بين حارات مخيم اليرموك الضيقة. وسمي هذا الزقاق بحيفا المتفرع عن شارع حيفا أحدى المدن الفلسطينية التي كانت واحدة من أكبر موانئ البحر المتوسط. لكي لا ننسَ حيفا لم يَعُدْ بذاكرة الأجيال غير أسماء حرمنا منها وسمينا بمواقع الشتات وحارات المخيمات بتلك الأسماء التاريخية لكي لا ننساها وفي زاوية شارع اليرموك دخلة صغيرة تحمل اسم حيفا يقطن بها السيد فوزي أشقر الذي بلغ من العمر عمراً وعاش في فلسطين عقوداً وكان يعمل شرطياً في حيفا. وفلاحاً ومزارعاً بقريته وقد نزح مع النازحين وسكن داره التي تعب في بنائها باليرموك. وكان يعمل عاملاً في الشركة الخماسية لنسيج وتنقل في مساكن ما بين أحياء دمشق وخاصة في الشيخ محي الدين وأخيراً في مخيم اليرموك.

==========

وقد قصدت منزله العامر لكي أسأله عن السموعي. فملأت جعبتي من متحدث وشاعر وفي أحدى غرف منزله الأرضية تم اللقاء، كانت دهشتي كبيرة عندما قرأت على باب الغرفة أبياتاً من الشعر كان قد قرضها عن فلسطين ترحب بالزائرين، وتهلل بهم، وكان له الفضل في تقديم أسماء قطع الأراضي التي يمتلكها أهل السموعي عموماً، ومن الأشعار التي قرأتها:

سلامي إلى السموعي بلدنا	**ومن عام سبع وأربعين**
وإلى ميرون، وعين التينه	**ما بتعرف وين صاروا أهلها**
جيران بلدنا	**كل ما مرت نجمة**
يا ريتني نجمة فوق السموعي، بلدنا	**بالسما**
أشاهد السموعي	**تسألها عن أهلها**
والعين والبيادر والزيتون	**أماني يا نجمة**
وكروم العنب	**قولي لي وين صاروا**
في بلدنا	**أهلنا**
***شاهدت السموعي تبكي**	**بعيدين، ولا قراب**
بدور وبتسأل عن أهلها	

وقد كان يحن إلى سيرين كأنها حبيبته الأولى من النساء، لكثرة حديثه عنها وهي خربة تابعة للسموعي كان يعشقها. وقد قال فيها:

سلامي إلى سيرين	**عين التينة**
الجاثمة بين أربع عيون	**وعين القصب**
وبين نقنقة الضفادع	**وعين الليمون**
وتغريد الطيور	**وعين الكسار**

==========

وعلى باب منزله رحب بي وجلست معه على أحدى الأرائك التي زينت خصر غرفته وعلى جدرانها معلقات من شعره عن السموعي تأخذ بالألباب معناً وعاطفة وفكراً يعتصرها الحنين إنه رصيد من الذكريات تركها عن السموعي فقمت بجولة عبر السطور وقطفت الكثير والكثير من ذاكرته عن هذه القرية الغناء فتعمقت في فهم العائلات والحارات ومساكن القرية والأراضي التي تحيط بها والتي يمتلكها أهلها منذ الأزل.

وقبيل مغادرتي للمنزل لفت نظري موقداً صغيراً بزاوية الغرفة وبالقرب منه جرن القهوة والمهباج. وفيه دلات القهوة الصفراء، وبجانبها المصب وقد اصطفت في حوض من النحاس الخالص إنه موقد القهوة لطارقين والضيوف. وهكذا استحمت رواية من أخذت عنهم في بحيرة الحقيقة.

غادرت المنزل وذاكرتي تحمل الجديد والكثير عن القرية وهو يودعني بأبيات شعرية تكيل مدحاً لشاعر القرية . ابن الجرمق . الزائر إلى مضافته. فشكرت له مساهمته في تدوين تاريخ قريتنا. أنه أبو حسن الصياد الماهر رفقه السيد صالح أشقر في كل رحلات الصيد فجفت الصيد ما زال حاضراً جمعت كل ذلك جمعاً علمياً وودعته. وبعد أيام من لقائي به انتقل لرفيق الأعلى قبل أن يرى فلسطين ويقرأ مذكرات القرية فإلى جنة الخلد أيها الراحل عنا القريب منا البعيد عنا. وما زلنا مع حصاد جديد. فقد ارتدت قريتنا من الحقيقة أثواباً.

* **نايف أشقر** أحد أفراد جيش التحرير والقاطن في مخيم اليرموك بدمشق من مواليد السموعي. وقد كان هناك التوافق بين الروايتين ورواية فوزي أشقر إلى حد المطابقة، وفاتنا أن نفعل ذلك قبل أن يخطف الموت كبار قرية السموعي الكثر ممن كانت منيتهم بعيداً عن أرض الوطن ولم نأخذ عنهم فيا ضيعة ما ضيعنا.

==========

عائلِة محمود سليم في بيت جن

الوحيدِة اللي بِقيَت في لِبلاد من أهالي قريِة السمّوعي بعد النكبِة

في قرية بيت جن الجليلية في شمال البلاد تسكن عائلة سلِيم، العائلة الوحيدة التي بقيت في البلاد من قرية السمّوعي بعد نكبة عام 1948، وكان نصيب باقي سكان القرية البالغ عددهم خمسمائة نفر القتل أو التشريد في الشتات.

في بيته الثاني في بيت جن بعد السمّوعي، التقيت مع الحاج محمود محمد سليم 76 عاماً (أبو محمد)، وزوجته أمينة سليم 67 عاماً وهي من عائلة الصفدي (قصقص) في قرية فراضية قبل الزواج، وشاركتنا اللقاء ابنتهما سميحة.

في هذا اللقاء كان أبو محمد بروحه الفكاهية يخلط أحيانا بين الجدّ والمزاح والنكتة، في محاولة للتخفيف من عبء وثقل الهمّ، وعمق الجرح الذي ينزف منذ ستّين عاماً.

كان مهباجْ مُختار السموعي العبِدْ صالحْ يُضْرَبْ والناسْ تِلتَمْ عِندو

قلت: احكيلي يابو محمد عن بلدك السموعي قبل الإحتِلال.. قال: كانت لِبلاد في فلسطين عامْرِة.. بلدي السموعي قضاء صفد.. بِحدّها من الشمال: الجش، الصفصاف، كفر برعم، سعسع، صَلحة، فارة، وقَدَسْ.. ومن الشرق:الظهرية، عكبرة، ميرون، قدّيثة، عين الزتون، دلاّثة، علما وبيريا.. ومن الجنوب فراضية وكفر عنان، ومن الغرب بيت جن.. كُنّا عايْشين على الزِراعَة وتَربِيِة الحَلالْ..السموعي كانت مشهورة بزِراعِة الدخان والذُرَة الصَفرَه والذُرَة البيضَا وكلْ أنواع لِحبوبْ... كانت قَعْداتْ ودَواوينْ الناسْ أكثر إشي عِند مُختار

==========

السموعي العبِد صالح (أبو صالح).. كان أخو المختار احمد صالح (أبو عادل) يُضرُبْ عَ المهباج وتِلْتَمْ الناسْ عِندو، وكل واحَدْ يِحكي اللي صار معاه في النهار.

السموعي بلد صغيرة كُلّها من الطايْفِة الإسلاميّة، فيها ست عائلات: سليم، أشقر، الحجّ، الخليل، قَدّورَة، وشحادِة... في بلَدنا كان في مدرسة للصف الرابع.. بعد الرابِعْ نروحْ نْكَمِّلْ تَعليمنا بميرون، والصفصاف والجش، وننتقل على الثانوية في صفد.. أنا تعَلَّمت في ميرون وبعدها في الصفصاف للصف السادس، كان مدير المِدرسِة إسمو غالب عباس من صفد (عَمّو للرئيس الفلسطيني محمود عباس اليوم)، ووَلّعت الحرب، وما كَمّلت تعليمي.

ولا قَطَعْ الحبِلْ ولا وْصِلناه

لمّا ذكر أبو محمد إسم محمود عباس قاطَعَتو إم محمد بغَضَبْ وقالت: لا أوّلهن بَالله ولا آخِرهُن بِسم الله.. قلت: شو قَصْدِك يا إم محمد؟..قالت زيُّ اللي كاتْمِة بصِدِرها كلام كثير: ولا قَطَعْ الحبِلْ ولا وْصِلناه.. قلت: مِشْ فاهِمْ.. قالت: يعني قِلّتْهُنْ ولا هُنّ..من يوم ما وْعينا وهُنّ يْقولوا السِنة بَدْهِن يِحلّوا قضيّة اللاجِئين.. كُلّو كِذِبْ بِكِذِبْ، يعني قِلّة الحَكي أحْسَنْ لأنو ما حَدا بِجيبْ سيرِتنا وَلا مِسْتَعْبِرنا.

ثلاثين سِنِة قَعَدنا بِالأجارات في بيت جن على أمل نِرجع عَ السموعي

صَفْنَتْ إم محمد وهَزَّت بْراسها وتابَعَتْ: ثلاثين سِنِة قَعَدنا بِالأجارات في بيت جن كِبرَتْ سميحَة، وهاي حَميدَة بِنتي الثانية بْتِتعلَّم دكتورَة.. جوزي ما كان بِعَمِّرْ أو بِشتري أرض وكُلْ ما أسألو يقول: بُكرَة مْنِرجَعْ عَ السموعي، بِالآخر لمّا القصّة طالت عَمّرنا وسكَنّا. نَطْ أبو محمد قال: واللهِ صحيحْ.. صَرْلي أشتري أرضْ بْعَشَرْ تَلاف، وما كُنتْ أشتريها على أمل أرجَعْ عَ السموعي.

سَحَبْ الزابِطْ الفَرِدْ مِنْ جَنْبو وْكَيَّلو..وْجَرّو وْزَتّو بْقَلبْ تَبّانْ بيتو وأعطى النار فيه

قلت: احكيلي يابو محمد كيف احتلوا السموعي.. قال: بالـ 48 احتلوا بالأوّل صفد ودلآتة وقدّيثة وعَلما وعكبرة والظهريّة وطيطَبَة، وصُرنا نِسمَع عن المذابِح اللي بِتصير في الشاغور والبطوف... وبعِد سِتْ تُشْهُرْ من الإحتلال فاتو اليهود على السمّوعي.. كانت الناسْ كُلّها راحْلِة من البلد، وظَلّ بَسّ أربَع خْتيارِيّة كبار في العُمُرْ: محمد ابراهيم الأشقر، وطلال طه الحَجّ، ومحمد علي قَدّورة، ومحمد علي الطه... أجا الزابِطْ قال لَمحِمَّد علي قدّورة (ابو علي): قوام روحْ نادي المُختارْ.. راح أبو علي لاقى المختار على عين السَمّورَة وقَللو: يا عمّي أبو صالح الزابِطْ في البلد بَدّو ايّاكْ تواجْهو عَشانْ نِرجَعْ عَ السموعي.. رَدّ المختار: مِشْ راجِعْ.. لأنّو إذا رْجِعنا بِطُخّوا كل الشبابْ... بتِعرِف يابو علي: بَبْعَتْ ابني صالِح معاكْ.. قال أبو

علي: إنتي خايِفْ على روحَكْ ومِشْ خايِفْ على إبنَكْ!!..قال المختار: خُذْ هاي سلاحْ أهل البلد إرجع وقول للزابِطْ.. المُختار ما بَدّو يرجع.. رِجِع أبو علي عَ البلد وأخذ معاه من المُختار سبَعْتَعشَر بارودِة.. ولمّا وِصِلْ سألو الزابِطْ: وين المختارْ؟.. قللو أبو علي: ما كان بيجي مَعاي.. قاللو الزابِط: طَيِّبْ إمشي قُدّامي دِلني على دارَكْ.. مِشي أبو علي قُدّامو.. ولَمّا وِصلوا الدارْ قام الزابِطْ سَحَبْ الفَردْ مِنْ جَنْبو وْكَيَّلو..وْجَرّو وْزَتّو بْقَلبْ تَبّانْ بيتو وأعطى النار فيه.

رِجعْ الزابِطْ لَمحمد إبراهيم الأشقر وقللو: إمشي دِلني على دارَكْ.. راحْ الزابِطْ وحَطّْ الديناميتْ ونَسفلو دارو وقللو: وقِفْ على جنب. أجا لَطلالْ طه الحجّْ وقللو: وين دارَكْ؟.. قللو هيّاها..راح الزابِطْ وحَطّْ عليها دَمْغَة حَمْرَة ودَمْغَة زَرْقَة.. وقللو: وقِّفْ على جَنبْ. وقام الزابط أخذ محمد علي طه الحج على دارو، كانت من طابْقينْ وحطّْ الديناميت في الدار الفوقى والتِحتى ونَسَفْها.

جَمَعْ الزابِطْ لِختيارِيّة الثلاثِة وقَلّْهِنْ: إنتي يا محمد لِبراهيم نسَفْتِلّك دارَكْ لأنّو إبنَكْ كان بِشتغِلْ مع جيش العرب (الإنقاذ).. وإنتي يا طلال ولادَكْ صغار، عشان هيكْ عَلّمنالَكْ دارِكْ وما هدَمناها.. وإنتي يا محمد علي الطه نَسَفْنالَكْ الدار لأنّك كُنت مِتعَيّن نائِبْ بِجيشْ الإنقاذْ.

أخَذوا أخوي علي وابن عَمّي رِضا وعبد الله الصرصور على طَرَفْ البلد، وقَوَّسوهِن الثلاثِة كوم واحَدْ

صَفَن أبو محمد وقالْ: شُفتِ اليهود شوف عيني بُقُتلوا تُركي قَدّورَة يا حرام...قلت: كيف.. وشو اللي صار؟.. قال: يوم... قللي أخوي علي: أنا نازِلْ أسقي العنزات على عين السمّوعي وأطَوِّشْ.. ونِزِلْ هو وإبن عمّي رِضا وعبدالله الصرصور.. هذا يا حرام من صفد وكان سارِحْ في السمّوعي بِسقوا الطَرشْ... أنا وإمّي كُنّا بأرض بيت جن مِنْهزمين.. قالَتلي إمّي: إنزل يا محمود لَعِند علي شَرّعوا العنزات واسقوهِنْ.. أجيت عَ البَلد وَلاّ سيارِة جيشْ جايْ مِن نَواحي فَرّاضْيِة.. ورُحتْ أركُضْ وهَوَّدِتْ عَ البيادِرْ ووصلت لاقيت أخوي علي، ورِضا إبن عمّي بِتْغَسَّلوا عَ العين وقلت: خَيّا خَيّا علي.. قال: مالك يا محمود..قلتِلّو: إنْهِزموا.. البلد فيها جيشْ ويهود.. قام علي ورِضا لِبسوا أواعيهِنْ، وعبدالله الصرصور وعبد الله إحمد الخليل وكمان واحَدْ ناسي إسمو، ووَراهِن تُركي قَدّورَة كان بَعدو ولَدْ، وعُمرو اتنَعْشَرْ سِنِة... طِلْعوا يُرُكضوا عَ الخَلِّة وجيبْ الجيشْ طايِرْ وَراهِنْ.. وبَلَّشْ لِبْرِنْ (الرشاش) بِشْتغِلْ، ولِقْواسْ عَليهِن زَيْ الشِتا... أنا وكمان ولد إسمو محمود الطه عَيَّطِلنا واحَد إسمو ذيب عثمان الذيب.. هذا كان في الجيش الإنكليزي وِطلِعنا عَلى سَفحْ الجبل وانهَزَمنا.

فـي الخَلِّـة فـاتو الخَمْسِـة تخَبّـوا بقلـب الزتونِـة وتُركـي قَـدّورَة كـان وراهِـنْ إجـاه ثـلاث رصاصات وِسْمِعتو صاح صوتينْ ثَلاثِة وماتْ.. واحَدْ منهِنْ تْصاوَبْ بِإجرو قَلولو: خُذْ هاذا لِخْتيارْ ويَلاّ مِن هونْ.. وأخَذوا أخوي علي وابن عَمّي رِضا وعبد الله الصرصور على طَرَفْ البلد وقَوَّسوهِن الثلاثِة كوم واحَدْ.

فـي بيـت مختـار بيـت جـن صـندوق أمانـات فِيّـو وراق ومُسـتَنَدات لأهـل السـموعي ومحافْظين عالأمانِة لليوم.

قلت: طيّبْ وبعدين وين راحوا أهل البلد؟.. قال ابو محمد: أوّل يوم مختار السموعي العبد صالح أخذ أهل البلد على بيت جن، وناموا لليلة في المدرسِة. وبْحُكُمْ العِلاقَة لِمنيحَة بين مُختار السموعي مع مختار بيت جن كنجْ قَبلانْ الله يِرحمو حَطَّت الناسْ اغراضها وأمَناتها في بيت المختار كنج.

قاطَعَت سميحَة بنت أبو محمد وقالت: الحقيقة إنّو مختار بيت جن كنج قبلان وولادو من بَعدو حافظوا وصانوا الأمانِة لليوم.. وفي بيت اولاد المختار صندوق أمانات لأهل السموعي فِيّو وراق ومُستَندات لأهل البلد، ومِعتِرفين فيها وحاضرين يوَصّلوها لَصحابها، ولَكُل مين بُطلُبها من السَمّوعيّة... أنا رُحت مع أختي وسألنا ولاد المختار واستقبلونا بالتِرحاب وقالولنا خُذوا اللي بدّكو ايّاه على راحِتكو.

رِجِع أبو محمد تابَع وقال: قال مختار بيت جن لمختار السموعي: خلّيكوا عِنّا وأنا بَعمَلْ مَكتوبْ لَضابِطْ المنطِقَة عَشانْ تِرجَعوا عَ البَلد... بَسّْ المختار ابو صالح رَفَضْ وسَحَبْ الناسْ على لِبنان على بُنى جُمعة جُمِعتينْ ويِرجَعوا، ولليوم ما حدا رِجِعْ.. وبقينا أنا وأُختي غزالِة تجوَّزت في قرية جديدِة (لقاسم المصري) ، وإمّي حميدَة الله يِرحمها.. ببيت جن وسجّلونا على أساسْ إحنا من أهل البلد وما ظَلّْ حدا من السموعي بِفلسطينْ غير إحنا.

بَحَشوا قبورْهِنْ بايديهِنْ

وقال أبو محمد: عين الزتون قاوَمَتْ زيّْ دير ياسين، وما كانوا يِخَلّوا ولا يهودي يِطْلَعْ على صفد.. ولمّا استَحَلّوها اليهود، كَرَتوا كُلّْ أهل البلد وعَرَّبوا 37 شَبّْ زيّْ الغُزلانْ، كل شَبّْ أحسن من الثاني.. عَصّبولْهِن عينيهِنْ واطلَعوهِن على جبل كِنعان فوقْ صفد،... وهُناكْ صاروا يِطَلَبو من الشباب يِبْحَشوا قبورْهِنْ بايديهِنْ، ويُطُلبوا من كل واحد ينزَلْ على قَبْرو ويِتْمَطَّطْ.. وتيجي جُندِيّة يهوديّة تْقَوّسو بْقَلبْ القبر، وقَبِلْ ما تِطْلَعْ روحو يِطُمّوه بِالترابْ.. وهيك قتلوا الـ37 شَبّْ بْدَمْ بارِدْ... وفي الصفصاف نفس الشي نَقّوا 45 شبّْ.. واحَد مِنْهِن

إسمو مرعي حسن كان يِتْعَلَّم معي في مدرسِة الصفصاف.. طَخّوهِن كوم واحَدْ وبَحَشوا جورَة كبيرِة ودَمَلوهِن بِالترابْ.

الوَرْدِة الجورِيّة بَعِدها بْتِطْلِقْ لليوم باب بيت عَمّي العبد صالح

قاطَعت سميحَة وقالت: لوْ بِتزور اليوم السموعي وِتشوفْ.. الوَرْدِة الجورِيّة بَعِدها بْتِطْلِقْ لليوم باب بيت عَمّي العبد صالح، والتينِة مِخِلْفِة بْسيحْ المَيْ لَحَدْ إسّا، والتوتِة واللوز.. وكروم البُرْدَقانْ اللي اسْتَولَتْ عليه كُبّانِيّة (كفار شَمّايْ) اللي انْبَتَتْ على أرض السموعي.

قاطَعْ أبو محمد وقال: خَطْرَة في الـ56 رُحتْ أسرَحْ مع العنزات مع حياة فؤاد الشن من بيت جن.. أجو عليْ شلة يهود سَألني واحد منهن: منوينْ إنتي؟..قلتلو: من السمّوعي...تغيَّرْ لونو وقال اليهودي: هاي الأرض إلنا واللي يْدوسْ أرضنا نْدوسْ راسو.. هاي أرضْ السموعي أرضنا... راح فؤاد الشِنْ جاب العَصايْ وهَجَمْ عليه بَدّو يُضرُبو وصَرَخْ فيه وقَللو: هاي الأرض إلك يا إبن الـ ..... يلاّ انقْلِعْ من هون.

هذا رِزِقْ أبوكْ يا إبنِ الكلب.. روح جيب البوليص واعمَلْ اللي بَدّكْ ايّاه

وتابَع أبو محمد: في واحد من بلدنا إسمو سامي طه علي الحجّ، كان ولد صغير في الـ48 ، صار اليوم فوق الستين وساكن في كندا ومعاه الجنسِيّة الكنديّة، أجا قبِل سنتين لعِندي على بيت جن وقال: أنا جاي من عند قرايبي من النهر البارد وبَدّي أزور السمّوعي وأجيب تراب وحجار من بيتنا، وأعبّي ميْ من نبع السموعي.. وطْلِعتْ أنا وايّاه وبناتي وْمَرَتي... وتابَعْ أبو محمد: رُحْنا معاه ولَمّا وصِلنا مَحَطِّة السمّوعي، قَعَدْ سامي وصارْ يِبكي.. يِقومْ يِمشي بِاتِّجاه صفد وِدموعو تْنَقِّط من دَقْنو.. أناديهْ وأقُللو: مِشْ من هون يا سامي..يِقول: هون كان في كروم زتون!!.. أقُللو: اليهود قَلَعوا الزتون والتين واللوز وكروم البُرْدَقان... نطَّت إم محمد قالت: الله يوخذهُنْ... وتابَعَتْ: طَلَبْ سامي شوَيّ ِة شومر وخبيزِة.. نْزِلتْ تِحتِ ْ الشارِعْ والاَ شو هَالشومَراتْ هَالعِلْوِة.. صُرتْ أحَوّشْ، وقصّيتِلّو كمانْ شويّة جَعساسْ (ميرامِيّة) وخُبّيزة، ولَمّا أعْطيتْهن لَسامي صارْ يِشِمّهِنْ ويِبْكي ..... يَعني إشي بِبَكّي غَصِبْ... قاطَعْ أبو محمد وقالْ: وْصِلنا البلد ووقّفْ سامي قُدّام بيتو وصار يِبكي .. أخَذْ تراب وحجارْ مِنْ البيت وقال: يلاّ نروحْ عَ العينْ نْعبّي أكَمْ قنّينِة ميْ.... مْشينا وِوْصِلنا بُستانْ المُختار العَبِدْ صالِحْ.. وَقّفْ سامي وقال: أنا مِشْ مْصَدِّقْ.. هاي السمّوعي يا محمود!!.. رَدّْ أبو محمد: يَعني.. هاذا اللي صار فينا واللي جَرالْنا.. قال: بَدّي أسألكْ .. كان هون بِهاذا المَحَلّْ حَكورَة لَمحمود سليم الحجّ فيها تين وشَجَرِيّة.. وينْ راحَتْ؟..أبو محمد: أخَذوها اليهود.. قال: طَيِّبْ وينْ حاووزْ المَيْ

==========

اللي كان هون؟.. أبومحمد: اليهود نَسَفوه.. قال: إلِيَرْعونِة اللي كانْ الطَرشْ يِشْرَبْ مِنها وينْ اخْتَفَتْ؟.. أبو محمد: هَبَّطوها اليهود.

وتابع أبو محمد: وصِلنا النَبْعَة وكانت مْحَوَّطَة بِشريطْ وبُوّابِة حديدْ.. فُتنا من بين قُضبان الحديد، والاّ يهودي جايْ يِصَيِّحْ من بعيد وقال: شو بِتْساووا هونْ؟..قُلْنالوا: بدنا نوخُذْ مَيْ.. قال: ممنوع.. إطْلَعوا أحسن ما أتصِلْ بالشُرطَة..فاتَت حَميدَة عَالنبِعْ وأخْذَت معاها خَمِسْ قَناني وكَإنّها مِشْ سامِعتو.. وراحَتْلو سميحة وقالَتلو: هذا رِزِقْ أبوكْ يا إبنِ الكلب..روح جيب البوليص واعمَلْ اللي بَدّكْ ايّاه.

السمّوعيّة في النهر البارد شِربوا مِن ميّة السمّوعي بِفِنجانْ القَهوِة الصغير كإنْها ميّة زَمْزَمْ

وتابَعت سميحة: روّحنا عالبيتْ، ولِيلة ما بَدّو سامي يرَوِّحْ رُحنا طَفَشْنا كل النهارْ ونِمنا هذيكْ الليلة بِحيفا.. بْنُصّ الليلْ سْمِعنا سامي بِقُحّ.. قُلت لَحميدَة.. روحي شوفي عمّي سامي شو مالو.. قُمنا لاقيناه قاعِدْ قْبالْ الشُبّاك وبِتأمّلْ بِحيفا وقال: مِشْ قادِرْ أنامْ.. هاي آخِرْ ليلِة إلي بِفلسطين بَدّي أستَغِلّْ وأشْبَعْ من كل لحظة. قال أبو محمد: بعد ما روَّح سامي على لِبنان حكولنا بالتلفون كيف السمّوعيّة في النهر البارد أجو يِسلّموا على سامي ويِشربوا مِن ميّة السمّوعي بِفِنجانْ القَهوِة الصغير، كإنْها مَيّة زَمْزَمْ.

أجا حَمامْ البَرّْ أطْلَعْ حَمامْ الجُوّْ

قلت لأبو محمد: عندك أمل تِرجعْ؟.. قال: إسمع تَقُلكْ... هاي مَرَّة في الستينات كنت عامِلْ حوشْ ومِعزِبْ بِأرضنا في السمّوعي.. لاقاني واحَدْ بِقُللي إنّو هاي الأرض إلو.. قُلتِلّو: شو بْتِحكي!! هاي الأرضْ إلي.. قال: روحْ إثْبِتْ إنها إلَكْ.

سكت أبو محمد وقَللي: إنتي مِشْ بْقَلبي.. الزعَلْ كبيرْ ولجُرحْ غَميقْ.. وبِقول المثل (أجا حَمامْ البَرّْ أطْلَعْ حَمامْ الجُوّْ)...قلت: مين حَمامْ البَرّْ يابو محمد؟.. قال: هُنّ...إنتي عارِف اللي أخذو الأرض غَصيبِة.. بَسّْ بَدّي أقُلك إنّو حمام البر بِطيرْ وبِهاجِر من أرض لأرضْ.. لكِن حمام الجُوّْ بِظَلّْ بأرضو وبْدارو... قاطعت إم محمد: الله أعلم مِنكون طيبين ولا ميتينْ.. كُنّا هيك صغار.. وصُرنا خْتيارِيّة واحنا نِستنّى بِالرجوعْ... (كُنّا صغارْ صُرنا كبارْ وصُرنا نِحْمِلْ المِعْيارْ)..نِسمع الكِلمِة ونْطَنِّشْ.. هذا مصير كُلّْ اللاجئين بِكُلّْ العالَم اللي ذاقوا ذُلّْ اللجوء والمَهانِة والعذابْ والبهدَلِة.

خَلّت الليلْ تأخَذْ بَعْضو وراحَتْ أخْذت الذَهَباتْ من تِحتْ جُرنْ الكُبّة

==========

قلت لإم محمد: وشو مع بلدِكْ فراضْيِة؟.. قالت: قصتي طَويلِة .. بَسْ أنا كنت صغيرِة ومِشْ واعْيِة كل إشي... أبوي أحمد الصفدي ابو الوليد استشهد باب المزرَعة في الشارِعْ اللي بِطْلَع على عين الأسد.. بعِد ما قَتلوه اليهود بيومينْ أجت أمي وعِرفَتو من أواعيه.. أخذَتو ودَفْنَتو... وخَلّت الليلْ تأخَذْ بَعْضو وعَتّمت الدنيا، وراحتْ ع البيت وأخْذت الذهبات من تِحتْ جُرنْ الكُبّة... قلت: وما رْجِعتي توخذي غراضْ البيت يا إم محمد؟.. قالت: رُحنا بعد الإحتِلالْ ما لاقينا إشي غير شويّة طَناجِرْ ودَلّة القهوِة، والقرآن الكريم.. وبَبورْ الضَيْ، لليوم بَعِدنا مْنِستَعِملو بَسْ تِنِقْطَعْ الكَهرَبا، والخَرَزْ اللي عليه من حْياكِة أخت جوزي سنِة 1950.

قلت: طيّب إرخصولي يا دار ابو محمد، وانشاء الله بِتحَقَّق حلم العودِة.. قالت سميحَة: خليكْ لَبعد عَشا.. قلت: عَمارْ.. قال أبو محمد لَسَميحَة بِروحو المِرْحَة: خلّيه قاعِدْ يا سميحَة أنا شايْفو عِدِلْ (سمينْ).. خلّيه نِتْعَشّى عليه..وضِحِكْ أبو محمد وضْحِكنا كُلنا بَسْ غَصِّة السمّوعي ظَلّت عالْقَة بِحْلوقنا.

عن صحيفة الحقيقة الإلكترونية 05/02/2008

==========

مخيم نهر البارد إلى أين...؟!

وقد حملت عصا ترحالي بحثاً عن تاريخ القرية لأجمع مادتي عن تاريخ كاد أن يندمل لولا صحوة الأحفاد وأخذت عن الرواةِ فجمعت عناصر مادتي فقصدت والسيد أغيد أشقر لبنان وكان هدفنا في هذه المرةِ مخيم نهر البارد بحثاً عن كبار أهل القرية. حتى نزلنا منزل السيد فايز أشقر الذي يقطن في هذا المخيم منذ فجر النكبة 1948. كان المخيم يقع على شواطئ البحر المتوسط، تتكسر أمواجه على أقدام المخيم، المنازل عالية في هذه المرة والأزقة الضيقة بالكاد أن يمر بها اثنان متقابلان عتمة في النهار، وظلام في الليل، اللهم إلا إذا فتحت نافذة أو باب فأطل منهما ضوء محتشم يكفي المارين ليروا طريقهم. فإذا زرت منزلاً منها ورغبت بالعودة إليه ضاعت من قدمك الطريق فليس هناك إشارة مروره تشير لك أين أنت متواجد.

أما خطوط الطول والعرض فهي لا تستعمل وحمدت الله فلم أكن بحاجة إلى مترجم هنا بل كنا بحاجة إلى دليل سياحي...؟! بين هذه الدخلات التي بدت كالأنفاق فأحذر من نعرة في رأسك على حين غِرَّةْ أيها القراء صدقوني لو استعملت بوصلة لأخطأت اتجاهها في مثل هذه الأزقة، فحال البوصلة كحال أبناء النكبة لا يعرفون لهم اتجاهاً في هذه الدنيا. سوق الخضار عامر على الطرفين مضيء تسمع فيه الباعة ينادون بلهجة فلسطينية تذكرك لا محالة بأصوات الباعة في حسبة صفد أو عكا... وفي كل خطوة خطوناها داخل هذا السوق تذكرك بالوطن فكأن التاريخ فتح له صفحة هنا وأخذ يسجل.

أما آن لساكني هذه المخيمات أن يعودوا إلى وطنهم في فلسطين ويعم السلام بلاداً أنهكتها الحروب وغابت عنهما شمس الحقيقة وفي وسط المخيم شارع رئيسي وقد اصطفت على جانبيه الدكاكين وقد زينت كل دكان جيبنها باسم من فلسطين فيها بركة لكي لا تنسى الأجيال حقها في فلسطين بينما ارتفعت في فضاء الشارع سحابة من غبار حجبت ضوء النهار عن المارة الذين اختلطوا بالسيارات.

==========

وراحت مزاميرها ترعب الأطفال فيقفزون على أشباه الأرصفة، يا للهول ما رأت العين وعجزت الكلمات على أن ترسم صورة لمأساة شعب سد العالم آذانه عن سَمَاع قضيته وكم كانت فرحتي ومرافقي في هذه الزيارة كبيرة عندما نلتقي بواحد من أبناء بلدتنا فإن لم نعرفه بحكم الظروف سألنا عن والده فإن عرفناه أعدنا السلام عليه وقبلاناه، وإن لم نعرفه سألنا عن جده، وهنا يزول كل إبهام ويعود العناق من جديد. يا لهف نفسي...! ماذا حدث لنا مأساة أضاعت على عتباتها الأعراف والأصول. وأضحى القريب لا يعرف قريبه. وكانت مأساتنا قد بلغت ذروتها عندما وصلنا إلى المقابر لكي نزور موتانا فلم نستطع أن نتعرف عليها فالمكان ضيق فضاعت الأسماء في خضم من الآراء, ثم رجعنا إلى دار المضيف ونحن نحمل في ذاكرتنا صورة عما يعانيه الأحباء في هذا المخيم من ضيق الحياة وما يلاقيه الأموات من أبناء جلدتنا في ضياع أسمائهم على الشواهد.

من ضيق المكان قتلتهم الغربة وفي منزل المضيف التقينا بأبناء بلدتنا فتعرفنا عليهم ونلنا شرفاً بذلك وتعرفوا علينا بلهفة المشتاق لم نستطع بالماضي القيام بمثل هذه الزيارات لأننا دخلنا لبنان كأجانب ونحن عرب تجري في عروقنا دماء عربية جذورنا من فلسطين. كان مرافقي أغيد من مواليد دمشق وهو يحمل جوازاً نرويجياً. أما أنا فقد ولدت في السموعي شمال فلسطين وأحمل جوازاً أمريكياً لهفي على العرب. ندخل البلاد كأجانب لا كعرب. يا لها من حرقة وغصة بالقلب وإذا أسعفتني الذاكرة فقد كنت يوماً على ظهر سفينة وقفت في ميناء بيروت في طريقنا إلى الجزائر. وكانت ترافقني زوجتي من أصل سوري وصديق سوري وزوجته الكل نزل إلى بيروت وحتى الأجانب الذين كانوا يصطحبون كلابهم معهم إلا أنا وابني لأننا من فلسطين. يا لهَول المأساة...! ويكفي أننا نلتقي مع لبنان الشقيق في العروبة وحبنا لفيروز

أما آن لهذا العالم أن يستيقظ ويعيد الحق ولا يفرق بين أجناسه وأني أرى أن نهر البارد رماد تحته جمر من نار. لا شك أن فيه من المتعلمين رصيد هائل لكن البطالة قد كبلتهم فلست أدري هذا المخيم إلى أين....؟ طالما أنه موثوق اليدين.

وفي يوم احتلت الشمس وسط السماء وجلست ومضيفي على قارعة الطريق أمام أحد دكاكين المخيم نستعرض معاً عائلات القرية وأين كانوا يسكنون في السموعي ومن هذه العائلات: آل أشقر، والحاج، وقدورة، وخليل، والظاهر وعبد الله وشحادة.

وهم يسكنون في حارات القرية كالحارة التحتا أي السفلى والحارة الوسطى والحارة الفوقة أي العليا كان المؤرخ لذلك بصدق وأمانة: فايز أشقر (أبو أسامة).

ثم قمت ومضيفي بكتابة إحصاء لمنازل الآباء أو الأجداد وكان يملي علي بكل ثقة وأمانة ودراية وكأنه يتجول بين الحارات الآن. وكان لا يحب المقاطعة فخشيت أن يتوقف من أتمام بحثي وكانت علامات الغضب على قسمات وجهه بادية فيستغرق لحظة ويطرق أخرى فيزداد خوفي، ثم يتوقف هنيهة, ويشرع بعد ذلك بإدلاء ما في جعبته وما تعيه ذاكرته عندما كان يعيش في البلدة ردحاً من الزمن وعقوداً ما زالت تحمل أجمل الذكريات وانتهينا بمعرفة المنازل وسكانها ولم نتطرق إلى الأبناء فهذا إحصاء أولى عن الكبار كان يعود بذاكرته إلى القرية، ويستعرض هذه المنازل مواقعها وأصحابها.

حبذا لو جاء جيل بعدنا وأجرى إحصاءً لسكان البلدة ولا يجلي الأمر غير الحاسوب الذي غزا العالم وخاصة قد صار للقرية جمع من الشباب بدأوا يكتبون عن بلدتنا وزودوا ذلك بالصور والإحصائيات. فهذه مهمة الجيل القادم، إن شاء الله. وقد أجريت مقارنة بين رواية دمشق ورواية نهر البارد ورواية أميركا. فقد لمست التوافق بينها جميعاً وهل لي الآن أن أزيح الستار عن ذلك ليتمكن من سيأتي بعدنا من معرفة المساكن وقاطنيها.

فليكتبوها كما أعطيت لي بكل أمانة الباحث، ويحدوني أمل أن أوفق وغيري من القيام بهذه المهمة ولو أنها جاءت متأخرة بعد مرور أكثر من نصف قرن لعلي أسمح لنفسي بأن أقدم خالص الشكر لمرافقي أولاً الذي دعاني إلى القيام بهذه الزيارة التاريخية إلى نهر البارد فسرعان ما استجبت لدعوته. كان يوماً من أيام الشتاء عندما بدأ الموسم بتهاطل الأمطار. وكانت لبنان يومها تزيل عنها آثار العدوان على جنوب لبنان وأصاب الدمار طرق المواصلات فكانت مغامرة من الحافلة التي أقلتنا فوق جسور آيلة إلى السقوط واندفع الماء من الوادي الكبير في سباق نحو مياه المتوسط.

وفي نهر البارد حيث يقبع مخيم البارد كان اللقاء بأفراد أسرتي كبيراً هم الذين يقطنون هنا منذ فجر النكبة نصف قرن ونيف كافية ليرحل الكبار عن الدنيا ويكبر الصغار الذين لا نعرفهم إذا كانت زيارتنا لهم ضرباً من الخيال.

ومن السهل للفلسطيني أن يجد موطئ قدم له على سطح القمر من أن يرجع إلى فلسطين. أرأيتم كيف كانت المأساة تبلغ أشدها عندما تبعثرت الأسر وعاد اللقاء بعضها ببعض من رابع المستحيلات واليوم وقد تم اللقاء لا على أرض فلسطين عائدين بل في نهر البارد وهو خليط متجانس من أهل فلسطين من القرى والمدن وحدت بينهم المأساة وعاشوا بدل الوطن في المخيمات.

==========

فعرفت من خلال زيارتي جانباً من حياة القوم الاجتماعية وهي صورة كاملة لفقر مدقع أما الحركة الثقافية فلم أستطع متابعتها لقصر الزيارة لكن سعدت بالتعرف على أحد شعراء المخيم السيد مروان محمد الخطيب وتبادلت وإياه أطراف الحديث على عجل وأهداني ديوانه وأرسلت له آخر مني وأترك للقراء هذه القائمة بأسماء أصحاب المنازل وعددها في القرية في الصفحات 72. 73.

أخذت صورة لبعض أهل القرية في نهر البارد سنة 1954

1. عبد القادر أشقر (أبو صالح مختار السموعي 1948)

2. محمد إبراهيم (أبو سعيد)

3. الشيخ جهاد الحاج

أصحاب منازل عروسة المنازل هم السادة ملاكها

	منازل قرية السموعي		ملاحظات عن الموقع
1.	محمد مصطفى قدورة	أبو مصطفى	
2.	عثمان ذيب	أبو ذيب	
	صالح ذيب		
	حميد ذيب		
3.	خالد العلي	أبو علي	
4.	مصطفى الحسين	أبو فايز	
5.	محمد الحسين	أبو عمر	
6.	محمود سليم	أبو سليم	
7.	العبد محمد الحسين	أبو محمد	
8.	إبراهيم علي الحسين	أبو خليل	
9.	أحمد القاسم	أبو خالد	
10.	يوسف القاسم	أبو ذيب	
11.	طلال طه	أبو نايف	
12.	محمود سليم	أبو البدوي	
13.	سعيد المصطفى	أبو محمد	
14.	غنوم عبد الله	أبو فخري	
15.	حسن الزناتي	أبو خليل	
16.	عوض شحادة	أبو كايد	
17.	كريم شحادة	أبو شحادة	
18.	أحمد خليل	أبو محمود	
19.	حسن مرعي	أبو علي	
20.	عبد اللبه الحسن	أبو محمد	
21.	عيسى بلشه	أبو محمد	
22.	حسين عايشه		
23.	محمد سعيد أفندي قدورة	أبو سعيد	
24.	العبد صالح	أبو صالح	
25.	أحمد صالح	أبو ديب	
26.	سعيد سليم	أبو محمد	
27.	لطفي سليم		

.28	محمد الإبراهيم	أبو سعيد	
.29	عبد الله الأحمد	أبو نمر	
.30	علي الطه	أبو طه	
.31	طه علي الطه	أبو علي	
.32	محمد علي الطه	أبو راسم	
.33	حسين المصطفى	أبو محمد	
.34	محمد سليم	أبو علي	
.35	محمود خليل	أبو محمد	
.36	عبد الله قدوره	أبو تركي	
.37	علي العبد الله	أبو حسين	
.38	حسين اليوسف	أبو جبر	
.39	سليم الظاهر	أبو خالد	
.40	عثمان الظاهر	أبو عفان	
.41	عوض شحادة	أبو كايد	
.42	علي أبو حمود	أبو حمود	
.43	يوسف الحسن العبد حسن	أبو إبراهيم	
.44	محمد العبد الله قدورة	أبو خالد	
.45	محمد الحسن خليل	أبو حسن	
.46	عبد الله قدورة	أبو خالد	
.47	محمد علي قدورة	أبو علي	
.48	محمد الأحمد سليم	أبو غازي	
	كريم أبو أحمد	أبو جبر	

خارطة

توزيع المنازل

في القرية

من ذاكرة

صالح أشقر

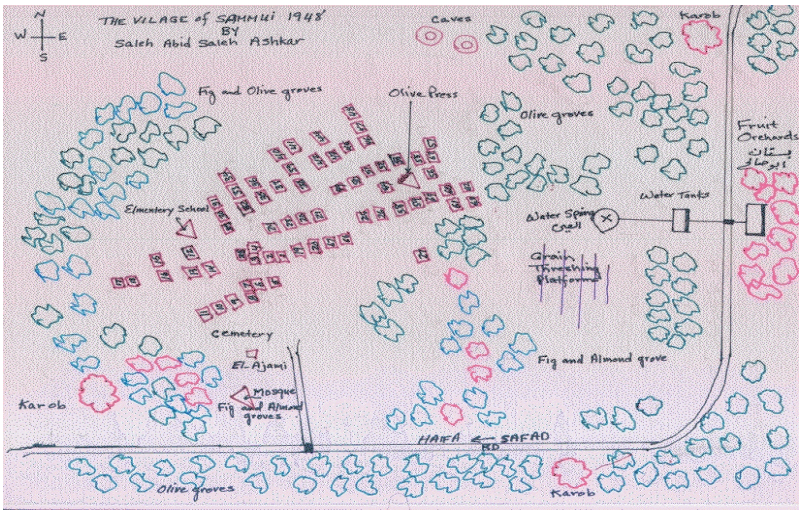

==========

ألا إنّا وردنا الينابيع الصافية

يقولون كلما بعدت المسافة بين المادح والممدوح كان العطاء كثيراً. وليس في هذا العمل عملاً من ورائه التكسب، بل عمل نبحث فيه عن الحقيقة والرواية الموثوقة، وصدق الراوي وحبه للحقيقة. ومن أجل ذلك كانت رحلتي ومرافقي السيد أغيد أشقر إلى لبنان بحثاً عن أهالي قرية السموعي فأكثرهم يقطن في مخيم نهر البارد على شاطئ البحر المتوسط ليس بعيداً عن مدينة طرابلس. وقد عدنا من هناك وفي دفاترنا قد دونا الكثير ومن الينابيع الصافية قد وردت أقلامنا وسنتركها للقراء على صفحات هذا الكتاب.

واليوم نرد تبعاً آخر فيه من الصفاء والصدق ما يجعل المهمة أكثر يسراً فارتوينا ممن يحمل من حكايا صدق عن تاريخ القرية. وقد طالت رحلتي حتى وصلت إليه في مدينة ماديسون بالولايات المتحدة ومن أجل هذا. ركبت الطائرة من دمشق صباح يوم خريفي من شهر كانون الأول على الخطوط الأردنية فنزلت بعد أقل من ساعة مدينة عمان في مطار الملكة عالية. وقبل أن يحل الظهر ركبت الطائرة التي حلقت في سماء عمان ورسمت لها سمتاً إلى مدينة شيكاغو مروراً فوق فلسطين، فكانت سماء بلادي صافية صفاء حقنا بالعودة إليها. يا للعجب أخطو على ثراها صغيراً. وأطير من فوقها محلقاً في سمائها فكم تمنيت أن أركب متن سحابة ممطرة لا سقط منها مطراً على ثرى بلادي لأسقيها عَبْرَةً من عيني مشوق لها... فهل يتمكن الأحفاد من ذلك..!؟

وبعد 12 ساعة من الطيران المستمر وصلنا مطار (أوهير) على الساعة الخامسة من نفس اليوم عصراً بحساب فارق الوقت. وفي نسق من نظام تم ختم الجوازات واستلام الحقائب في سرعة خاطفة وبعد عثوري على موقف الحافلة إلى ماديسون. سلمت حقائبي للسائق لتأخذ طريقها في بطن الحافلة. ثم صعدت لأجد لي مقعداً بجانب النافذة لا تستمتع بالطبعة أثناء رحلتي إلى ماديسون، كان الفصل

شتاء ولم يكن هناك ثلج كعادة هذه البلاد في مثل هذه الأوقات. وبعد ساعتين وصلنا إلى محطة (جينزفيل) سمحت لنفسي بتناول كأس من القهوة لأصحو بعد طول رحلة.

ثم اتصلت بشقيقتي أم سابي لأخبرها عن موعد وصولي إلى محطة ماديسون في (اليونيون) قرب النادي الجامعي على بحيرة مندوتا. ثم أخذت الحافلة من جديد أخذت الحافلة تسير على الطريق السريع تسير بسرعة محددة لتصل في وقت محدد في دقة لا نظير لها إلا في الطائرة أو القطار هنا, وبعد وصولي إلى المحطة الأخيرة كان بانتظاري ابنة أختي أم أمير التي وصلت من فلوردا مع أولادهما لقضاء عطلة الشتاء...المدرسية معاً

وبعد مدة قصيرة التقيت بالسيد صالح الأشقر وكانت لي وقفة طويلة معه. حيث قصدت منزله في نفس المدينة ويقطن في شارع كومنشوي مع عائلته. وعندما فتحت للحديث نوافذ عن السموعي جعلني من خلال حديثه أطل عليها وقد وجدت في حديثه ووصفه عن قريتنا الدقة في الوصف والحديث عن موقعها وحياتها الاجتماعية والثقافية وقد أضاف لذلك وسائل معينة فيها من الإيضاح، إذ رسم على صفحات الحاسوب مواقع للمنازل في القرية ومن يسكنها. وقد كان في حديثه يعتصره الشوق والحنين إلى الوطن وحدثني عن حبه لركوب الخيل والصيد فقد كان صياداً ماهراً رفقة ابن عمته المرحوم السيد فوزي أبو حسن.

أبو حسن... الذي رحل عنا بالحزن والأسى دون أن يعود للسموعي ولم ننتهي من تأليف الكتاب الذي شجعني عليه ثم أجرينا مقارنة بين ما لملمته من معلومات من النهر البارد ودمشق وماديسون عن القرية ممن التقيت معهم وأغيد وعقدت معهم لقاءات وندوات. فقد التقت في جوهر الحقيقة ولبها إنَّنا جميعاً نبحث عن الحقيقة العلمية شعارها الصدق، وتاجها الحقيقة. علناً في ذلك نفرش لمن سيأتي بعدنا من الأحفاد بساطاً يسيرون عليه، وهدفاً يلتقون عنده والعودة إلى السموعي هدف وحق لا نحيد عنه ولا نضيع عن سكته، وكتابنا هذا واحة تستظلون بظلها. ومئزر تأتزرون به إذا ما جد جدكم وهذه الأرض هي أرضكم وقد تركنا لكم أسماءها وكم تمنينا أن نعرف مساحاتها ونحن نعمل لإتمام إحصاء لأهل البلد والكتاب واحة خير وبركة، وسكة وضعنا قطار العودة إلى فلسطين عليه. لقد شق أولئك الطريق لقلمي فرصفت الحقيقة بكلماتي.

==========

وسالت لنا على البطحاء دماء

البطحاء نزول على أرض مائلة تهوى بالسائرين عليها بسرعة... وتسمح لمعتليها بالصعود في بطء تقف لترى البيادر في انتظارك بقمة البطحاء وإذا نظرت للخلف وأنت صاعد لتلتقط نفساً ترى خلفك العين وقد احتلت وسط السهل والبساتين كان يوماً من أحد الأيام الأولى من خريف 1948 في يوم استعدت فيه أشجار بلدتي لتخلع رداء الخريف بعد أن اكتمل اصفرار بعض الأوراق وآثر البعضُ كالأشجار من دائمة الاخضرار البقاء والصمود لكنها تخلع من ردائها وريقات ويبقى اخضرار الأوراق طوال الفصول يتحدى اخضرارها حرارة الصيف وبرد الشتاء والخريف، وعواصف الطبيعة والحياة، ولكن ما حدث لم يمهلنا القطاف والجني والحصاد فهذه أوراق الزيتون شجرة السلام زيتونة مباركة لا شرقية ولا غربية قاومت أوراقها الاصفرار ما عدا وريقات غادرت الحياة، تأرجحت ساقطة تتلاعب بها بيد الرياح وهوت إلى الأرض أمها, حضنتها الأرض عناقاً وراح النسيم يتخلل الأوراق الباقية فأصدرت حفيفاً ولبست الأرض من بقايا الأزهار واهتزت أغصان الزيتون وباركت لهما لقاءاً يا له من عناق أيدي بين أوراق الخريف والأرض... فَغارَ (الجرَبْيعُ) فاصْفَرَ وبدت حَبّاته تحت الزيتون بعيون صفراء، فكم تساقطت أوراق الزيتون على ثرى هذا الوطن... وحضنها التراب تراب الوطن وأحسن لقياها سبحان الله...! كم من سنوات مضت على غرس تلك الأشجار من الزيتون في قلب تراب هذا الوطن. أيْدٍ رعتها، من أصحاب الأرض وانظر إليها فما زالت في ذاكرتنا فهي على أطراف البلدة في الخلة التي تسند ظهرها على جبل السنديانة الذي وقف حارساً. لتلك الخلة ويرعى أشجار الزيتون في غياب أهلها، وصف الزيتون وقد وقفت نصباته حارساً على الدرب تندب أغصانها خلة وكأنها مهد كبير وباتت عين البلدة ترمقها صباح مساء. خلة ترسل ماءَها سيولاً في الشتاء فدوت زئيراً وسواقي تلتوي بين أشجار الزيتون وقد أسمعت الطبيعة الخلة خريراً لتتحدر بلطف إلى ملتقاها بالمسيل الذي علاه صبر ما زال ينتظر عودتنا إليه لنجني ثماره وقد حمانا وغادر الماء الزائد جابة العين وسال مسرعاً فرحاً يتلوى فيسقى حاكورة بجانبها وتزور تلك الساقية أسراب

==========

من العصافير وقد عشقت سواقي بلدتي فوردت إليها كلما دعاها الوفاء والحنين لتقاسمنا بشربه من ماء فأهلاً بالزائر اللطيف. وتمضي السواقي لتمر من تحت عبارة ألفناها صغاراً فكانت عند الحديث كراسينا فاشتقنا لها كباراً.. يا لها من عبارة ما زالت تعد السيارات من وإلى صفد وترصد الأنبرات طائرات أو نازلات حزنت لأنها لم تجد بين الراكبين واحداً من بلدتي.. يا إلهي أين وجوه ألفت أن تراها ويغادر الماء قاطعاً العبارة لينحدر سريعاً. وفي (حاوز) يجمع الماء ليسقي جناناً من بساتين أو ينحدر شلالاً من رباع الورد ليلتوي على محيط تلك الجنان لتسقي بساتين قريتنا فأهدتنا كل أنواع الفاكهة التي عرفها العصر. فهذه بساتين إلى عبد القادر وآخر إلى محمد أحمد سليم وثالث لحسين مصطفى ورابع إلى محمد إبراهيم. إنها بساتين جعلت من الرمان لها حزاماً ومن الورد جباً يتلوه جب فهذا جوري شهري الإنتاج عبيره يغري عاملات النحل فيتسابقن إليه لجمع الرحيق وثالث كالغابة منتصبٌ ما زال عطره يطاردُ الأنوف وأطباقه آثرت حباً لها على نار الشوق وأطباقه هادئة دواء لكل من شكا آلاماً وبغتة ترى المصطاح والمصطاح على حاضره الطريق ما زالت عرائشه بانتظارنا وأشجار أثقلتها أعباء الحياة فانحت مثقلة بغلالتها تنتظر كل موسم أصْحابها وما خالف قومي موعداً..!

والبطحاء وقد لفت على خصرها مئزراً... ينحدر منها طريق عريض أنه الطريق السريع. فما أجمل أن تركب راحلة عند استعمالها وطريق آخر يقابله على الطرف الثاني للبطحة طريق غالباً ما تستعمله النسوة... يا لها من ذكريات لعبت في خاطري..!

جعلتني أهوي بأفكاري سريعاً إلى البستان حيث الصبية يثرثرون على الحاوز (خزان الماء في البستان) أو يَسْبَحونَ به سباحة أو غرقاً كما حدث لي وتلك نسوة فضليات بين الأغصان يأخذن دورهن بالعمل إلى جانب الرجل وتغريني شجرة التين العالية أصعد عليها وأختفي بين الأغصان وغنيماتي ترعى لوحدها ليس لها رقيب وانتظر قدوم العصر بفارغ الصبر لأنه موعد عودتي إلى بلدتي وأرسل لمن حولي أمواجاً من الغناء البلدي فتتكسر موجاته عند أول خروج عن اللحن أو تخونني حافظتي في حفظ الكلمات. فالقطيع الذي يعود إلى البيت مبكراً هو قطيع ما زال جائعاً. هي عبارة تحمل هذا المعنى ما زالت أصداء المكان ترددها. وقد احتفظت بها في ذاكرتي فخزنتها فهل عود إلى الوطن. والبطحاء موعد مع الراحة بعد العودة من الحقول هي المكان الذي يتكئ الراعي بعكازه عليه كمسند (دبسة) من حطب يستلقي الراعي عليها مائلا يراقب القطيع بعين ساهرة بعد أن أخذت نصيبها من أعشاب المراعي وشربت من جابة (حوض) العين. مشهد يتكرر كل يوم هناك

على البطحاء والمرء لا يعرف ماذا سيكتب الله له في لحظة ما. ويبقى الرعيان في انتظار شمس الأصيل عندما تميل نحو الغرب فوق قمة جبل السنديانة.

وعندما اشتد وطء الخلاف بيننا وبين الموعودين بإقامة وطن لهم على أرضنا بفلسطين. أخذت كل بلدة تستعد لدفاع عن حياتها فجمعت التبرعات لشراء السلاح من البنادق فسافر المختار أبو صالح مختار قريتنا لهذا الغرض خارج الوطن فاختار مصر لمهمته أما هم فقد أمدهم المحتل الإنكليزي بأهم المواقع وأحدث أنواع السلاح آن ذلك. فلم تكن المعادلة واحدة ولا الميزان واحد وأتى الأشقاء للدفاع عن عروبة فلسطين من سورية والأردن والعراق ومصر. طلائع من جيوش حديثة العهد بعد استقلالها. هكذا كانت الأجواء وأخذت القرى تسقط بعد مقاومة غير متكافئة. فهذا جزء من مذكراتك قريتي وقبيل أن ينزل البلاء عليك وعلينا اختفى الأطفال والنساء والشيوخ في جبل السنديانة بالقرب من عين عرفت بعين السمورة وبات الشباب حراساً على أطراف البلدة بعد أن خلت من ساكنيها إنه الرعب الذي حملته أخبار القرى التي سقطت قبلنا. وكنت واحداً من أولئك الأطفال آن ذاك. ولما انتهت مؤونتنا من الماء وقع الاختيار عليّ وعلى أخي محمد خير وأذكر أن أخوتي وأمي ودعونا وداعاً لا لقاء بعده. فتحرك قطارنا فامتطيت وأخي صهوة بغل ورفقة براميل. نزلنا الجبل حتى قطعنا الغزلانية بسهلها المنبسط ونحن لا نعلم ماذا ينتظرنا هناك ثم نزلنا الخلة بين جبل السنديانة والبطحة فحنت علينا أشجار الزيتون كما تحنوا المرضعة على ابنها وعانقتنا أعضائها ويبدو أنه كان العناق الأخير وبدت لي الخلة يومها وقد كنت صغيراً كأنها مهد كبير وأسراب الحمام تملأ الفضاء وقد انتابها قلق لا تدري أين المفر. وأخذنا نقترب شيئاً فشيئاً من العين وقد وردت إليها قطعان جاءت من المراعي لترد الماء وما هي إلا لحظات أصغيت بها إلى رصاصات أخذت تدوي فلم أعرف أين المفر وأخي تحول المشهد في لحظات عندما اقتربنا أكثر وراحت أشجار الزيتون تخفينا وخلتها آنذاك كأنها تعطف علينا من شرور المغيرين على عُزَّلٍ على البطحاء وآخرون يرِدونَ الماءَ. تسرب الخوف لكل كائن أجهْشتُ بالبكاء عندما نزلنا المسيل فأخفى المسيل عني المشهد وكنت آن ذاك ابن الثامنة، حقاً لم ادر ماذا جرى لكني انفجرت باكياً ورأيت القطعان تلوذ بالفرار، وقد غطت نقع الدماء المراح: رجل كريم خرج من مكان مجاور وأخذ يربت على كتفي مهدئاً من روعي وقد علمت أن ذلك السيد هو محمد إبراهيم. أحد وجهاء البلدة ملأ أخي جِرَارَنا وأسكنها ظهر راحلتنا التي فرت من وجوه الخطر إلى المسيل. من أتى بها لا أذكر وانتهى المشهد باعتقال واحد من الرعاة ولاذوا به فراراً باتجاه رأس العوجا. صمت المكان ثم سمعنا المكان يردد صدى رصاصات قد تكون واحدة منها أنهت حياة ذلك الشاب وهو في ربيع العمر أنه المرحوم علي سليم وما زال

شقيقه ينتظر عودته صعدنا من الخلة إلى أطراف البطحاء وإذا بنا نسمع أنين رجل آخر يلفظ أنفاسه الأخيرة طالباً شربة من ماء فهَّب أخي من توه لإسعافه أما أنا فلم أجد غير البكاء عندما رأيت دماء تروي البطحاء وتعانق تراب الوطن فسقى قلبه ذلك المرحوم الذي سبقنا إلى جنة الخلد إنه السيد تركي عبد الله قدورة. دماء زكية تسيل على البطحاء امتزجت بتراب الوطن فسقت قلبه كما فعلت أوراق الزيتون عندما سقطت من مكانها إلى تراب هذا الوطن وتركت خلفها لغيرها رمزاً للسّلام الذي بات الأحرار يؤمنون به. وعلى أطراف البلدة وجدنا من الغزاة من يراقب تحركاتنا وهم ينتظرون عودة سكان البلد للانقضاض عليهم في مذبحة جديدة تضاف إلى مذابحهم في قرانا.. ولما دنت راحلتنا إليهم أمرونا برفع أيدينا. ففعلنا يا للعجب فِتْيَانٌ بعمر الأزهار يرفعون أيديهم. حدث هذا وكان معهم بعض من أبناء بلدتي وقعوا بقبضتهم كان اليهود يتكلمون لغَة ليست كلغتنا يزرعون البلدة بشرورهم ورعبهم. إنه الإرهاب بعينه وتساءلت عما حدث في هذه الدنيا..! أتذكرون، وكلنا يذكر، ماذا حدث لهؤلاء القوم يوم أن كنا نحن معشرَ العرب في الأندلس وكانوا هناك وقد ترك العرب هناك لهم بصمات ما زالت تشير أن العرب مروا يوماً من هناك.. ولما أرغمنا على مغادرة الأندلس، وأرغم اليهود كذلك لم يجدوا غير العرب يقبلون بهم فحلوا في شمال أفريقيا. فشتان ما بين ما حدث بالأمس ويحدث اليوم فليست فلسطين فارغة من سكانها لتكون لهم وطناً ونحن نبحث على وطن في أصقاع الدنيا وما هي إلا دقائق معدودات وَنجونا من قبضتهم فنجونا من غضبهم وقبضتهم. لكنهم دخلوا القرية من جديد عندما رجعوا القهقرة يبحثون عن أحياء في البلدة... ليكون صيداً لهمجيتهم وأخيراً وقعت أيديهم على مواطن من البلدة هو السيد: محمد علي قدورة الذي ضحى بنفسه ورفض أن يغادر المكان فسألوه عن بيته فأرشدهم فأدخلوه إليه قصراً ثم حرقوا المكان أين الرجولة في ذلك؟ والتفتوا إلى بقية المنازل فصارت هباءاً منثورا بعد أن نسفت... هكذا صارت السموعي وفي اليوم التالي أتى القرية السيد عبد الله قدورة يبحث عن ابنه تركي ليدفنه إنَّه الذي روى البطحاء بدمه وكان بحق مشعلاً. للذين جعلوا من دمائهم زيتاً لمشعل الحرية، والذين سَبقونا بشرف الشهادة في سبيل الوطن وعلى البطحاء سالت دماء. ولو أنصف المنصفون لصنعوا لهؤلاء تماثيل فخار تعيش في القلوب وتعيها الذاكرة. ألا تستحق منا بطحاؤنا كل هذا الوفاء لأنها رمز للوطن.

علي سليم شخصية عرفت طريقها إلى جنة الخلد... فالشهداء أحياء عند ربهم يرزقون... وما زال أخوهُ محمود سليم على العهد ينتظر أخاه حتى يعود من الحقل.. لم يغادر فلسطين كما غادرها الآخرون وفي ذلك يتجلى الوفاء الأخوي وحب الوطن في أجل صُورِهِ. ولم يعد محمود للقرية ليعيش بها لأنها أكوام من حجر وتراب لكنها الوطن الصغير الكبير بل عاش في قرية قريبة من قريتنا (بيت

==========

جن) على أمل أن يعود أخوه يوماً من الحقل. انتظر وانتظر وطال انتظاره نصف قرن فما عاد إليه أخوه.. وما عاد إلى قريته دماء علي وبقية الشهداء كانت زيتاً أضاء مشعل الحرية لطالبي الحرية والانعتاق دماء سفحت على البطحاء بالسموعي. ومن الصعب أن يحيط كاتب برسم صورة لذلك الوفاء أو تلك الدماء. ألا أكرم بمن التهمته ألأسنة النار وآثر إلا أن يكون منزله ضريحاً له ولو أنصفوا لقالوا هنا يرقد الأبطال يا الهي.. أرَأيتم كم كانت بطحاؤنا غالية لا تفدى إلا بالقرابين على مذبح الحرية والحرية باب لا يدقه إلا من كانت يده مدرجة بالدماء وما أجمل أن يُدّقَ بابُ الحرية بتلك الأيدي وليت شعري أما كانت بطحاؤنا ملاعب الطفولة لنا ومبعة الشاب لبعضاً الآخر وخط موصلات بدون تذكرة أو بطاقات.. ولا حتى جوازات سفر.

ولنا على البطحاء دماء

==========

بيــادرنــا ممــالـك لنـــا

ألا ليت شعري كيف اجتمعت جميع المرافق العامة في مكان واحد هو البيدر.

لَسائل من أطفالنا أن يسألني عن الملاعب، والمراكز الثقافية، والحدائق العامة والنوادي ومنتجعات بلدتنا. إن جميع هذه المرافق العامة تلتقي مجتمعة في مكان واحد اسمه البيدر بالإضافة إلى دور آخر لا يقل أهمية سآتي على ذكره في مطلع كلامي: كالحصاد . والدرس . والتذرية.

البيادر لوحة عز وعطاء تربطنا بالأرض والوطن. وهي مساحات مسطحة يتقارب بعضها من بعض، في خدامتها ولكل عائلة بيدرها قد رصت ذرات ترابها. وقبل موسم الحصاد يتم إعدادها لتكون جاهزة. هي مُسَطحات مرصوصة تؤكد على وحدتنا وتعاوننا وتشد من أزرنا. ومن أدواتها لوحْ لِدّرسِ. وهي قطع أخشاب ارتبطت وتشابهن وتماثلت وعلت من أمام قليلاً وارتفعت ليتم جرها من قبل بغل أو غيره. وفي أسفل اللوح ثقوب دائرية، تعبأ بما يماثلها من حجم بقطع حجارة من الصوان صلدة تقوم بفرْك السنابل وتكسر السوق إذ يقوم الفلاحون بالحصاد عندما تشتد حرارة الصيف في تموز وآب فيخرجون من بيوتهم إلى الحقول مبكرين ويتسابقون في حصاد إنتاجهم ويجمع حصادهم أغماراً من ذهب عندها تردد السهول والوديان أغانيهم من العتابا والميجانا... إنها لوحة من الماضي السعيد أهديها إلى جيل من الأبناء والأحفاد يتوق إلى رؤية الشريط بحلته البلدية. لعل الحصاد إحدى هذه اللوحات إذ تنقل الأغمار على ظهور الحيوانات بواسطة ما اصطلح على تسميته آدم من خشب يُرَكّبُ الآدم على ظهر الحيوان المعد لنقل من بغال أو حمير أو نحوها ثم يُحَمّل الآدم بتلك الأغمار وتحزم حزماً جيداً وتنتقل إلى البيادر وتوضع أكواماً حسب أنواعها من حنطة، أو شعير، أو فول... وتأتي بعد ذلك لوحة أخرى من درس الإنتاج ويتم ذلك بعد فرش الأغمار ويوضع اللوح، فوقها ثم يؤتى بالبغل... ولكل لوح حبال أو غيرها تربط لوح الدراسة (بكلدان) يوضع في رقبة الحيوان. ويقف الدارس حسين الحلبي أو يجلس على اللوح ويدور ويدور عدة مرات ثم يقف. وتُقلب السنابل عدة قلبات ويعاد

الدرس حتى تتكسر السوق وتنفلت الحبوب من السنابل. وتأتي بعد ذلك فرشة جديدة من السنابل. وأداته المذراة وتشبه أصابع اليد لكنها طويلة تسمح بالتذرية اليدوية ويلعب الهواء دوراً في إلقاء الحب

==========

وإبعاد التبن محمولاً على أجنحة الهواء بعيداً. وبعد أن تتم التذرية ترى كومة من قمح ذهبي أو كوماً من شعير أو فول. يا له من عمل جماعي بين البيادر في لوحة أخاذة نزعتها من الماضي السعيد تغمرها أغانينا ومواويلنا. ثم ينقل الإنتاج إلى المنزل بأكياس تصب في صومعة من الطين من قبل أبي خريوش في بيت العيلة داخل الكوايز وهي خزائن من طين تبنى على محيط البيت الكبير ولها فتحة من الأعلى للإضافة وفتحة ضيقة بالأسفل تسد في كرة القماش لنأخذ منها عند الطلب، فهذا دور اقتصادي للبيدر في قريتنا. فالبيدر ملعب ومركز اقتصادي.

بل البيدر ملعب ونادي وقد رأينا ذلك في ألعاب مختلفة وفيه يجلس الدارسون تحت أشجار الزيتون صيفاً يقرأون. بل هي منتجع لراحة وفندق في الهواء الطلق وحديقة عامة تشرف من علٍ على البساتين وبدت لناظرين حناناً قطوفها دانية وسواقيها ناي والحساسين ماثلة فهل من عود إليها قبل أن تصبح الدنيا فانية.

لي بيدرٌ هناك آليت ألا أنساه وألا أرى غيري في هذه الدنيا مالكاً... وفي عودي إليه سأصبح المالك من القديم الجديد.

فانظر إلى هذه اللوحة فقد اتحدت جميع البيادر في دوراتها كرياضة انزلاق فوق أمواج البحر. أو كأنها مجموعة شمسية قد رَكّبها أبناء قريتي تدور النوادر سريعة وفي دورانها كأنها تحاكي المجموعة الشمسية في السماء فشتان ما بين المجوعتين هنا الجمال والعمل وحب الوطن. وهناك مجموعة من صنع خالق لها مجموعة شمسية تدور في أفلاكها بدقة لا يحسن عليها إلا قادر هو الله تعالى. لا شك أن بيادرنا تدور في فلك تلك المجموعة فهل بينكم أيها الأطفال من يحسن رسم هذه اللوحة التي زينت بيادر بلدتكم وما زالت تعيش في ذاكرة الكبار. هي لوحة من الماضي والعمل بها يدوي. يختلف عن الحاضر في الجني حيث يكون درس الحبوب بعد حصادها في آلة واحدة هي الحَصَّادَةْ. فالحصاد بها آلي سريع والعمل بها جدٌّ بديع. وبعد انتهاء الدرس والجني يأخذ البيدر دوراً آخر فيصبح مقراً للمواقف العامة هذه صورة نزعتها لكم من ماضي آبائكم وأجدادكم انظروا إليها كأنها قطع من أثواب تجاورت وعلا بعضها بعضاً. وكثيراً ما كان الصبية يذهبون إلى الحقول ويلتقطون من وراء الحصادين ويجمعون ما فلت من سنابل. أما الفتيات فكن يجمعن سوق القمح بعد وصوله إلى البيادر ويغمرنه بالماء ليلينَ ويُضْفنُّ إلى بعضه ألواناً ويبدأن في نسبح ذلك بطريقة يدوية متوازنة فيصنعون أطباقاً واسعة كالصواني النحاسية, يا له من عمل يدوي ساهم في تزيين جدران المنازل أو استعمل كصواني واختلفت الأسماء لنقل الخبز أو وضع الطعام عليه عند تناول أحدى الوجبات ويستعمل كآنية لجمع الخبز وحفظه واختلفت الأسماء فهذه أفورة، وتلك صونية، وثالثة حملت اسماً آخر. يا لها من أفورة وقد حفظت في جنباتها «نقلِ العيد» وحلويات العيد وكعك العيد.

==========

فكم من أفورة أدخلت السرور على قلوب الأطفال عندما كانوا يجمعون باقات الأزهار. وانظر إلى أخرى إذ وضعت على رأسها صينية. وقد حملت ملابس العريس أو العروس وراحت ترقص فرحة ومن حولها فتية يصفقون ونساء يهاهون وقارعة على الدربكة تقرع أجمل الألحان.

يا إلهي ما أجمل تلك الصينية من القش، وقد صمِدَتْ فزينت على الحائط بألوانها البهية فحاربها الأنام وأعجزت ريشة الرسام عن الإحاطة بها أو محاكاتها إنها بحق بيادرنا.. تقدم لوحاتها لزائريها.. لوحات عشت معها وها أنا أتركها لكم على الأوراق من تراثنا حكايا.

فما أكرم البيدر..! في عطائه، من رغيف الخبز إلى الآنية، وَكَم من أجيال لنا مرت عليه وبتنا من بعيد نشكو حالنا إليه فهل من منصف في هذه الدنيا يعيدُ أحفادنا إلى بيدرنا الكبير.. فخيالي بحُبّ الأوطان أسير.

وما أصعب يوم هجرتنا بعيداً عن تلك البيادر.. فقد كان بحق حصادنا بعام النكبة ينتظر الوصول للبيدر وما زالت بيادرنا على موعد مع الحصاد القادم إليها. ولكن غط النورج في نوم عميق والآدم في الحقل ينتظر من العالم أن يَسْتَفيق. إننا في عالم نرى فيه العدالة يلتهمها حريق فسقطت قريتنا بأيديهم كما تساقطت حبات الزيتون فقد غاب عن حقولنا جناتها وحل محلهم جناتها الجدد وما أبعد الفرق بين الجانيين.

==========

هل تعود الطيور المهاجرة لكرومها

سوار من سناسل، وحزام آخر من أشجار الصبر، جَعَل الكرمُ، منْهما حزاماً على خصره، باتا ينظران في ليلة طلوع البدرِ وقد كشفت السماء عن صدر. ونامت كروم بلدتي بانتظار الأمر النجوم ترى على حِفَافَ بلدتنا تقف الكرومُ شمالاً وشرقاً منتصبة ووضعت من أشعة الشمس صباحاً قلائد من تبر ووشاحاً من ضياء. تفتح أحضانها للسماء.. وفي الليل ترتدي ثوباً من طيلسان، وحولها سناسل تصون المكان ويطل البدر ويغني السحر ها هي أشجار اللوز عند الصباح وقد تعالت شامخة أحياناً تفتح أغصانها لريح، متمايلة، وحبات اللوز قد لمعت عيونها تحتجب بدلال بين الأوراق وتسفر عن عيون خضراء في حين آخر فَتُسَيِّلُ لناظر إليها اللعاب. فكأنها تغري الناظرين إليها. والظلال تحتها أخذت تخطر حيناً وتتراقص حيناً آخر، تتقدم وتتأخر بمدها وجزرها فكأنها تدعو الناطور إلى أن يجلس، بظلها جاعلاً من حجارة الكروم وسادة لرأسه. والمحجانة قد أخذت مكانها بالقرب منه وقد استلقت أرضاً وفي أعلى أغصانها بنت العصافير أعشاشاً لها مختفية خلف الغصون. وتصفى فراخها إلى حفيف الأوراق منتظرة عودة والديها من العين يحملان حبوباً للفراخ في مناقيرها فحالت دون تغريدها تُمضي النهار بين جيئة وذهاب في طيران يغري الصيادين من الصغار، ويكفيها أنها ملأت فضاءات القرية بتغريد يغري السامعين. طيور من الحساسين وقد نسِجَت بريش من الألوان أو بلبل قد ملأ الكرم ألحاناً ومَرحاً وارتدى من الليل ثياباً متنقلاً من غصن إلى آخر يصدر في كل تنقل أو طيران لحناً من تغريد بديع لا تطوله محجانة الناطور ثم يترك جناحيه للهواء سابحاً بين أشجار الكرم وقد ملأ المكان من تغريده ألحاناً وفجأة يختفي ويصمت الكرم إلا من حفيف الأوراق وهمس الرياح والحديث هُنَا لطَّبيعة الصباح لا يكبح لها جماح وهذه أشجار التين قد فتحت أذرعها للسَّماء تتراقص متمايلة وقد أثقل الحمل أغْصانها فمالت على بعضها متعانقة وبعضها الآخر انحنت مرحبةً بقادمٍ للكرم أو زائر. وامتدت يد النسيم فحركت يد النسيم الأغصان فتمايلت مثقلة بحيات التين وقد أينعت وحان قطافها، وأرسلت العصافير إلى الكروم سفراءها وسكنت مَن الكرم على أغصانها فنقرت بمناقيرها أكوازها وأرسلت في سماء بلدتي ألحانها.

==========

هذا حال كرومنا كل صيف عندما تبتسم الشَمسُ للكروم وترى حبات التين وقد بادلت الشمس فابتسمت لها وفي يوم وليلة تحولت من مكانها في أعلى شجرة التين إلى أسطحة المنازل... أكواز منها على الأسطح منشورات وللشمس أذرعاً من تين فاتحات... وبعد أيام تجف ويحلو أكل المجففات عندما تعقد في البيوتات الفلسطينية أحلى السهرات... وفي السهرات متعة وحوار وأكل الأطين في الشتاء. وللفلاح كل ثناء كروم بلدتي لا ترتوي إلا من سماء بلادي شتاء تعيش وحيدة لا تصغي لخرير الماء صيفاً فتينها بَعْلٌ كروم بلدتي لا ترضع ماءها إلا من فم وَطْفَاءَ عانقتها شتاءاً ولا تبرح الكروم إلا بعد أن تلقي ما في قربتها وَتحلب مُزُنٌ من ماء زلال، وفي الشتاء تخلع كرومنا ثوبها الأصفر، لا تُرى شتاء إلا عارية أغصانها فارغةٌ تهجرها الحساسين وتنأى عنها الشحارير... ولا يسكن أغصانها إلا الغربان لتأخذ قسطاً من راحة في غياب الناطور فترسل إلى آذان الكروم نعيقاً ثم تختفي... أما البلابل فقد هجرت المكان. أما البوم فقد وجدت لها موطئ قدم بين ألواح الصبر ترمق الكرم وتنعق ليلاً متنقلة وإذا دق الربيع أبواب الكروم من جديد استجابت الكروم ففتحت للربيع أبواباً فاكتست أشجار التين أوراقاً وثماراً... وما زالت ثمارها عجر لكنها ستنضج صيفاً إذا ما جاءها من رب العالمين أمرُ. وأما أشجار اللوز فقد أحرمت في أول الربيع أزهارها بيضاء كالقطن وبعد ذلك تزحف للظهور أوراق بدت خضراء يخالطها الآن قليل بياض. ثم تظهر حبات اللوز فتكبر يوماً بعد يوم. قد تأكل خضراء أو ينتظر لتفرك فتجفف وتخزن وفي الربيع ربيع الحياة تعود الطيور إلى كرمنا هناك في بلدتي ولكن أحداً لا يسألها أين كنت ولا من أين أتيت؟ رحلتها رحلة بلا تذاكر ولا جوازات سفر وتشرع في تغريدها وبناء أعشاشها فهل سيعود أبناء بلدي من هجرتهم إلى الوطن... ويجدوا لهم فيه أعشاشاً كروم كنا نرتع بها صغار! ولم يبق إلا من الأحلام ذكرى إنها كروم قد زرعناها نصبة... ورعيناها عقوداً وسقيانها قطرة قطرة ثم تركناها لترتوي من الشتاء ماءها فكانت ملاذاً لنا في الصيف إذا ما دنت ثمارها. وترى أصحاب الكروم إذا ما دنا لها قطافٌ قصدوا الكروم زرافات ووحدانا ونصبوا تحت الأشجار سلالماً ليصلوا إلى أعالي ثمارها في تعاون جماعي لجني المحاصيل في سلالٍ أو أفافير لتجد طريقها إلى الموائد أو التسفير.

تلك الكروم لوحة أردنا يوماً أن نرسمها للأبناء والأحفاد ليعرفوا كيف كنا وماذا لنا ولنا الفخر فيما كان لنا يوماً ما. فمن يروم منها المزيد وقد رسمناها لوحة للكروم بألوانها كما كانت لا كما يريدها غيرنا وكانت لنا نعمة فهل تدوم...؟

وكم خطونا في تلك الكروم وراء سلاحف عاشت بالكروم وحِرْباءُ أو (كركعة) سلحفاة والحرباء كانت تخلع ملابس ملونة حسب طبيعة المكان ألا فانظر معي إلى سوار من صبر زين حاصرة

الكرم. وانتصب فوق الواحة الخضراء مختفية أشواك مدافعة. فإذا ما علت رؤوس الألواح ثِمار كأنها فناجين امتلأت من حلاوة وَسكرِ. تنمو يوماً بعد يوم فاخضرت فناجين وإذا مادنت فأيعنت للآكلين وردّت شمس بلادي خدود الأكواز وحان للقاطفين قطافها رأيت الآكلين يبدعون وسيلة للقطع فاستعاروا من المطابخ علباً من تنك وادخلوا في جوفها من الأسفل عصاً طويلة أطل رأس العصا من الجانب الآخر وامتدّت العصا براحة وأدْخَلتْ كوزاً من الصبر داخلها، فأمال القاطف العلبة قليلاً بالكوز فغادر الكوز اللوح وعادت العصا إلى الأرض لتجمع الأكواز أكواماً. وإذا ما انتهى من جني احضر من الكرم مكنسة نظمها من أغصان التين. وراح يضرب الأكواز بها مرات وَيُقَلّبُ الأكواز مرات أخرى فيسقط مارق من أشواك على محيط الأكواز ويجمع ما جني في سلالٍ خاصة أو صناديق. وفي المنزل تلقى الأكواز في ماء بارد ثم تقشر فيقطع قسم من الرأسين ويتركُ على الجانبِ بالسكين جُرح وينزع الجلد بكلتا اليدين. وتوضع الأكواز المقشرة في جاطات. لتجد طريقها إلى المائدة فهي من أشهى الثمار في الصيف. وما استرعى مخيلتي أن البيادر كانت قريبة من الكروم لا يفصل بينها وبين الكرم إلا طريق يسلكه السالكون إلى مواقع أعمالهم أو عائدين منها. وعند التذرية يتطاير التبن الناعم تحمله الرياح ليملأ الطريق المطروقة أو يتساقط على شجرات الصبر فتلبس الأشجار من التين أثواباً فكأن الألواح قد شابت قبل أن يحل الشيب أوْ كأنَّ اللوحَ وجهٌ أبيض شائب أو كأن الثلج يتساقط صيفاً. فإذا أسعفتك المناسبة وسرت فوق تلك الطريق شابت ناصيتك وأخذت تخطو فوق التبن كأنك رجل فضاء نزل إلى كوكبنا في الصيف من أحد الكواكب.

فما أكثر القادمين إلى بلادي..فأنْعِم بمن أتانا من كوكب آخر ليزور هذا الموقع البديع وما أجمل أن تعود الطيور المهاجرة من بلدي إلى مواقعها في الكروم وتنتهي من عالمنا الخصوم.

أنا السموعي، طال ليلي فكم سافرتْ فوق رأسي النجوم، وما زلت منتظره... وأشجار كرومي ما زلت ساهرة تنتظر عودة الطيور المهاجرة.

==========

الدندانـــة والـوطـــن

إنها مغاني قريتي، جمالها آخاذ وكأن الربيع استلقى على أرضها، وأبى أن يبارحها.. مغاني قريتي إن بالغت في وصفها إنها بمنزلة الربيع طيباً .. ويسكن على ركن من أركانها قطعة من أرض سموها (الدندانة) وهي ركن فلسطيني لاستنبات الأشجار. تفرش بالرمل والزبل وتخزن بها حبات اللوز .. يعتني بها لتكبر. ثم تنقل إلى البستان. وتركب ويبقى القوم أعواماً ينتظرون حتى تثمر ويطيب لهم أكلها. ويحضر اللوز اليابس من أراضي القرية وحماها وأحياناً أخرى يشترى من المدن الكبرى كصفد أو عكا أو حيفا. هم غرسوا فأكلنا ونغرس فيأكلون ومازال الطفل مصلح يتذكر إلى اليوم حكايته مع اللوز اليابس ومازال لم يكمل عقده الأول سافر مع والديه إلى مدينة صفد .. انتظروا على (النمرة) موقف الحافلات على الطريق الرئيسي الذي يصل حيفا بصفد مروراً من قرية السموعي. وبعد طول انتظار أصغيت بجمعي فإذا بزامور الحافلة يسمع من بعيد بصوته المضحك. صمتنا قليلاً. وقلنا بصوت واحد (اجه) جاء فبدأ قلب الطفل يخفق فرحاً بركوب الحافلة، وحمل الأب في كوعه سلة قد حوت السلة على فواكه من البستان، وأما الأم فقد عدلت حجابها وتوجهوا إلى الطريق بعد أن تركوا خلفهم شجرة الخروب وحيدة على (النمرة) فكأنهم خرجوا من كوخ وتراءت أشعة الشمس التي اخترقت الأوراق ورسمت على ملابسهم قروشاً لكنها راحت تفر متراجعة باقترابهم من الشارع الرئيسي. توقفت الحافلة. فنزل منها من نزل من أهل القرية الفلسطينية وتبادلنا معهم التحية. وصعد المغادرون الحافلة وصعد المعاون سقفها يلقي بالأمتعة لأصحابها (حبة حبه) قليلاً قليلاً أخذت دقات قلب مصلح تتزايد خفقاناً كلما اقترب من باب الحافلة الخلفي. كانت الحافلة جديدة تعمل على الخط بين صفد وحيفا ولم يغادر الطفل بعيداً عن أمه بل تمسك في ملابسها خجلاً من القادم فتح الباب ودخلت العائلة مع الداخلين ولأمر المولى مستسلمين. رجا الطفل أمه أن يجلس قريباً من النافذة ليتمتع بجمال طبيعة فلسطين. فاستجابت له فأجلسته في حضنها وحجزت العائلة مقعداً لاثنين. أغلق الباب الخلفي للحافلة ثم

==========

الباب الأمامي، يدوياً وازداد الطفل حماسة واحمرت وجنتاه واستجاب لرغبة أمه بأن لا يخرج يده من النافذة. تركت الحافلة بيوت القرية خلفها وأطلقت عجلاتها لريح وشيئاً فشيئاً نزلت إلى العين ومرت من فوق العبارة (جسر يعبر من تحته الماء) كانت بساتين القرية على اليمين وما هي إلا لحظات حتى وصلت الحافلة رأس العوجا. وراحت السموعي تغرب وتختفي عن الأنظار. وما هي إلا بضع دقائق حتى أخذت الحافلة طريقها إلى بستان زندل ثم صعدت الوادي في طريق كأنه الزاوية القائمة وما إن وصلت الحافلة على مشارف قرية ميرون حتى أخبرت الأم ابنها مصلح بأن هذه القرية كانت مرتعاً لطفولتها لكن الطفل قال خالو يسكن هنا. ففرحت الأم بذكاء ابنها وبراءة حديثة ثم قال قرش ففهمت الأم أن أخاها أعطى ابنها قرش فلسطيني. ثم قالت الأم لابنها تذكر يا بني دائماً أن هذه الأرض هي فلسطينية ولنا فيها نقودنا وأرضنا، وقرانا، ومدننا. فقال الابن نعم يا أمي سأذكر ذلك ولن أنساه. ثم قالت الأم على الليرة الفلسطينية قد كتب وأخرجت من جيبها ليرة. قالت لابنها اقرأ ما كتب هنا. لكن الابن سأل أمه أن تقرأ فقالت ما أنا بقارئة تعجب الطفل! وقال يا إلهي! فقال جنيه فلسطيني. قالت الأم أرأيت كانت لنا نقود ودولة. وقد أخبره والده بذلك وهنا كتب باللغة الإنكليزية (ون باوند) one bound وكتب هنا بالعبرية القانون يعاقب المزورين. سأل الابن ومن هؤلاء؟ قال الأب إنهم قوم جاؤوا من آخر الدنيا . ليزيفوا الحقيقة عندنا ستعرف ذلك فيما بعد. وها أنا اليوم بعد أن كبرت عرفتها وبعيداً عن الأطناب والإطالة. وصلت الحافلة إلى صفد ونزل الركاب وذهب كل في طريقه ونزل الطفل مع والدته إلى أن وصلوا حارة السوق. فدخل الطفل مع والدته داراً وفرح الطفل لما رأى أخوته. كان صالح وصلاح ومحمد خير يدرسون في صفد والكبيران ينامان بالمنزل وكان الطفل مصلح وشقيقته الصغرى يقصدان المدرسة الابتدائية كان مصلح يتعلم في مدرسة الزاوية وله فيها أصدقاء ومعارف فزادت معارفه في المدينة في كل يوم. كانت صفد مدينة جبلية ذات هواء عليل. ودخل الطفل الصغير بها دار الخيالة (السينما) لأول مرة فازدادت دهشته مما رأى في الشريط السينمائي ما لم يراه في القرية. ولما جاءت العطلة شدت العائلة رحالها للعودة إلى القرية، وما أحلى الرجوع إليها! ومازال الطفل يتذكر رحلة العودة. كانت العودة في تكسي وكان يجلس في المقعد الخلفي وعلى جانبيه راكبان لم يعد يذكر من هما حتى اليوم. وبين قدميه سطل قد امتلأ بحبات اللوز اليابس. كان لا يعرف لماذا جلبت العائلة كل هذا اللوز فسال لعابه. وبكل براءة أخذ الطفل يملأ جيبه منها ويعد نفسه بأكلة لوز يابس بعد الوصول إلى القرية. شعر الطفل أن الطريق طريق العودة طويل. لماذا ؟ لا يعرف ربما لأنه يفكر باللوز وطار عقله مع اللوز.

==========

وعندما توقفت عجلات التكسي على النمرة بالسموعي. كان النزول في رأس القبلة وكان الطريق إلى القرية شبه معبد.. أخذ الطفل يقفز على الطريق. ويتمنى أن تنتهي الطريق بسرعة وبانت رؤوس المنازل من بعيد وراحت تكبر شيئاً فشيئاً حتى وصلت العائلة السعيدة القادمة إلى القرية بعد طول غياب. وما هي إلا لحظات حتى ترك الطفل والديه يدخلان الدار من بوابة ضخمة أما هو قد سند ظهره لدرفة من الباب وبيده حجر وراح يكسر أول لوزة فأكلها فوجدها مرة. فكشر وقال وماذا عن الثانية؟ فلاقت الثانية مصير الأولى فكشَّر وكسر الثالثة والرابعة إلى آخر لوزة. ثم قال يا إلهي جميع اللوز مر...! ما هذا الحظ؟ قال هذا وهو لا يعرف أن هذا اللوز مر فقط. فذهب سريعاً إلى أمه ونقل لها الخبر؟ فقالت له إنَّ هذا اللوز خاص لدندانة كان عليك أن تسألني قبل تنفيذ مغامرتك فقال لها وماذا تعني الدندانة فأخبرته ... فأصغى وسجل في ذاكرته وقال عندما يأتي العمل بالدندانة هل أستطيع أن أشارك يا أما؟ قالت له نعم. يجب أن تتعلم ذلك وغداً تكبر ويصبح لك بستان. فارض أبيك واسعة ويجب أن نحافظ عليها لقد غرس الأجداد البستان فأكلنا ونغرس نحن فيأكلون. والدك قد غرس أشجار البستان وتعب في إصلاح الأرض. وكذلك فعل جميع أهل القرية. وهكذا يا بني تتعلم الزرع فتزرع وتحافظ على الأرض وهي أمانة ورثناها عن أجدادنا وعلينا ألا نفرط بشبر واحد من أرض فلسطين.

قالت الأم واعلم جيداً يا بني أننا نجعل من أرضنا جنة بفضل الدندانة قال الطفل الصغير مصلح مبتسماً «من زرع زرعاً، أو غرس غرساً فأكل منه إنسان أو دابة أو طير إلا وكان له به صدقة»

أما الأم فسرها ما سمعت وقالت لابنها من أين تعلمت ذلك؟

قال مصلح: أبي علمني ذلك سأكون كأبي محباً للأرض وقد أخبرني أن هذا حديث نبوي عن الرسول محمد (ص) أما الدرس الثاني سآخذه من الدندانة سرت الأم من فطنته وتوقعت له مستقبلاً في حب الأرض.

==========

بســـاتين فـــي مهـب الـريـح

كـان الأب عبـد القـادر يعد ابنـه صـالح ليكـون طالبـاً يـتعلم الزراعـة وأصـولها ويـرد ينابيعها الصـافية، فأرسـله ليـتعلم ذلـك إلـى مدينـة طـولكرم (خضـوري) وكـان أملـه بدايـة الحلـم تـابع الفتـى صالح دراسته وفي كل عطلة يعود إلى القرية بعلم جديد وأفكار جديدة لقد كان يُعد نفسه ليدخل تطويراً على أصول الفلاحة بقرية السموعي لقد كان ذلك حلمه الأول، جد واجتهد وسهر الليالي. وأثنـاء العطل يعود للقريـة. كـان يومـاً رائعـاً للطفل مصلح ليـتعلم المزيـد مـن دروس الفلاحـة وقد تولدت صداقة بينه وبين الدندانة وأرادَ معرفة أسرارها. فزار الدندانة.

كانت شقيقته رقية مسؤولة عن سماد الأرض وكان أخوه محمد خير وصلاح يساعدان في أعمال البستنة رأى مصلح الدندانة لأول مرة بعد ما سمعه من أمه رأى أن حبَّ اللوز المر يكسر ويأخذ منه اللب السليم ليكون الإنبات سليماً وضعت حبات اللوز المقشر ولتطمرَ بالرمل ويعطي من الماء والسماد ما يكفي مكشوفاً لأشعة الشمس أخذ مصلح يراقب هذا العمل المتكامل فعرف أن النبات يحتاج إلى التربة للغذاء والماء والهواء، والحرارة القادمة مع الضوء من الشمس مع شيء من السماد الطبيعي وما هي إلا أسابيع حتى كبرت الشتلات. وقام الإخوة بالعناية بهذه الشتلات بقطع الأوراق السفلى وكذلك الأغصان السفلى حتى ترتفع النبتة وتطول. ثم تنقل لحقل البستان فتغرس وتسقى وبعد ذلك يأتي خبراء التطعيم لتطعيم على لوز حلو أو خوخ أو دراق بعد أن تكون قد تعودت على مكانها الجديد. وكلما أتى مصلح ليساعد يجد الصد من إخوته. بحجة إنه صغير ويفسد الشتلة. لكن أمـه غابـت عـن هـذه التجربـة وهكـذا تنوعـت الأشـجار فـي بسـاتين السـموعي. وكبـرت الشـجيرات وازدهرت بفضل الدندانة فليس البستان للإحرام ثوباً واحداً إن ثمرات البستان تكبر شيئاً فشيئاً وتدلت الأغصان مثقلة بالثمار اليانعة التي حان قطافها. ولموسم القطاف أصول ومواعيد وطقوس تجمع الثمار على بساط ثم يقوم الأخوة والأخوات بترتيبها في صناديق خاصة وتغطى بأوراق ملونة .. وعلى مصلح أن ينظر إلى العمل وعندما يكبر سيشارك في صنع الحدث ولكن ذهبت أحلامه أدراج الرياح أعدت العائلة الصناديق ثم نقلت إلى غرفة التصدير وفي اليوم التالي تأتي الشاحنات ويسمح لها بدخول البستان بأمر من عمي أحمد ويشرع عمال البستان بنقل الصناديق إلى السيارات لتجد طريقها إلى أسواق المدن الفلسطينية الكبرى.

أما العم أحمد فقد كان يراقب العمل وعمل حريصاً على مراقبة العمل ليكون الإنتاج مطابقاً للمواصفات التي يطلبها الزبون المُوَّرد له. والوصول إلى أماكن العمل بموعد مضبوط أما رب

العمل عبد القادر وكان المشرف الرئيس على سير العمل ويثني على المثابرين ويتصل بالزبائن عن طريقة العلاقات الخارجية وكان لا يطيق تأخر الزبون عن موعد تسليم البضاعة . وكان ملتزماً بالعمل والمواعيد فنال إنتاجه شهرة محلية . داخل فلسطين.

وبعد النكبة سنة 1948 أجبرنا على مغادرة القرية.. وأخذت أملاكنا من أيدينا في وضح النهار فكانت العقدة التي لم تجد حلاً وأصبحت بساتين قريتي في مهب الريح... لهفي على تلك المغاني التي كانت في يوم ما بمزلة الربيع من الزمان. لكنها اليوم صارت في مهب الريح وكلما تذكرتها فجرت بي أحزاني. لكنها لن تفقدني آمالي بالعودة إليها. خيوط النكبة قيدت يداي وحرمتها من العمل بالبساتين فصارت في مهب الريح.

بساتين السموعي

سور بستان أبي صالح كان من الحجارة، والأسلاك الشائكة من الخارج وشجر الرمان من الداخل، حيث كانت أغصان الرُّمان وثماره تفرش نفسها فوق السياج

وللمارة نصيب من ثمارها «أبو جاد»

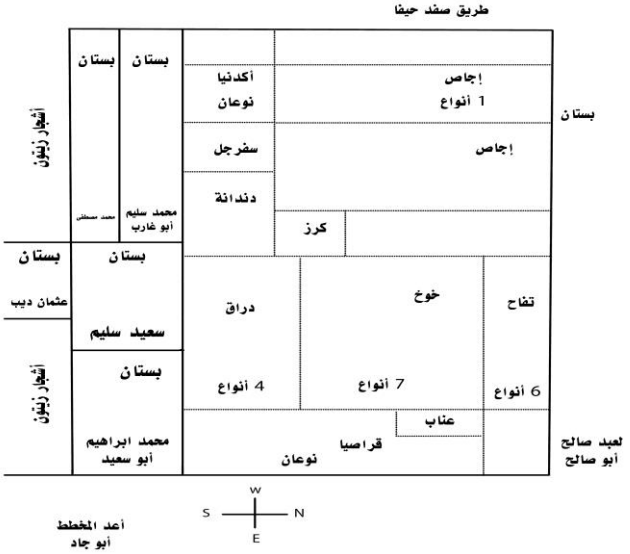

==========

بساتين قريتي بحاجة إلى ترجمان

كلمات حنين عن البساتين أسرع من البريد الالكتروني ـ تجد طريقها للقراء

فإذا ما تركت القرية خلف ظهرك بدت كأنها بعد النكبة بقايا ديناصور.. وإذا ما أسعفتك الفرصة وأقبلت نازلاً من القرية فسوف ترى مشهد البساتين بأحلى ما تكون وقد استلقت على منبسط الوادي الذي غط في نوم على تغريد الطيور، وخرير الماء الزائد الذي تحرر من جابة العين وأخذ يتسابق ماراً في جدول زينت ضفتيه خضرة الأرض ووفدت إليه أسراب من طيور وعصافير ملونة لتتزود بالماء بعد عطش. و أبدع ما ترى طائر السنونو وقد نزل على مدرجات الساقية ليحمل بمنقاره ما شاء له أن يحمل من الطين، ويعود إلى القرية على الأكمه الشماء ليبني له عشاً على جدران المنازل في عروسة المنازل السموعي. إنه الطائر الذي عاد من المهجر إلى وطنه. فما أحلى الرجوع إلى الوطن ! طائر صغير لما رأيته بعث بي إحساساً فهاجت الذكرى بنفسي إنه معلمي في حب الوطن تساءلت ماذا حدث لهذه الطيور بعد أن تحولت جدران قريتي إلى ركام فوقها ركام؟ سؤال أطرحه على نفسي اليوم، وغداً سأهمسه في آذان القراء عندما يصبح هذا الكتاب في أيديهم أثراً ملموساً باليد مقروءاً بالعينين، يعيش بذاكرتهم كما عاشت أسراب السنونو على جدران قريتي، وارتوت من ينابيع القرية. أما الحمام رسول السلام فقد تركناه هناك تمسك بموطنه ولم يغادره رغم قساوة الغزاة. فزار الساقية وارتوى من ماء الوطن ما يحلو له. فما أحوج الأطفال أن يتعلموا حب الوطن من الحمام ومن السنونو..!

وأما أسراب الحجل فقد اكتفيت بسماع صوتها وأنا أراها تقطع الآفاق وتبحث عن رزقها في طول حقول القرية وعرضها وجعلت من القمم مواطئ قدم لها. ما أسعدها تطير وتحلق في سماء الوطن فوق البساتين وإذا ما قطعت طريق حيفا صفد (عرضاً) فستجد نفسك في قلب هذه البساتين

==========

ومن النبع أنبوب ينطلق فيه الماء سريعاً ليصب في خزان الماء ليروي بساتين القرية وكنا نسميه آن ذاك (الحاوز) أجاء الاسم من حاز على الشيء فالماء قد نزل في الخزان وقد حزنا عليه فهو محاز على جهة لحين الاستعمال. الله أعلم بذلك لكنها ألفاظ ورثناها ولا بأس أن نذكر بها، ولكن تبقى الفصحى هي المورد الأحلى. دع عنك إذا تركنا اللغة ومواردها، وأصولها وفقه لغتها لنعود بعد أطناب إلى الماء الذي صب في الخزان وقد جمع لحين السقاية. فكم عدونا صغاراً على سقف هذا الخزان. وكم أصغينا إلى خرير الماء منصباً به... وكم سبحنا به حتى غرقنا ثم نجونا...؟ أسئلة وغيرها كثيرة تذكر مصلح بذلك الخزان وبتلك البساتين... هذه البساتين فرشت السهل بأشجارها... فإذا ما أسعفتني ذاكرتي على رسم صورة لقرائي صورة لتلك البساتين التي تركناها وراءنا بعد أن اكتملت حلقات نكبة 1948 وها هو صالح برسم صوراً لها تراصت البساتين جنباً إلى جنب حتى رأيتها بستاناً واحداً. وإن ما لكي هذه البساتين أصبحوا في ذمة التاريخ ولم يرجعوا إليها، فعلى الجيل الأول من أولادهم أن يرسموا صورة لتلك البساتين لأبنائهم من الجيل الثاني الذين هم أحفاد الجيل الأول والذي بدأ يغادر الدنيا إلى عالم آخر، وأوصوا بعودة رفاتهم إلى تراب القرية وإنها بساتين عاشت جنباً إلى جنب لا تفصل بينها إلا خطوط المساحة. وقد رسم صالح لهذه البساتين مخططاً. وحدد فيه المواقع وأنواع المزروعات التي تنوعت بين عدد من أنواع الخضار والفواكه والحمضيات ... وقد أفادني (أبو جاد) عن تلك الأنواع. فهذا بستان مختار القرية العبد صالح... الذي سقى تراب البستان بحبات العرق فجعل أشجار الرمان حارساً للبستان بأنواعه الحلو والحامض اللفاني؛ أما السناسل فقد لفت خاصرة البستان وجعل للبستان باباً واسعاً يسمح بدخول الشاحنات لتسويق الإنتاج إلى كبريات مدن فلسطين. وأشجار الفاكهة قد تنوعت فمن الخوخ سبع ومن الدراق أربع ومن الأجاص أربع ونوعان من الاكدنيا ونوعان من الأراصيا ونوع واحد من السفرجل والكرز الذي يسمى في المغرب العربي (حَبُّ الملوك) وخاصة في الجزائر أما التفاح فله من الأنواع ست. وحدث عن ورده ولا حرج أما الدندانه (المشتل) فقد رأى مصلح أن لها حكاية ساقها لكم سابقاً أما البساتين الأخرى التي كانت ملاصقة لبستان العبد صالح ...بساتين لوجهاء القرية منها بستان محمد سليم (أبو غازي) الشهير بأشجار الفواكه وخاصة المشمش الذي علت أغصانه وتمايلت لتصل إلى كل طفل. فالأغصان دانية والحمد لله. ويكفي أن ترهص الغصن إليك لتأخذ منه حبات كأنها العسل ما خطبها وما خطب البقر الهولندي (الخيصي) حولها ترعى من أعشاب البساتين وبستان سعيد سليم .. الذي اشتهر بأشجار الفواكه وزراعة الخضار وبستان محمد مصطفى... الذي اهتم بأشجار الفواكه والخضار من كل مضمار وهناك بستان لأبي سعيد محمد

إبراهيم .. وكان من روائع البساتين وقد اهتم به صاحبه ونوع أشجاره وخضاره.. أما بستان عثمان ديب. فقد كان ملاصقاً لهذه البساتين ونال استحسان الناظرين لقد بدت هذه البساتين لناظر إليها كأنها بستان واحد وإن دل هذه على شيء فإنما يدل على تعاون وتعاض أهل القرية فالبساتين ترد من ذلك الخزان المشترك إذا كانت تلك البساتين تروى من ينبوع واحد ... فيكفي اليوم أن ترتوي من حب الوطن لإعادة هذه الذكريات. أحقاً لم يبق لنا من ذلك الوطن إلا الذكريات وأني لا أرضى بذلك وآمل ألاّ يكون الوطن من المنسيات. وفي هذا الكتاب إننا لا نقف على الأطلال ونذرف الدمع عليها بل نعيد الذكرى أكثر إشراقاً لتبقى أملاً للأجيال تحيا في ذاكرتهم. ولن تستطيع الأيام مسحها من ذاكرتهم وفي وسط البستان بركة ماء تتجمع بها مياه الشتاء .. تمتلئ «شتاء» وتجف صيفاً

* وكان يحلو لطفل مصلح أن يهبط إليها صيفاً ويصعد منها مرة أخرى.. فأين بركة كانت للأطفال موردا وأين خلايا النحل؟ بل أين العاملات في غدو ورواح إلى مراعيها؟ وقد فتح الورد البلدي أزراره لها فاستضافها وعلى أطباقها هبطت رحالها ولثمت أفواهها أما حضنت أزهار اللوز فاها وحملت غبار الطلع لمأواها والرحيق إلى خلاياها. وعلى ضفتي الذكرى تقف المرأة إلى جانب الرجل يعملان جنباً إلى جنب في البساتين كعاملات النحل وهن اللواتي يعملن، دون الذكور إنها بساتين كانت على جانب من جمال الطبيعة البديع، لو سار بها يوماً المتنبي لفضلها عن بساتين (شعب بوان) ومازال بحاجة إلى ترجمان فما أحلى بساتيننا وما أروع شيراز وشعابها كما وصفها شاعرنا المتنبي، وكم ازداد حبي لها. إنها بساتين قريتي بحاجة إلى ترجمان.

==========

آخــر شـــحطـة

هذا وعد من المدخنين بأنه لا تدخين وهذه آخر شحطة. ألا إن زراعة الدخان واحدة من أهم مصادر الرزق لأبناء قريتنا. عندما تباع البالات منه لتحسين أحوالهم مرتبط بهذه التجارة وهل صدق من قال: (دخن عليها تنجلي) عبارة يتبادلها المدخنون، وهم لا يعلمون مضار التدخين، والخطر الذي يحدق بهم بعد الإدمان عليه. ما أحوجنا إلى توعية تشرح لمعشر المدخنين تلك المضار. لماذا لا تبتعد عن الشر وتغني له.....!؟ وما أكثر الدول التي تصنع هذه المادة الضارة وتصدرها لشعوب المغلوبة على أمرها. هل يعقل أن يكون لسموم مشاع في التجارة العالمية؟ وليكن شعارنا اليوم ... لا زراعة لدخان...فينقطع التدخين، ويقلع المدخنون، ونعيش في أمان دع عنك ذا لقد اشتهرت قريتنا بين القرى المجاورة بأن موقعها، وتربتها صالحتين لزراعة هذه السموم وهم لا يعلمون مضار التدخين. إنهم لا يعلمون أنه يجرّ للمدخنين الأحزان من بني الإنسان وتستعد في قريتنا العائلات في أول الربيع حيث ترى المشاتل حركة دؤوب من حفر وخلط التربة بسماد طبيعي من روث الأغنام ويضاف له الرماد. تخلط التربة جيداً ثم ننثر بذور الدخان الناعمة التي خزنت من الصيف السابق وتحرك التربة بلطف ثم تسقى بماء خفيف حفاظاً على عدم تحريك البذور من أماكنها وتغطي الأحواض بأغصان من الأشواك لا تسمح لحيوان أن يمر فوقها.. وترى القرية في حركة مستمرة تتبعها يقظة وانتباه ومزيد من العناية التامة حتى تكبر الفسائل تحت إشراف عمي أحمد بينما تحضر تربة الحقول من فلاحة وتثليم وتوضع براميل في مقدمة الحقل المعد لزرع تملأ بالماء مسبقاً وعندما تكبر الشتلات تقلع وتأخذ للحقل بلطف ويحمل ذلك للحقل عدد من أفراد العائلة. تحفر الحفر بواسطة عاتول توضع الشتلة ثم تدمل بالتراب ويبقى منها خارج التراب جزء ثم يقوم الصبية أو البنات بسقايتها بواسطة إبريق يحضر لهذا الغرض.. وبعد الانتهاء من الزرع لا نرجع إلى الحقل حتى تكبر لتصبح الأوراق عريضة ... وعندما يحين موعد القطاف للأوراق يقوم بذلك النساء رفقة أحد الرجال وتوضع في

سحاحير. تنقل على إثرها إلى المصطاح. ويتم التعاون بين الرجال والنساء والأطفال على شك أوراق الدخان في (خيوط) بواسطة مسلة طويلة ثم تسحب من المسلة لتدخل في خيط طويل ينقل ليعلق الخيط تحت الشمس بعد ربطه بعارضتين من الخشب ويتم ذلك بسرعة خاطفة بعد تقسيم كمية أوراق الدخان على مجموع العاملين في المصطاح. وما أجمل أيام شك الدخان حيث يتبادل أفراد العائلة الأحاديث والنكات، وينتهزون فرصة غياب أحدهم عن كومته ليضاف لها كمية أخرى من حصة شخص آخر وتكون المفاجأة عندما يرجع ويكتشف أن حصته من ورق الدخان قد زادت وارتفع الكوم. هذه الحكايات كانت مثاراً لضحك بين الأخوة صالح وصلاح ومحمد خير، والأخوات البنات، أما الأب فقد كان يصدر التعليمات لكن مصلح كان دؤوباً على عمله لا يغادر المصطاح إلا وقد أتم حصته وعلقت الخيوط في أماكنها ثم غطت بأكياس من الجنفيص، وإذا ما انتصف النهار قام الجميع إلى غسل الأيدي التي علق بها مادة تجعل الأصابع والأكف شديدة الإسوداد مره. وأكبر الظن كما اعتقد إنها مادة النيكوتين. وتغطى خيوط الدخان المشكوكة حسب أصول زراعية ثم تميل بعد جفافها وميلها إلى الاصفرار تضم لبعضها لتكون من كل مجموعة ثلاث خيوط أو أربع ما يسمى صندلاً. آن ذاك. وتعلق الصنادل في سقف غرفة خاصة لذلك. وينتظر الفلاحون شركة الدخان لتأتي إلى القرية وتأخذ المحصول بسيارات شاحنة بعد أن يصنع منها بالات جاهزة ثم تجد البالات طريقها إلى المصنع لتعليب بعد فرم الدخان وتحويله إلى لفائف جاهزة للمدخنين وترى المدخنين من أهل القرية يختارون أوراق الدخان الشقراء تفرم يدوياً شللاً فتبدو لناظرين جاهزة ثم تلف بأوراق ناعمة خاصة يلفونها ويقولون الكيف عند الذين يدرجونها ثم تعطى اللفافة النار من قداحة أو جمرة حتى ينبعث منها الدخان وكأنه سيكلونات تحلق في سماء الغرفة. وشتان ما بين السيكلونات النافعة بمطرها والضارة بدخانها يدخنون ويضحكون ويحتسون القهوة السادة ثم يصيح أحدهم دخن عليها تنجلي وهم لا يعرفون المضار التي تنتظر الرئتين بعد أن ينجلي العمر. لقد كان المصطاح موعداً مع العمل والجلوس والحكايا والضحك ويفترق الجمع بعد الغداء على موعد آخر للقاء في عمل جديد في الغد إن بقي في الحقول من الدخان أوراق.

==========

تجربـــة رائـــدة

أنها تجربة رائدة بحق، ويحَق أن تقول لرائدها: عفارم عفارم. . .

إذا ما أقبل العصر، ومال قرص الشمس نحو الغروب، رأيت أبوابنا قد شرعت لضيوف والطارقين، وأقفلت أبواب المدرسة، وعلى الصبي الذي بلغ من العمر سبع سنوات ونيف أن يكون ثاني القادمين فيدخل المضافة ليقوم بكنسها وإعادة المساند إلى مكانها، أما الموقد وقد زغردت ألسنة اللهب فيه، وبدأ الدفء ينتشر في الديوان مع حركة الهواء إذا كان الفصل شتاء وإن كان صيفاً أو ربيعاً شرعت نوافذ الديوان ليتجدد الهواء وتعتدل الحرارة ويقوم الفتى بصف الكراسي في الطرف الآخر. كراسي صغيرة وقد نسجت من سعف فرشاتها، ومن أشجار الحور قواعدها، ويلتفت ذلك الفتى إلى جلي أدوات القهوة المستعملة كالمنصب والدلة. وبعد دقائق من جليها في حوض كأنه نافذة لكنها سدت وسمح للماء المستعمل أن يخرج من ثقب سفلي سموه آن ذاك الخانونة، يتسرب منها الماء خارج الحوض ويسير لا على التعين وبدون نظام إلى أن يجد له مخرجاً شقه بنفسه إلى الحارة وراح الصبية يقفزون فوق السواقي المبعثرة فبعثروها ذلك الصبي الذي عين قائماً بأعمال القهوة في سفارة اسمها المضافة والصبي هو مصلح أما الصانع الماهر والطاهي الأنيق والعازف على المهباج والمقلب بالزلفة حبات القهوة فوق نار هادئة داخل المحماسة (المقلاة) فهو العم المرحوم أحمد صالح. أبو ذيب... مدير الأعمال (المنجر) بلا منازع وإذا ما غلت القهوة وصبت من الدلال إلى المصابات واصطفت في الموقد صفراء نحاسها هلا رأيتم مشهداً كهذا عندما ترى كل شيء في الموقد منتصباً يلمع من نظافة وحسن تدبير وإتقان.

وإذا ما غادرت رائحة القهوة، المضافة وحملت على أجنحة الهواء وطافت على الدور كأنها تدق الأبواب وتقرع الأنوف.. فكأن رائحتها دعوة رسمية إلى تلك المضافة.

فترى الحاج عبد القادر وقد ارتدى عباءته وكان ثالث القادمين، فحيا وأخذ مكانه في صدر الديوان ليكون في استقبال الضيوف، فذاق القهوة وأثنى على الطاهيين.... وكأنه تواً قد استيقظ من قيلولة في القبو الشرقي ويتقاطر بعد ذلك وجهاء البلد وأجاويديها فيأخذ كل واحد مكانه على الكراسي

أو المدات ويحتسون القهوة ويتحدثون ويتبعهم طالبو العلم من الكبار الذين هلوا ليتحرروا من جهل موروث وإذا ما دخل المعلم إلى المضافة القادم إلى تلاميذه من مدينة صفد وقفوا وسلموا إنه الأستاذ ومربي الأجيال بالحطة والعقال الأستاذ (محمود دهمان) حيا ونهض الجالسون احتراماً للعلم مرحبين لكن الكبار تجذبهم أحاديث المضافة والمحبوبة السمراء قهوة الملوك والأمراء وراح الأستاذ يلقن ويشرح ويكتب الحروف والكلمات,... ويدعو طلابه إلى الانتباه والإصغاء ويرى أن المضافة مدرسة لمحو الأمية، والتخلص من أنيابها....

وفجأة لاحظ الأستاذ أن أحد الطلاب غير منتبه لدرس بل همه الوحيد أن يدخل رأس في الموقد بحثاً عن جمرة يضعها على الغليون، وعندما كرر ذلك الطالب:

أعاد المعلم التنبيه فقال الطالب بملء فيه (بالي عندك . بالي عندك) يا أستاذ. وانفجر الجميع ضاحكين وأخذ الأستاذ يكرر ويقدم لطلابه ما في جعبته على التدريج شيئاً فشيئاً وبعد عدة أيام سجلت تجربته في تعليم الكبار نجاحاً حاربت الجهل من عقول الكبار... وبعد مرور عقود على هذه التجربة من التعليم يحق أن تقول مرة أخرى عفارم... عفارم (مرحى).

وبعد جولتي بين المخيمات، والقيام بجمع المعلومات مع رفيق الدرب أغيد صاحب فكرة تأليف هذا الكتاب، فسخرت لذلك قلمي، لكن بعد الإحصاء الذي سيكون مستقبلاً في نهر البارد حيث ما زال البعض من الجيل القديم أمي لا يقرأ ولا يكتب. فهل يمكن لمن شاب أن نصله بالكتاب وإني لأرى أن من أراد أن يسير إلى مكان ما يبدأ بالخطوات الأولى التي تتبع بخطوات تختم بخطوة الوصول، فالطريق الذي طوله مايل يبدأ بالخطوة الأولى.

والحقيقة التي لا مفر منها هي أن العلم في الصغر كالنقش في الحجر، والعلم في الكبر كالنقش في الكدر وهذا لا يعني أن لا نكرر تلك التجربة مع جيلنا الحالي إذا وضعنا شعاراً لنا بأن العلم نور والجهل ظلام. وأني لأرى أن تجربة المضانة كانت تجربة رائدة لا بد أن تحتذى، فهل لنا أن نشكر آباءنا لأنهم أصروا على تعليمنا مهما كلف الأمر فألف شكر لمن كانت حياته شمعة أضاءها لنرى طريقنا ومن أمام منصته مرت أجيال وأجيال وما زال هو باقياً لوحده على المنصة إنهم بحق قلاع المعرفة ومنائر الحياة وشموع تحترق على طريقنا لتضيء دروبنا في الحياة. أكرم بدور المضافة نادياً ومعهداً وبرلماناً مصغراً. ثم كررت التجربة في مدرسة لها مقاعد جلبها المختار من التربية.

==========

الجــذور والكعــكبــان

وهذا نوع من الحلويات التي كانت في بلدتنا تباع رَصَدْتُها في عجالة لأروي للأحفاد ما فيها من صور لا تستهان... حمل الصدر على رأسه وسار على الهدى... وسار بين الحارات وئيد الخطا حتى وجد مكاناً وإليه اهتدى، وفي الكوع بسطة متنقلة من خشب الحور وضعها في ظل الحائط نصف مرفوع عليه اتكأ ووضع البسطة ووضع فوقها صدراً ومشى حولها فغنى للكعكبان ونادى فأطرب الحاضرين فسال لعاب الناظرين عندما بدا الكعكبان على الصدر كأنه أتى من أغصان الشجر إلى البندر أو دوائر بعضه فوق بعض كأنه نابض ولكنه يُعض ويتناثر وانتصب بعضه كالعسكر... فبدا لناظريه أحلى من السكر... وعلى الحائط ترى البائع قد استند... وترامى الخبر في البلد، إنه بائع الكعكبان قد حطت بسطته في أي مكان من حارات البلد.. ونقل نسيم الضحى الخبر إلى الأطراف فمشى.. فهب الفتيان والفتيات لمعرفة النبأ فإذا البائع يزن الكعكبان بالميزان.. أو يبيع منه اثنان اثنان نقداً أو بالمقايضة. فيشترى الكعكبان بالبر (القمح).

وفي وسط البلدة قد حط الرحال، فأقبل إليه حتى الرجال وراح المشترون يركضون في الحارات وهم يحملون الكعكبان ليوزع على أهل البيت والخلان وسريعاً ولما انتشر الخبر في المنازل وراح الصغار يأكلون الكعكبان، ونسوا ماله من خطر على الأسنان فنهلوا من الحلويات وعاش الجميع على حلم بديع أن يعود بائع الكعكبان بالعطل والأعياد فإذا انتصف النهار غادر المكان إلى قرية أخرى، بعد أن امتلأت بالنقود الجيوب والكيس قد فاض بالحبوب، غادر البائع الميدان وترك الصبيان، وراح الأطفال يحكون الحكايا عن الكعكبان وهم يقرضون بنهم وأمان، ويجهلون من خطر هذا الكعكبان على الأسنان، فالسوس لا يترعرع إلا مع الحلويات فيغرس بالسن بساطاً فينخر التاج ويفتح باللب فتحة ويزور الجذر دون خجل ولا بدعوة رسمية.. وبعد أشهر انظر في المرآة ترى السن يرتدي وشاحاً من سواد لا تؤثر فيه من طب مواد، ولم يبق لهذا السن إلا القلع والرحيل... والرحيل يتبعه الرحيل لأن السوس إذا سكن الديار حكم على الأسنان كلها بالزوال والرحيل مع الأعوام والسوس إذا ما انتشر في سن انتشر في بقية الأسنان... وإذا استفحل الأمر هاجرت الأسنان

وغادرت الفم إلى غير رجعة.. اقتلعت من جذورها كما تقتلع الشعوب من أوطانها بسبب ظلم الإنسان لأخيه الإنسان.

وجاء دور صاحب الأسنان فقال: وداعاً أيها الألم وحارت الأم في أمر هذا الحوار وكيف خسر الإنسان أسنانه وتركها دون حماية إن الله وهبنا الأسنان لتكون وديعة في أيدينا بدون إهمال. وجاء أصغر الأطفال سناً وقال لا بد من غسل الأسنان قبل وبعد كل طعام بمساعدة المعجون والفرجون.. هكذا تصان وتعيش مع الإنسان في أمان... أما الأب فقال: لا يعيش الإنسان سعيداً.. إلا إذا قلل من الأبيضين السكر والملح... فهل لنا أن نقول للكعكبان وداعاً أم سنحرم منه الأطفال بدون حق أو بيان فإذا ابتعدنا عن تناول الكعكبان نجت أسناناً وعاشت بأمان ولم يعد للألم والسوس بالفم أثر ملموس...

وجاء دور الجد الذي اكتسب من الحياة تجارب... وفي الكلام جدية حكايا رواها للجيران والأقارب فقال: إذا غزا السوس ضرساً يمكن إصلاح ذلك بحفر السن وقلع السوس منه ويقوم طبيب الأسنان بوضع حشوة بعد أن يسحب العصب من الأركان... ويتعايش هذا الضرس مع بقية الجيران من الأسنان طويلاً من الزمان.. وهناك طرق حديثة في زرع الأسنان كما يزرع الآخرون في أوطان الآخرين ومن الحكماء في هذا الزمان من يقلعون الأسنان السليمة من جذورها، كما قلعت جذور أهل فلسطين من فلسطين فهل يمكن للقادم الغريب الذي زرع في فلسطين أن يعيش أم يتعايش مع أهلها الحقيقيين؟ لا شيء في هذه الدنيا أحسن من السلام، فالسلام هو سيد الأحكام وإن كانت الحكاية تحتاج إلى مزيد من الأطناب فإني لها.

كثيرون من الشعوب لا يعرفون ما حقيقة الخلاف بيننا وبين اليهود... وكثيراً ما كنت أجيب عن هذا الأمر وأنا أعيش في المهجر.. فأقول لهؤلاء افترض أنك ولدت في بلد ما كبرت وتعلمت وحصلت على عمل ودخل وورثت عن أبيك منزلاً فرشته ثم قررت أن تتزوج ففعلت وأنجبت من قرينتك أولاداً راحوا يكبرون وفجأة أتى غريب إلى منزلك بدون أن يقرع الباب فقال لصاحب الدار الذي أفنى حياته في بنائه طوبة وراء طوبة... اخرج من هذه الدار إنها داري. أفي ذلك عدل، طبعاً لا، فما قولك بهذا الغريب لم يكتفِ بأخذ الدار عنوة وتشريد أهلها قهراً وإرهاباً، ولعب بالأعصاب أحياناً أخرى، بل أضاف للدار التي دخلها فأخذ الأرض والوطن فضمها إليه... وترك وراءه من دمائنا أنهاراً فهل يقبل هذا.؟ طبعاً لا لأن المنطق يقول لا...

يقول أحد الفلاسفة اليونان أنا أفكر إذا أنا موجود... والشعب الفلسطيني ما زال يفكر أذن هو موجود وله كامل الحقوق أن يعيش وله وطن كالآخرين... ووطنهم هو فلسطين... فأين المشكل بذلك؟ وما زالوا يفكرون إذن هم موجودون.. فلماذا لحقوق هؤلاء ينكرون؟؟

==========

وما أكثر الذين فهموا الحكاية من هذا التوضيح البسيط ولم يقبل به إلا واحد فقط. ولكن نضيف إيضاحاً آخر.. فقد حفظت عن أشقائي بالجزائر مثلاً ما زالت له أصداء في ذاكرتي مفاده «لا يبقى في الواد إلا حجارته».

فتلك سيول أشتاحت بلادي... وكل سيل يحتاج إلى نظام لكي يعم السلام وتعاد البيوت لأصحابها والأراضي لملاكها في فلسطين ومرتفعات الجولان لأبنائها ولبنان لأصحابها فهذه هي حكايتنا لكم أيها الأحفاد عن الجذور والكعكبان... جعلنا مدخلاً للأطفال:

ولكم من جدكم كل حب، ونرجو من الله أن يعم السلام في بلاد الشام، وفي كل مكان أنها أحلام عربية.. وكل عربي، وعربية من ذوي النفوس الأبية. سنبقى عبر التاريخ ما دام لنا حروف عربية ورثناها وملأنا بها بطون المؤلفات ودافعنا عنها وتكلمنا لغات غيرنا وتعلمناها ولكن لا ننسى حروفنا العربية.. كم من أمم أخرى أخذت حروفنا والتزمت بها وثابرت عليها ولكن امة واحدة تخلت عنها إلى حروف أخرى فهذا أمر يهمها. ومن خلال مطالعاتي رأيت كتاباً يعلم لهجة عربية بعينها واستعمل لذلك حروفاً لاتينية وإني أسأل صاحب هذا الكتاب مع احترامي لرأيه كيف استطعت أن تقابل الحروف العربية بما يقابلها من اللاتينية إني لأعتقد أن هذا الأمر يحتاج إلى مجمع لغوي عربي ليعطي قواعدٍ ثابتة لا تتغير ولو تخيلنا أن كل وطن عربي فعل هذا بلهجته ونطقها بحروف لاتينية، سيكون عندنا إشكالية كبرى.. والآن ما هو مصير اللغة العربية الفصحى وحروفها؟ وهناك أمم من يستعملون الحروف العربية وما زالوا معنا.. واني لأرى بعبث هؤلاء خطر كبير وكبير جداً على الفصحى من جهة ومن جهة ثانية إن كان الأمر تسهيلاً للأجنبي المتعلم الحروف العربية فأنعم بهذا أخشى ما أخشاه لا سمح الله أن نكتب العربية بحروف لاتينية وهنا الطامة الكبرى... لتسهل على الأجنبي لفظها وبجانبها الكلمة بالحروف العربية أتذكرون عندما تعلمنا الإنكليزية لفظ الكلمة الانكليزية يكتب بالعربية وكنا ننال عقابنا لأنها طريقة لا تعلم بصفة سليمة اللغة الأجنبية. ومن تلك الكتب التي صدرت في الولايات المتحدة:

- Modern Iraqi Arabic : Yasin M. Alkalesi
- Spoken Lebanese: Dr. Maksoud Feghali
- Dardasha : Egyptian Arabic

أيها القراء: إن لغتنا جميلة وجمالها في الفصحى عندما نتكلمها لقد أفصح النهار لذي عينين.

==========

البـــرجـــــاوي

قرية عاشت في ظلام دامس ما فيها كهرباء ولا فيها مرافق... ولا حدائق يتم فيها اللقاء... ولا دكاكين تعرض بضائعها للمشترين.. أهلها طيبون على خطا الحياة يعيشون، يؤمنون، بالعلم والتطور وهم لذلك في ركاب المجد ساعون سوقها متنقل ينتظرون الأسواق عندما تقام، أنه أحد مواسم الازدحام، الكل يفد إليها بيعاً أو شراءاً موسم تراه عاماً بعد عام. ما هي بأسواق أدبية تلقى فيها الأشعار ويلتقي مع أمسياتها السمار.. لا هذا ولا ذاك بل هو موعد مع وصول البرجاوي إلى بلدتنا.. لا يوجد في بلدتنا مقاهي يزورها البرجاوي.. بل هي موعد، بلا موعد مسبق، مع البرجاوي وأهل الدار لشراء من القماش بضع أمتار نقداً أم مقايضة ملأ الحارات نداءاً على بضاعته بلحن جعل أبواب القرية تفتح والنساء والفتيات يخرجن من بيوتهن.. ها قد وصلن والبرجاوي ينزل بضاعته ويعرضها في معرض أخاذ بالهواء الطلق وما زال على كتفه من القماش أمتاراً وعلى البسطة تنوعت ما بين قماش وأروابٍ ودبابيس ومقصات وأبر خياطة ومطاط وشكلات لشعر الفتيات الأمورات، وأزرار، وزنانير ومحابس لشاطرات.

أم أرادت كساء ابنتها فجرت ابنتها أمتاراً إلى الأمام وهي من خجل تعود للوراء مترين وتحثها على التقدم إلى الأمام، والبرجاوي يكرر أجمل الألحان منادياً على بضاعته، تراجعت البنت خجولة أو كأن البرجاوي قد أتى للقرية من البراري أو من كوكب ثاني والقماش يلف به فبدا كالأزار وأخيراً وصلتا إلى البرجاوي والصبية يلفون حوله وينشدون الأغاني فبدا المشهد وكأنه زهرة قلبها البرجاوي وتاجها الصبية.

فقالت لابنتها اختاري ما شئت أن تختاري من قماش البرجاوي، فأصلحت من اشْاربِهَا وأشارت لأمها عن لونها المفضل، فقال البرجاوي: وكم طولها فأجابت أمها بعد تفكير 165سم.

فأعد لها البرجاوي طلبها وقص بالمقص تلك الأمتار وقال لها مبروك وهو يقص لها القماش ثم طواه وهو ينادي على بضاعته.

وتشجعت البنت وطلبت منه مزيداً من قماش آخر مختلف الألوان فسرت الأم وانشرح صدرها ولبى البرجاوي طلبها وأضافت على قائمتها شكلات وأزرار وشيئاً من الخيطان، وأجمل زنار ومحابس ونقدت الأم البائع بالمال وعادتا مسرورتين إلى الدار وفي الطريق أصغين لتهاني من الجيران ومن صادفها من الأصدقاء والخلان، وطار الخبر في القرية على غير موعد واستوقفتها أمام الدار جدتها فأبدت فرحة عارمة بقماش حفيدتها وقد أعجبها قماش البرجاوي وكاد أن يميس بالأزهار. فكأن الأزهار ناطقة لكنها رسمت على القماش بيد ماهرة وبارك لها أهل الدار وسارت هذه البضاعة محجاً لكل زائر عندما وصلتهم الأخبار وكأن الخبر قد طار أسرع من الحمام الزاجل الذي ينقل الأخبار من ديار لديار.

وعندما قررت البنت خياطة القماش، اختارت لها أمها أحسن الخياطات في صفد فوقع الاختيار على السيدة عطرة حميدة صاحبة المقص الذهبي بمدينة صفد عاصمة اللواء. والكل لعملها مشتاق وفي اليوم الثاني وصلت الأم وابنتها إلى دار الخياطة، بعد الاتفاق على موعد للقاء بالخياطة وسرعان ما رحبت الخياطة بالقادمين من الزبائن فأجلستهما صدر البيت على الحصير والمطارح وكل المطارح خير وبركة ثم قامت لطاولة الخياطة وأحضرت منها متر قماش لتقيس به فأخذت طول الثوب عندما وقفت البنت بين يديها وقاست الخصر وطول اليدين لتصنع الأكمام. ومدت على الطاولة القماش وأخذت القياس من جديد ونودي على المقص الذهبي فأخرج من درج الطاولة وراح يرعى بالقماش طولاً وعرضاً بعد أن تركت على القماش علامة الصابونة الخاصة. وإلى جانب الطاولة وقفت طاولة صغيرة منخفضة ركب عليها ماكينة الخياطة البدوية فإذا رأتها ماكينة سنجر غارت منها، وتمنت لها سريع الأجل.

ثم استعدت للخياطة وراحت الماكينة تعزف أجمل الأصوات... تسرع ويرتفع الصوت ثم تلف وتدور فما داخت، حتى انخفض الصوت وانشغلت الأم وابنتها بأطراف الحديث، فإذا علا صوت المكينة اختفت الأصوات وإذا انخفض صوت المكينة سمع الحديث وإذا انتهت حكاية شرعن بالثانية، وتشرباً أحياناً. ومن آنية أخذت البنت ترمق بعيني الفرح أثوابها وهي تتحول من قطعة قماش طويلة إلى ثوب أنيق له خصر وطول وأكمام. سترتديه غداً وتتباهي أمام رفيقاتها وأقرانها. وراح قلبها ينبض فرحاً وأدخلت الخياطة في قلبها فرحاً ومرحاً وبعد انتهاء الخياطة الماهرة من خياطة الأثواب ثبتت على القبة واليدين ما حلا وناسبهما من الأزرار ولم يكتمل النهار حتى وجدت العروس أثوابها

==========

جاهزة... يا لها من خياطة ماهرة فقامت الخياطة من توها وطلبت من البنت أن تدخل غرفة القياس ففعلت وقاست وخرجت من الباب وكأنها آية من الجمال كالبدر وجهاً ليس له مثيل وعند الأصيل قامتا على عجل وغادرتا بيت الخياطة بعد أن دفعت الأم فاتورة الحساب شاكرتين الخياطة على حسن الخياطة والإسراع في العمل الذي جاء متقناً... فقالت الخياطة: قران مبارك...بلغو سلامي لأهل السموعي: أهل الجود والكرم، والأصل والحسب.

حقاً إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه.. فأتقنت حقاً الخياطة صنعتها ولما وصلتا البيت وجدتا أفراد الأسرة منتظرين عودة أختهم التي ستصبح عروساً بعد أيام.. وباتت العروس تحلم بانقضاء هذه الأيام كي يراها زوجها بحلة بهية.

لكن الأم اغرورقت عيناها بالدمع ومن يدري أهي دموع الفرح عندما ترى ابنتها عروساً... أم لأنها ستغادر هذا البيت إلى بيتها الجديد أم أنها تذكرت زوجها الذي حرمته الأقدار من رؤية هذا النهار فَيَالَهُ..! من حدث... خرجت العروس من غرفتها وهي ترتدي ثوبها فقالت العروس: شكراً يا أماه.. ما أحسن تلك الخياطة... وقد بدا ثوبي أكثر أناقة، مسحت الأم دمعها وقالت لابنتها: صنعة في اليد أمان من الفقر.. وفضحت الدموع سر الأم. فقالت لها ابنتها ما أبكاك يا أماه والفرح على الأبواب.. قالت الأم معزية نفسها أنها دموع الفرح يا بنتي ليس إلا... إن دمعي في الحوادث غالي وقد فضح اليوم دمعي أسراري.. فأنت في نظري أغلى من الغالي..

وخرجت الجدة من غرفتها فسالت من عينها دمعة سالت على خدها فروت تجاعيد خدها والأم ما زالت تحتفظ بين تلك الأثلام قصة جدة من ضيعتنا راحت توزع ابتساماتها وتعبر عن فرحة تقاسيم وجنتيها.. وقالت تهاني يا جدتي الأنيقة يا لها من قرية فلسطينية أنجبت عروساً مثلك. وغداً ستكونين أماً فلسطينية.

==========

الـمـُبَيّــضُ

أنزل المبيض الكيس عن كتفه ومن خلفه طفل مساعد لـه. فرشا ساحة القرية، عندما نزلا الحارة، وهي أحلى زيارة دخل المُبيض القرية حاملاً كيساً من (الجنفيص) ومن ثقل قد تدلى بما حوى مكوى طال مقبضها وبرز من مقدمتها أنف كأنه منقار الصقر وقطعة كبيرة كأنها قطعة من حلوى يخترق وسطها رأس المكواة فيحفر بها سبيلاً يتصاعد منه بخار. وحوى الكيس قطعاً من فحم، وفأساً صغيراً لحفر جورة ومنفاخاً يدوياً يرسل الهواء من خرطومه كلما دعت إليه ضرورة وفأساً صغيراً لحفر جورة (نقرة) انزل المُبيض الكيس عن كتفه ومن خلفه طفل لـه مساعد. فرشا ساحة القرية أخذ الطفل الصغير يحفر بالفأس حفرة (نقرةً) وانهمك.

المبيض في وضع فحمات داخل النقرة وطلب من الطفل أن يحضر له قشاً يابساً ففعل وضعه على الفحم وأضرم النار واستعان المبيض بالمنفاخ فزادت نار الموقد إضراماً وأحمر الجمر شيئاً فشيئاً وتطاير الشرر على الجوانب فيقفز الأطفال خوفاُ ويبتعدون ثم يقتربون إذا ما تلاشي ولما انتشر الخبر في أرجاء القرية، كان الأطفال على موعد مع المبيض بعض الأطفال تعلموا من مشاهدات سابقة ما هو عمل المبيض، وكيف تصبح الأواني النحاسية بيضاء تقاطر الأطفال واصطفوا حوله والشرر يتطاير. ثم ظهر من بعيد جمع من الأطفال يقبلون وهم يحملون بين أيدهم قدوراً، وصواني، نحاسية جاءت لزيارة المبيض.

وبدا من بعيد طفل آخر جعل من الصواني عجلات دحرجها نحو الموكب الذي زار القرية هذا الصباح وتلك أم حملت على رأسها عدداً من الصواني والأواني النحاسية.

ووضع كل شيء أكواماً حول المبيض ملتزمين بالترتيب حسب القدوم وهي من نعيم وأخلاق أهل الريف.

وهذان رجلان يحملان قدرة كبيرة (حلة) لسلق القمح من حلقتي القدر قد مسكا ونحو المبيض

قد تقدما. وأتى الأخير وهو يحمل وصديقه القدر الكبير من خلال عصا دخلت من بين حلقتي القدر وسارا على بركة الله معاً إلى معبر المبيض.

وهذه عائلة جاءت بأباريق القهوة للحمها. فوضع المكواة في موقد النار حتى احمرت ثم وضعه على قطعة كبيرة وبين جيئة وذهاب تطاير غاز من القطعة وراح يلحم الأباريق.

بينما انهمك الطفل المساعد لأبيه بغسل الأواني النحاسية لتصبح نظيفة من الزفر (الدهن) ها هو يضع الرماد في الصينية والماء ومادة كيميائية أخرى خلع الحذاء ووقف في الآنية وأرتكي على سلسلة وراح يدور يميناً ويساراً ومؤخرة السروال تزداد انفتاحاً والأطفال ازدادوا له تحديقا. وكاد السروال من نفخه أن يطير وبهر الطفل بجلي الأواني والصواني فكأنه يرقص رقصة التويست. أو كأن التويست قد جاءت أول مرة من عند المبيض وبه متأثرين ولما نظفت الأداة بعد غسلها بالماء وضعها فوق النار ووجهها ولما سخنت أضاف للقدر مادة التبييض وفي قطعة كبيرة من القطن جال في أرجاء القدر وراح يَبْيَضُ شياً فشيئاً حتى لَمَع ثم قام الطفل بغسله من جديد. وهكذا فعل مع البقية وقام على عجل وغادر القرية رفقةٍ ابنه راقص التويست العالمي فرح أهل البلد بنظافة الأواني وطار الأطفال فرحاً لأنهم تعلموا شيئاً من المبيض وهناك عائلات أخرى آثرت أن تبيض أوانيها في صفد لتنعم بِرُؤْيةِ صفد والتسوق منها يا له من درس تعلمناه من المبيض عندما كنا صغاراً ولم يبقَ من هذا المشهد في يومنا إلا آثارا.

==========

الأفـــراح

أفراح قريتنا مواعيد مع اللقاء

التعليلة: فرح ومرح يسبق يوم العرس، رقص، وغناء يملأ جنبات المساء، يطير الفرح محلقاً بسماء القرية تخضب الأيدي بالحناء، وتحمى طارة الدربكة في هذا الجمع البهيج، أنها أمسية التعليلة، فرحة مسائية تجمع أهل القرية في دار معلومة، أنها موعد مع الفرح، تضاء المصابيح يلتقي الجميع على بساط مريح فيصغي لهم المريخ إذا ما قُرعت طبول الفرح في سماء بلدتي، رأيتنا أسرة واحدة نعيش المناسبة في زَهْوٍ وَفَرَحٍ وما أروع ذلك اللقاء في شبه صالة للفرح تاجٌ علا رؤوسَ أهل العريس اسمه التعليلة والتعليلة أمسية تسبق يوم العرس روادها أهل البلد فقد طاف على المنازل مخبر أخبر نساء البلد بالخبر السعيد وليس هناك بطاقات تصل وكأن العصفورة أخبرت القوم إلى هذه التعليلة فجاء النسوة إليها وقد ارتدين من الملابس أحلى ما خبأن في صناديقهن لمثل هذه المناسبة أنها أرواب من الفلكلور الفلسطيني الذي ما زال محفوظاً في ذاكرة الأجيال، مطرزات شرقية ومناديل فلسطينية... وللفرح ألحان للعزف... وفي المنزل قد بدأ المجوز الحانة والنافخ فيه عند العزف تراه يتمايل وقد انفتحت أوداجه وامتلأ فمه بالهواء فاحمرت وجنتاه وانتفختا وراح يتفنن في تحريك أصابعه على المجوز سداً أو فتحاً لثقوب فيتسّرب الهواء حيناً ويأتي من الأنف منه المدد. وجمع من أهل الفرح وقد اصطف منهم المصطفون في حلقة وراحوا يدبكون في دائرة ويقودهم على الرأس رئيس ويقرعون الأرض في أرجلهم وتتحرك الأرجل في نظام وإيقاع موحد والأجسام تعلو ومن أرض يصعد الغبار فعلا رؤوس الدبيكة منها أكليل فالجمع في دار العروس محتشد فهؤلاء نسوة وقد أخذن زينتهن وأخذن يتسربن من خلف إلى دار العروسة وينبعث منهن عطر فعلا الفضاء منهن أريح. والعجائز من القوم يزغردن وكذلك فعل القواعد مِنْهُنَّ وأنصت الجمع لهن. وإذا بإيقاع من النقر يصدر عن دربكة وإذا بالصبايا رفيقان العروس رحن يرقصن على الإيقاع وراحت راقصة منهن بخصرها تميسُ وتجمع أُخريات من أهل العريس والعروس ورحن يرقصن على نقرات الدربكة وراحت أهداهن تغني من الأغاني ما يليق بمثل هذه المناسبات ويحلو لهذه المقامات في آخر السهرة قامت إحدى السيدات الفضليات فعجنت من الحناء ما يكفي في وعاء خاص، فعلت ذلك في غرفة مجاورة ثم تقدمت من العروس في آخر السهرة وخضبتها. فوضعت الحناء الفاخرة على يدي العروس

كلتيهما ثم أطبقت كل واحدة وربطتهما بقطع من القماش منفردين أما العريس فقد حنوا عليه فحنوا له إصبعاً واحداً وقد كان الخنصر. يا له من كرم..!

ويا لها من سهرة جمعت أهل البلد في فرحة واحدة..! ووحدت تفكيرهم وأخذوا من الفرح ما طاب لهم ومن البهجة ما ملأ القلوب فرحاً تحت إيقاع المجوز وقرع الدربكة... ألم تكن هذه المناسبة موعداً مع الفرح لأهل البلد وموعداً مع الطرحة للعروس وموعداً مع بيت جديد للعروسين إنه عش دافئ لهما عش الحياة الزجية إنه بحق موعد مع عيلة جديد لبلدتنا وقد حمل فيها أهل البلد للعروسين الهدايا من رز وسمن وخراف ملأت الحارة ثغاءاً. وقدور اللبن والسمن فراح يستعدون إلى نصب الموائد لإطعام الضيوف والمعازيم فقام النساء بالطهي فاعلين النار بالقدور وأحضرن المناسف لليوم التالي استعدادً من طبخ الخراف التي أعد ذبحها وسلخها وقد اشتهر بذلك رجل فاضل من القرية أذكر أن اسمه عيسى. وبقية النسوة يعددن الأرز فجاء أبيضاً مفلفلاً جاهزاً للمنسف بلونه الأبيض كطرحة العروس أو كالقطن المنفوش وإذا ما بزغ النهار رأيت فضليات النساء يقمن بالطهي استعداداً لولائم العريس وطبخ القهوة السادة وأقبل المدعوون من كل حدب وصوب على ظهور الخيل وقد استعدت رأس القبلة لاستضافة الحفل وبعد حَمّام العريس وارتداء جديد القنابيز وارتدى على رأسه حطة بيضاء أحاطها عقال أسود رفيع وأركب على حصان عربي أصيل وحف بهذا الموكب البهيج أصدقاء العريس كل على صهوة حصانه فالتقى الجمعان في مكان برأس القبلة وصل الموكب محفوظاً بالخيول على أنغام قرع الطبول. ونزل كل عن راحلته. وبدأ القوم يدبكون على عزف المجوز من رجل المناسبات والأفراح العم غنوم العازف وقف القوم صفاً طويلاً للقيام بالسحجة في إيقاع واحد من التصفيق... وبعد انقضاء سحابة النهار انتهى بالعريس هذا المشوار وانتقل الموكب بعون الله إلى الدار دار العريس حيث أقيمت الولائم واستعد لها من كن من ذوي العزائم جرى هذا على أصوات طلقات البارود فجلس الضيوف حول المناسف... أما العريس فقد جلس حول منسف مع زملائه... وبعد الانتهاء من تناول ما في المناسف توجهوا إلى الحلويات فاخذوا نصيبهم من القطائف. ثم احتسوا القهوة السادة وقد شهدت دار العروس الشيء نفسه مع العروس والضيفات.

وعند المساء كان العريس والعروس على موعد مع اللقاء... إذ تصدرا صدر الغرفة على سُدَّةٍ واحدة وأخذ النسوة يغنين في حلقات على أنغام الدربكة وغناء من يجدن الغناء من النساء وَأَخَذنَ الشُروع في رقصات شعبية ملأت القلوب فرحة وزهت العروس وطار العريس من نشوة. أما فرحة والدي العريس فكانت لا توصف. والنساء يهاهين بين الفينة والفينة فسالت دموع من العيون وأخيراً أسدل الستار على هذا العرس من أعراس قريتنا. وقام العروسين إلى عشهما وغادر القوم المكان، وآن الأوان لنقول للعروسين من بلدتي، مبروك يا أولاد إنها لوحات من قريتي ما زالت في ذاكرتي أسوقها لأهل بلدي... فرحة ملأت القلوب، وقلبت صفحات الأيام، وطار عنها غبار النسيان. وأعدتها جيّة على الورق علها تزيل عنا الأرق ومن كنانة الزمان أخذت سهماً منها علي أساهم في

==========

إيقاظ أهل بلدي، فأرسلت إلى قريتي سهماً من كنانتي فأضاء سراج الذكرى أماي وتناثرت من الضواحي كلمات، جمعتها فضعت منها عقوداً لأزين فصنعت بها جيد قريتي... ومن بساتين الذكرى قطفت ورودي وصنعت منها طاقات لأزين جيد الوطن، ومن هموم الوطن أشواك أدمت معصمي وعثرت قلمي... ولكن أنغام التعليلة، سفحت دمعي، وزرعت في قلبي أملاً وأعادت لي الذكرى لنأخذ منها للأجيال العبرة. فإن شعباً له ثقافية في الأفراح لا يشقُ له غبار. وفي هذا المقام رششت عليكم من عطور الماضي عطري، وما أنا بالعطار فهل يصلح العطار ما أفسده الدَّهر؟ وهل نجتمع يوماً بدار الفرح؟ واسمحوا لي أن أقول علينا أن نتمسك بالأرض... وألا نهمل ثقافة لنا من الماضي السّعيد نطير بها وهل ينطبق علينا مثلاً قالته يوماً العراب «ذهبوا أيدي سبأ». وهل نجتمع يوماً في رأس القبلة بعد تفرق؟ إنّها أفْراح قريتنا مواعيد مع اللقاء علمتني إياها قريتي فَبنيت عليها وصفاً لثقافة الأفراح. فهل هناك من هم لحق عودتنا مجحدون وللعدالة ينكرون...؟

==========

من ذاكرة أم سابي

زغاريد رنت في قريتنا

من صور الأفراح في قريتنا أن تعلو أصوات الدربكة في التعليلة وفي الأعراس.. قبل أن يأخذ الجدات النعاس.. فتقوم سيدة فاضلة فأطلق واحدة من تلك (الهاهات).. فتحرك في النفوس الأفراح وتصحو الجدات بانشراح وهذه صفحة منها وقد أعدتها للكتاب لجنة الأفراح فقمت بجمع تلك الهاهات بكل أمانة واقتدار.. ودونت ذلك في صفحة الأفراح.. لتكون للأجيال قيثارة لذكرى إنها بحق نماذج من الأفراح.. إذا ما أصغيت إليها فإن النفس لترتاح.. وتحرك المشاعر لدى المحتفلين وتعالج مشاعرهم وتدغدغها بكل لين إنها جزء من التراث.. قمت باستقصاء أخبارها وأنوعها. كم دعتنا للبكاء فأدت لجنة الأفراح ما عليها بذاكرتها عن فلسطين عن عام 1948 عندما غادرنا البلاد وأخذتا نزيل النسيان عنها لتظهر للوجود... علها تقوم بدورها وتزيد على ذلك بأن نتذكر فلسطين... وهذه النماذج من الأفراح قد هاجرت معنا والتصقت بنا أنها نوع من التحدي لمن ينكر حقها فتقول لهم هنا نحن وإلى بعث التراث دوماً مستعدين فلنا الحطة والعقال والقمباز وقد رصدنا للقراء نماذجاً من الهاهات. أسوقها لكم مع مزيد الأشواق إلى بعث التراث والفضل في ذلك إلى الأم التي كانت تعمل في البيت من تنظيف وطهي وتؤمن حاجيات البيت من ماء وحطب فانظر إليها عائدة من العين حاملة جرّةٍ من الماء البارد الصافي وتشرب بجانبها أبنها الكبير أو زوجها يقود حماراً وقد حمل على حمالة جرارا من الماء لملئ بئرٍ لشرب في البيت. حيث ينتظرها ابنها الرضيع وقد ملأ البيت بكاءاً. والأم عاملة على جلب الحطب من الحما فَتَقْصَدَ المكان وتجمع الحطب شأعة (غمْراً) وتحمله على رأسها سالكة طريق العودة إلى البيت متثقلة بحملها محمرة الوجه وقد ملأت فمها باللبان الذي أحضرته لأبنائها هدية لهم لكي يسكتوا أثناء غيابها عن البيت. وتضع شأعات الحطب بعضها فوق بعض لتصنع منها مركاساً أي غمراً كبيراً بخلاف عملها في زرع الدخان. والخضار. والقيام بواجبات المنزل. فهل لنا أن نبارك هذه الأم التي تشارك في الجني والحصاد إنها الأم المثالية ونشكرها على قيامها بأكثر من واجبها نحو أسرتها. فهي جنباً إلى جنب مع الرجل في الحقل وفي البيت فهي جديرة بأن تنال منا كل تقدير واحترام ومن واجباتنا أن تقدم لها جزيل الشكر ونقبل يديها بالشكر والامتنان لها وحق لها أن تسهر بالليل وتشارك بأفراح القرية فالأعراس مسرح للفرح وفيه تبدو كل أم بأحلى ما عندها من ملابس وتتزين بحلّيها. ومن واجبنا أن نصغي إلى نبرات صوتها

==========

في التعبير عن الفرح الذي يثير في النفوس الحنين ويحرك أوتار العواطف الإنسانية من خلال هاهات للسيدة قد اختصت بهذا التعبير عن الفرح في مسرح القرية بالأعراس وأيام التعليلات وهذه نماذج منها قامت خلية الأفراح برصدها بالعودة إلى ينابيعها الصافية ومسرحها قد اتسع وتنوع ففي كل شهر فرح ومسرح الأفراح في بلادي واسع والمدعون هم الضيوف والعريس والعروس هما أبطال مسرحية فرح هذه الليلة. كلمات لا تنتسى على الإطلاق فهي في ذاكرة الأمهات إلى يوم الفراق. وفي أحد المنازل بمخيم اليرموك في دمشق كان اللقاء مع أولئك السيدات الفضليات فأضفن للكتابِ ما لديهن من مخزون ثقافتنا الفلسطينية. فنثرت أماي لآلئ منها فحار قلمي إليها انتقي فدونت على صفحة الأفراح ما رق واشتاق إلى سماعة العرسان والعزاب. فدوى المكان وتحركت الأحزان وغالبتني عبرات لكن جستها لكي لا ينفضح سري من تلك الكلمات في أسطر هذه الهاهات وإليكم بعضها.

مرحبا بكم مرحبا
ريحة تيابك محلايا
عيني تشوفكو من بعيد
قلبي يقلكم مرحبا
يا رب خلي بيا
أصيل أصيل غالي
شفت الأمر في دارو
يا رب كبر حالو

من ذاكرة أم معن من أهالي السموعي
ومن نزلاء نهر البارد

(1) زفولي هالعريس لحاله لباله
زفولي هالعريس على مضافة خاله

(2) يا أبو (فلان) يا شاشة على راسي
لا بعيرك ولا بعطيك للناس
دبوسك ذهب صافي
ترعى الخيل من هيبتك بلا ناسِ

(3) ركضنا عالمناصب لناسبهم
لف الهوى ورمانا على مصاطبهم
طلبت من رب السما ينصرهم
نصرة عزيزة يجبر خواطرهم

(4) عريس عريس لا تندم على المال
حواجب عروستك يا خط الأقلام
حواجب عروستك مية على مية
تسوى بنات العرب مية على مية

(5) هاتولنا هالعريس لنشوف حالاته
لنشوف سمار خده ونشوف حلاته
مسكين يا هالعريس قابر خواته
ما قاموا بعرسه غير الغرايب

(6) أوهـا يا سنبوسـك الهـوى بعـده
بالفرن ما استوى
تعالوا شوفوا يا ناس مش كل العرايس
سوى

(7) يا بدلته من قصب متين جبتها
وتفصـلت بحلـب وارتجـت الشـام
والقاعدين فيها
وارتجت القدس والقاعدين فيها

(8) أوها زيحوا خلي العريس يفوت
يا شجرة المستكة وغصونها ياقوت
نحنا السمامعة وأصلنا مثبوت
أوها وجدودنا بالترب تستاهل التابوت

==========

الأطفـــــال

أحلام طفل فلسطيني من السموعي

تقوس ظهره وانحنى... وسار في شوارع القرية وحاراتها.... ولكن لست أدري من أين أتي...؟ حمل الصندوق على ظهره ومن الأرض قد دنا.... فغنى للأطفال ونادى.. يزرع الحارة بخطواته ثم انحنى.. غنى للأطفال... وإلى صندوقه... ومن الأرض وقد دنا مال إلى الوراء وتخلص من حبل عريض قد عصب الجبين... وموعد العرض قريباً سوف يحين وراح يدور حول الصندوق يغني لصغار... وراحت تشرَّعُ أبواب الدور ويخرج من بطونها شباب وأولاد... والكل من هذا الصندوق قد هاب... صندوق بات على الأرض يزحف... أعاد الحبل إلى الوراء كاليدين والصبية ينتظرون والْكُلُّ من طول انتظار قد استاء ووضع أمام الصندوق، وتحت العيون مقعد وقد طال يميناً ويساراً بلا مسند ليسند ظهور الأطفال تراهم يحملون النقود وطال حملها حتى عرقت أيدهم، وهم ينتظرون بفارغ الصبر حتى يحين العرض.

قالت وطفاء: متى يحين العرض؟ فأجاب الرجل عندما ننتهي من إصلاح العطب، والعرض قد اقترب يا عرب ثم نقلت نقودها من يد للأخرى فقد أطبقت على قروش وأنصافها من المعدن مثقوب وسطها أنها قروش فلسطينية. بينما أدخل المخرج الفنان يديه من خلف وراح يصلح الصور لتليق بالعرض وما استطاعت فاطمة القراءة لما كتب على ليرة فلسطينية في يدها عندما فتحتها... فمد سعيد بصره ومن الليرة قد اقترب فقرأ لها جنيه فلسطيني بالحروف العربية الواضحة... ثم سألت وما هذه الحروف الأخرى؟ فأجابها سعيد عن سؤالها سعيد أنها حروف إنكليزية... فاستبقت الشرح قائلة وماذا يفعل أصحاب هذه الحروف من الإنكليز في بلادنا.. فأجاب سعيد وهو عنها غير بعيد إنَّهُ المستعمر الذي دخل فلسطين دون أذن من أهلها العرب بعد معاهدة سايكس بيكو عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى... وتساءلت فاطمة ومتى سيخرجون من بلادنا؟؟؟ فقال سعيد عندما ينتهون من استراتيجيتهم وهم لن يخرجوا إلا بالقوة بفضل ثورة عارمة ثم سألت لجين وما هذه الحروف الغريبة.. أنها حروف عجيبة وعن فلسطين غريبة فأجابها سعيد أنها حروف عبرية... تلتقي مع

اللغة العربية بأنها سامية لكنهم قدموا حرف الباء قبل الراء ونحن بلغتنا العربية أخذنا حرف الباء بعد حرف الراء فهل تتعايش العبرية الوافدة مع العربية الراسخة بالأرض... فمن يدري...؟

قالت فاطمة شكراً لهذا الشرح المفيد وهذا يعني أنهم غرباء عن الأرض... فأجابها سعيد نعم هم غرباء يا فاطمة... ثم سألت فاطمة ولماذا أتو إلى أرضنا..؟؟ جاء هؤلاء إلى فلسطين بعد وعد بلفور الغير عادلٍ أجابها سعيد: تسربوا إلى البلاد بعد وعد بلفور في 1916م الذي وعد فيه اليهود بوطن لهم على أرض فلسطين وكأن فلسطين بلا شعب لتكون وطناً لشعب بلا أرض... أما عاش اليهود في حما العرب قروناً طويلة عندما أرغموا على الخروج من جنوب أسبانيا... فلاقوا من العرب كل عناية... واليوم تنقلب الآية فهمت فاطمة الحكاية من قطعة النقد الفلسطينية... لأن العبارة تعني جنيه فلسطيني فحصرت العبارة مدلولها وهنا دفعت نقود الأطفال وجلس بعضهم بنظام على المقعد الطويل... وأدخل الرجل يديه من خلف صندوق العجب وقال تفرج يا سلام على عبلة ذات المقام...يقلب الصور ويحركها وبعد كل صورة تأتي الحكاية وتتبعها صورة وحكاية... والحاكي... يصدر الألحان ويحكي للأطفال حكاية عن بنت السلطان التي ارتدت أجمل الملابس والحلي والحلل وزينت شعرها بجلنار أتي إليها من آذار عندما لثمها النيروز في غسق الدجى... وقبلها الندى في أول النهار وتزوجت من البلاد أميرها بوجه وسيم بدا كالبدر منيراً... ثم عرض مشهداً لِجَمِالٍ تشمي متمايلة فوق الرمال يقودها قائد القطيع... وحوله كلب مطيع يقفز هنا وهناك.... وصاحب الصندوق يغني للأطفال

عمي يا جمال بات الليلة هين (هنا)، قل يا جمال قل لي رايح فين...

والأطفال يضحكون وهم يتابعون... وهنا جاءت النهاية عندما توقف الصندوق عن الحكاية ففرح الأطفال عندما رفع كل واحد وجهه عن الطاقة التي قدمت لهم من الحكايات باقة، ووقف صاحب الصندوق عندما رفع رأسه من الخلف بوجه ضحوك وشكر الأطفال واعتذر لهم عندما جاء العرض متأخراً بسبب الأعطال.. ثم جاءت أفواج أخرى. ولما حان الانتهاء.

وعن القرية ارتحل وهنا نهض سعيد وفرك عينيه... ووجد الصباح قد أطل وللأرض وصل ونادى أمه ليحكي لها ما شاهد في الحلم وغادر الفراش فقد رأى نفسه هو البطل في الحلم.. ولما سمعت الأم حلم ابنها سعيد عن صندوق العجب دعته أن يحكي لها ما الحكاية من البداية للنهاية... فروى لها ما شاهد وعبر عن فرحته وقالت له بعد الاستقلال سيكون في بلدتنا صالات للعرض كالمدن الكبرى... لقد تغيرت الحياة فانتهى وقت صناديق العجب وحل محلها صالات للعرض اسمها دار الخيالة...لعرض الصور على قطعة قماش كظل الخيال كانت في البداية ثم تحركت وغداً يأتي اختراع آخر لست أدري ما سيكون...! عرض فيه الصور تمشي.

قال سعيد لأمه: أماه إن الحاجة أم الاختراع وغداً سيكون لي في هذا الميدان شأن كبير وباع... فقالت أمه: أعلم يا بني أن ذلك لا يتم إلا بالسيف واليراع... ومع مرور الأيام جاء التلفاز ويحب الأطفال قد فاز وقال البطل وماذا تقصدين يا أماه؟

فقالت الأم: السيف... يعني القوة التي تدافع عن الوطن فالسيف أداة تدافع بها وتحمي الحدود، أرض الآباء والجدود أما اليراع فهو القلم يعني أن تكون متعلماً والقلم أداة تستعمل عند الكتابة.

قال سعيد البطل الصغير: سمعت أبي يقول من المحبرة إلى المقبرة... ماذا نعني قالت بأن صاحب الجملة يعني أنه كان كاتباً من أول عمره لأخره.

حقاً يا أماه إنَّهُ لجواب منير وقد أنار الحلم عقلي وفتح لي على الدنيا نوافذ فأرى من خلالها الميادين، في رياض من علم وبساتين فكم أنا لك يا أماه أبداً مدين... فأنت معلمتي الأولى في هذه الدنيا يا أحلى الأمهات وما أحلى التجديد في كل شيء... فالبستان الذي تقلم أغصانه يتجدد ويكون الإنتاج وفيراً والصحفي الذي يجدد في أسلوب مقالاته يتجدد ويكثر قراؤه... وكذلك الكاتب والشاعر إذا ما أجادا أقبل القراء عليهما إقبال النحل على الأزهار وإقبال الصيادين على البحار والأنهار.. وهنا طلع حقاً النهار وانتهى حلم الطفل الفلسطيني وتذكر أنه موعد لقطف الأزهار ليضع منها لأمه باقة وزنار...

==========

ألعاب أطفال السموعي ما زالت بالذاكرة

أيا أبناءنا ويا أحفادنا أنتم فلذات أكبادنا تمشي على الأرض نحن معكم اليوم ولست أدري أنصبح أم نمسي معكم وقبل أن يقف بنا قطار العمر إليكم وصفاً لألعاب الأطفال. ألعاب لعبناها عندما كنا أطفالاً إنها ما زالت معنا حاضرة قاسمتنا الهجرة . إنها لعبة العواتيل . ولعبة الحج . والخطة . والقلل . العودة . ألعاب شعبية ما زالت بالذاكرة أهديها لكل شاطر وشاطرة...ولا أهمل النط على الحبل (قمر، شمس، نجوم، غيوم) ومن تعثر في نطه عند واحدة من تلك الكلمات انقلب اللعب لغيرها.

وتعطلت لغة الكلام عن البيادر في الشتاء، عندما ارتوت من الأمطار ونبت على جوانبها العشب وما فلت من حبات القمح، أو الشعير، أو الفول من غربال الدارسين والدارسات وتبدو البيادر وكأنها بسط رصت ذراتها، وارتقت للحياة حباتها، فإذا ما صحت الدنيا من أمطارها وجفت أطراف البيادر من مائها رأيت الصبية يتقاطرون إلى البيادر وفي أيديهم

* العواتيل: مما استقام من أغصان الأشجار ودقت كالأوتاد. وراح الفتية يتبارون في حلقات حول الحواكير أو أطراف الحارة ويبدأ أحدهم التحدي فيدخل بعزم أول وتد في التراب فيشرئب متحدياً ويحاول الآخرون إيقاع الوتد الأول وسحبه من التراب بكسره أي إمالته. وهكذا تدخل المبارزة أشدها بالعواتيل إلى أن تجمع عواتيل اللاعبين بيد كاسبها، فيعود للبيت برزمة منها، والخاسرون يعودون بخفي حنين بعد أن خسروا عواتيلهم. وهم يحلمون بمنازلة أخرى وإذا أمطرت السماء توقف اللعب وكأنه جرس النهاية يا لها من لعبة شعبية أعادت لذاكرتي الحدث ولأحفادنا الحكاية. فهذه إحدى ألعابنا وإن رغبتم بأخرى فإننا لا نلعبها إلا إذا صحت الدنيا وملاعبها الأزقة والحارات، أنها لعبة.

==========

*** العواتيل: عدد لاعبي الفريق (5) لاعبين.**

أدواتها:

. أوتاد من أغصان الأشجار، ما طال واستقام ليصل إلى 42 سم طولاً وما قصر إلى 35 سم.

عدد العواتيل: (5) ما سهل على اليد حملها، وعلى الزند صنعها مستقيمة الشكل رفيعة الرأس، يبرى العاتول بالقادوم، القطر 2 سم.

. ملاعبها: أطراف الحارة وهو الأفضل زمانها: قبيل نهاية فصل الشتاء أو مطلع الربيع حيث تكون الأرض (طرية) ليست صلبة.

ولا يستحسن اللعب بها على البيادر لأسباب فنية تعود إلى موسم دراسة الحصاد حتى لا يختلط حب القمح بذرات التراب.

* البنانير: أو القلل وتسمى أحياناً (القوازيز) ربما لأنها تصنع من زجاج دائرية الشكل صغيرة. توضع بين إصبعين هما الإبهام وما يليه ثم تقذف لتصيب أخرى أو أخريات. ومن قوانين هذه اللعبة أن تصف الحبات منها في صف أو دائرة واحدة ثلاثة أو أربعة منها بشكل مستقيم متباعدة أو تُصف على مثلث وقد حفر في التراب. فتبدأ اللعبة بقذف حبة منه بقوة وتصويب محكمين فإذا ما أصاب بها لاعب فقد ربح ويتابع بقية اللعب واحداً تلو الآخر، والرابح بتابع اللعب حتى يخطئ الهدف، وبعدها يتوقف ليأتي غيره من اللاعبين... وعندما تنتهي اللعبة يعود اللاعبون إلى البيتْ أحدهم الرابح وقد ملأ جيبيه من القلل. وإذا ما أطل الصيف وانتهى موسم الحصاد والدَّرس. تبدأ لعبة

*الحج: أدواتها كرة تصنع من قماش ومَضْرَبٌ من أشجار السنديان أُحسن قَطعه وقَصُّهُ كما يجب وملاعُبها البيادر. حيث يقسم البيدر إلى نصفين ومحيط ومبدأ للعب يجتمع أفردا الفريق الأول في بداية الملعب. يصطفون واحداً تلو الآخر. وفي وسط الملعب حجر يَقسم الملعب إلى قسمين وأفراد الفريق الثاني وهم ستة كالفريق الأول (انظر إلى المخطط المرفق) ينتشرون في النصف الثاني من الملعب. ويبدأ اللاعب الأول فيقذف الكرة في الهواء ثم يضربها بمضربه، ترتفع الكرة إلى الأعلى وتطير إلى أفراد الفريق المقابل. فإن تمكن أحدهم مسك الكرة سقط اللاعب الأول فيأتي غيره بنفس الطريقة ليلعب وإن سقطت على

الأرض ركض اللاعب ويحج إلى الحجر وسط الملعب وأثناء عودته يضرب بالكرة من خلفه فإن أصيب سقط وأتى غيره وإن عاد لأفراد فريقه نجا وعاد للعب من جديد وهكذا دواليك حتى يصاد جميع أفراد الفريق الأول، فتحدث حركة تغيير في اللعب بين الفريقين فينتقل أفراد الفريق الأول إلى النصف الثاني وأفراد النصف الثاني إلى مكان النصف الأول أما إذا طارت الكرة بعيداً عن المحيط أخفق اللاعب وإن طارت إلى الكرم المجاور ودخلت بين الصبر على اللاعبين الانتظار والصبر. وإن ضاعت يستعاض عنها بأخرى أنها بحق لعبة الحج الفلسطينية كالبيسبول الأمريكية، إن صح هذا التشبيه أما الإناث فلهن ألعابهم فهم يلعبن لعبة

***الحج: ويلعب بها فريقان أعضاء كل فريق (6).**

أدواتها: (مضرب) مخباط يستعمل لقذف الكرة من قبل كل لاعب على حِدَا.

الكرات: (3) كرات: وتصنع من القماش، واحدة للعب وأخريات احتياط.

ملاعبها: البيادر: يقسم البيدر إلى قسمين متساويين والمواعيد بعد موسم الحصاد والدراسة.

يصطف لاعبو الفريق الأول صفاً مستقيماً بعد قاذف الكرة ويتوزع أعضاء الفريق الثاني. في الجزء الثاني من المعلب على نحو مبين في مخطط ملعب الحج (مقدمة . ميسرة . قلب . ومؤخرة . وفي وسط الملعب) يوضح حجر على القاذف أن يصل إليه بسرعة بعد قذف الكرة بضربها في المخباط. وعليه أن يضع رجله على الحجر قبل هجوم الفريق الثاني عليه بواسطة الكرة المقذوفة. انظر إلى الشكل في الصفحة التالية:

لعبة الحج (١٦) لاعباً

عدد كل فريق ٦ × ٦ ـ القاذف ١ ـ مراقبوا الخطوط ٣

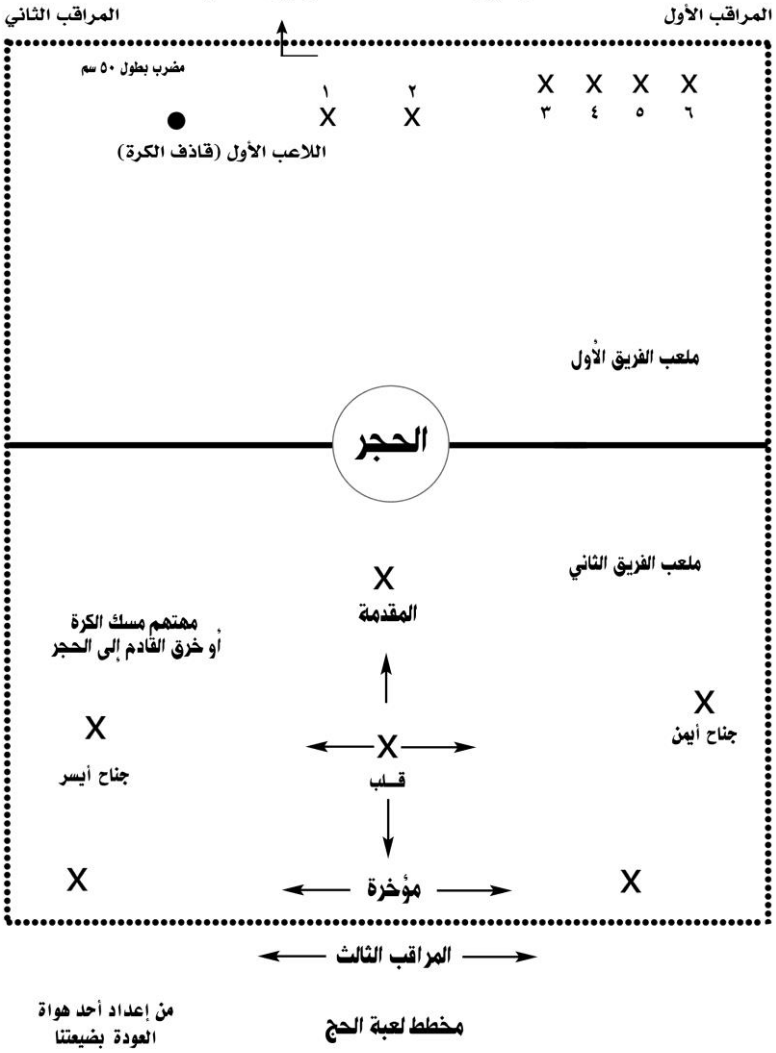

مخطط لعبة الحج

من إعداد أحد هواة
العودة بضيعتنا

==========

*الخطة: يقسم الملعب إلى مربعات ويأخذ الملعب شكل المستطيل ومن أدواتها حَجَر كأنه الزليجة. يقذف ثم تبدأ بالقفز بطريقة معينة وحسابات معينة فإذا أخطأت اللاعبة في لعبها أو لمست في قدمها خطوط الملعب، أخفقت في مسعاها وجاء دور اللاعبة الموالية.. وهكذا حتى ينتهي القفز على جميع المربعات. وهناك أغاني شعبية تعينها أثناء لعبها ومن جعبة الذاكرة فعندي لكم لعبة في ذهني ما زالت حاضرة تنبعت آثارها أنها لعبة

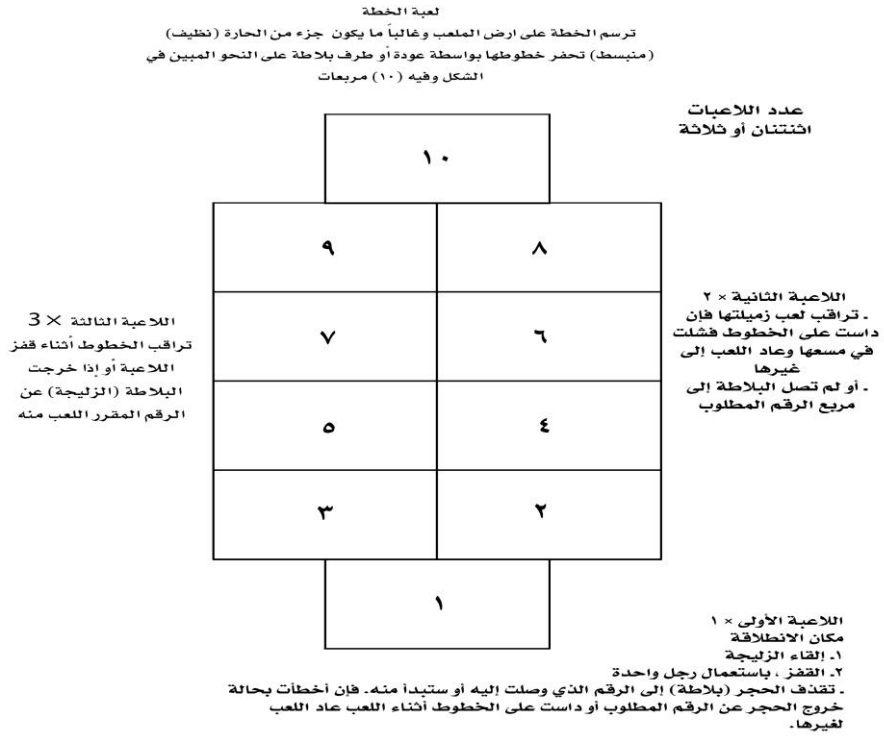

==========

* العُودْة: أدواتها عود طويل يستعمل للإرسال أو الضرب وحجرتان وعودة قصيرة. يتم بالطويلة قذف القصيرة يقسم الملعب إلى نصفين ومبدأ للعب، وتترك حرية اختيار الأفراد لكل فريق من 2 إلى 5 لاعبين تنصب حجرتان في أول الملعب وعليهما العودة الصفيرة ثم يقوم اللاعب الأول من الفريق الأول بالاستعداد وينتشر أفراد الفريق الثاني في النصف الثاني من الملعب وغالباً ما تكون باحة الدار الواسعة ملعباً لهذه اللعبة لمسك العودة الصغير قبل أن تلامس الأرض. وإذا لامست الأرض ترسل ليسقط المضرب الذي وضع على الحجرين يقول اللاعب الأول (بري) أي جاهزون فيجيب أفراد الفريق الثاني (بري) ثم يضع مقدمة المضرب على الأرض قريباً من وسط العودة التي وضعت فوق الحجرين ويتم بطريقة معروفة إرسالها بالطويله للفريق الآخر. فإن وقعت بيد أحدهم سقط اللاعب الذي أرسل الضربة الأولى فإن سقطت على الأرض، ترسل من قبل أحد لاعبي الفريق الثاني لتصطدم بالمضرب الذي وضع على الحجرين. فإن سقطت بعد تسديدة محكمة، يسقط اللاعب الأول وينتقل الإرسال إلى اللاعب الثاني من الفريق الأول. وإذا لم يسقط المضرب عن الحجرتين عاد اللعب إلى اللاعب الأول وعندما تعود العودة الصغيرة لتضرب المضرب الطويل وفي حالة إخفاقها يأخذ اللاعب المضرب ويضرب العودة الصغيرة بالمضرب الطويل وتطير إلى أرض الفريق الثاني يحاولون مسكها وله ثلاث محاولات وبعد ذلك تحسب المسافة بالمضرب فتجمع النتائج وتحسب للفريق الأول بالأمتار وغالباً ما تحسب بوحدة هي طول المضرب ويبقى اللاعب الأول يلعب بنفس الطريقة فإن سقط اللاعب أي إذا مسكت العودة الصغيرة التي أرسلها أو أصابت العودة الصفير المضرب الذي وضع على الحجرتين أخفق أو انتقل اللعب إلى الثاني من نفس الفريق إلى أن يسقط جميع أفراد الفريق الأول فيحدث تغيّر بين مواقع الفريقين.

يا لها من لعبة ما زالت تعيش في الذاكرة. وبذلك أكون قد نقلت لكم من ذاكرتي وصفاً دقيقاً لتلك الألعاب في قريتنا وأحبها إلي هي لعبة (العودة) وها أنا أهديها إلى كل شاطر وشاطرة فهل لنا من عود إلى فلسطين لأن العَوْدة هي الأمل المنشود لنلعب معاً لعبة (العُودَةْ) مضاربها من سنديان بلدتنا وملاعبها بيادر الوطن. أما لعبة الحج فهي محجي إلى الوطن فلسطين.

لعبة العودة

الأدوات: عودتان مستقيمتان الأولى بطلو ٥٠ سم والثانية بطول ٢٥ سم
عدد اللاعبين: من اثنان أو أربعة أو ستة

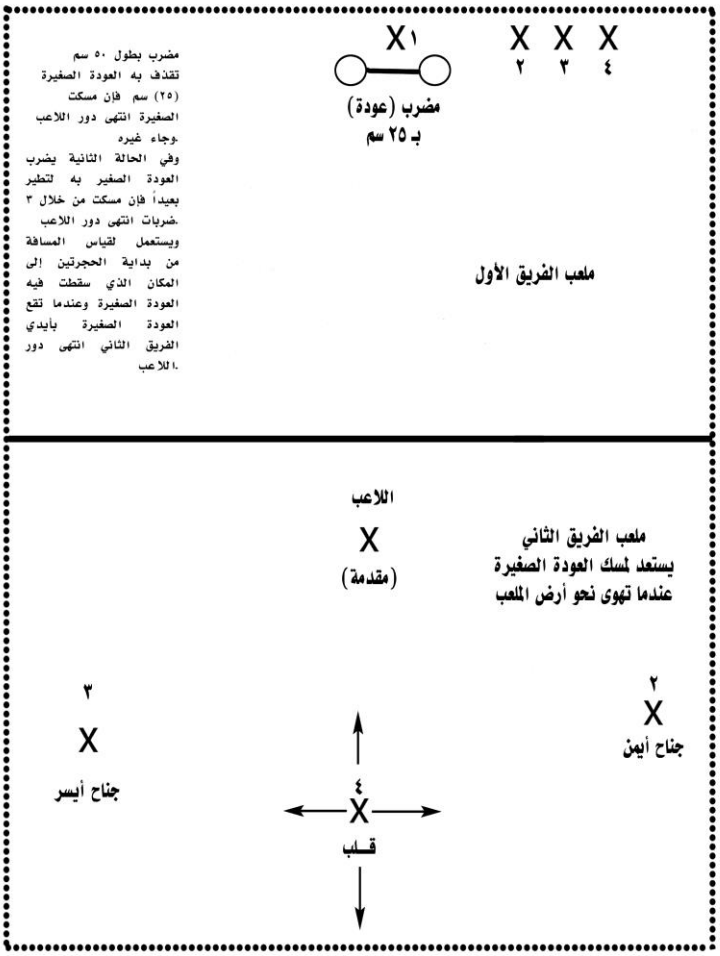

مخطط لعبة العودة

من إعداد أحد هواة
العودة بضيعتنا

من ألعاب «الطسوس في القرية»

اللعبة الأولى

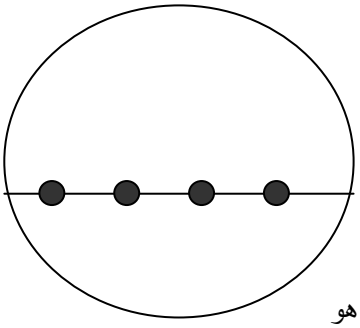

. ترسم على أرض الملعب (بالحارة)

دائرة ولها قطر

. ينزل كل لا عب حبة توضع على القطر

. عدد الحبات يحدد عدد اللاعبين أقرب لاعب إلى الدائرة هو البادئ الأول

. يبدأ اللاعب الأول إرسال الطس من نقطة البداية. فإن أصاب وأخرج الحبة التي أصابها مع حبته التي أرسلها يتابع.. وإلا ينتقل اللعب إلى اللاعب الثاني فالثالث فالرابع بنفس الطريقة الأولى

. الوقت لا يحدد للعب ولكن قد يحدد بحالة الخسارة لكل ما في جيب اللاعب من طسوس.

يغادر اللاعبون الملعب منهم من ملأ الجيب وأخذ يخشخش كجرس تنبيه لرابح أو هل هناك من مبارز؟ أما الخاسر فقد غادر الملعب فارغ الجيب مملوء اللب مفكراً بما حدث اليوم ليستعد للجولة القادمة

«الشكل الأول»

اللعبة الثانية

. يرسم على أرض الملعب (بالحارة) خط مستقيم

. ينزل كل لاعب حبة توضع على الخط المستقيم

. عدد الحبات يحدد عدد اللاعبين

*** أدوات اللعبة**

. كرة ... غالباً ما كانت تصنع من الخرق

نقطة البداية للعب

==========

. مضارب ولا تكون إلا طويلة كعصي الرعيان وفي رأسها كتلة (دبسة)

. مجموعة حجارة

*** الملعب**

. ويكون الملعب بالحارة أو على البيادر.

. تحفر حفرة واسعة تسمح بدخول الكرة فيها

. توضع بعيداً عن الحفرة مجموعة الحجارة بعضها فوق بعض وبوضع على رأسها الكرة.

*** الفريق الأول والفريق الثاني (يحدد عدد اللاعبين حسب الاتفاق .)**

*** نقطة الإرسال (بدء اللعب)**

الشروع . يقوم أحد اللاعبين بإرسال عصاه نحو الكرة لإسقاطها بعيدة عن الحفرة وفي حالة إخفاقها الهدف يكرر ذلك من قبل لاعب آخر.. ويحاول اللاعب أن يسقط الكرة بعيدة عن الحفرة (الجورة) لتقع المنافسة بعيداً عن الجورة لأنها الحوض ويبدأ الفريق الثاني بإرسال الكرة عن طرق ضربها بالعصا ويدافع الفريق الثاني بالعصا عن الهدف ولا تسمع غير طرق العصي . والحماس يضرب أطنابه إذا اقتربت الكرة من الجورة ويصل الحماس ذروته إذا دخلت الجورة وكم من مرة سجل الجمهور حماسه في مثل هذه المنافسات.

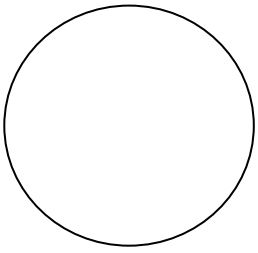

نقطة الإرسال

تذكر هذه اللعبة

. بالدفاع عن حياض الوطن وما أحوجنا إلى ذلك

. تشبه لعبة البيسبول الأميركية. وإذا رجعنا إلى تاريخ هذه اللعبة

في قريتنا فنحن السباقون إليها دون غيرنا من الأمم

. ما أحوجنا بالدفاع عن ألعابنا لأنها جزء من ثقافتنا الرياضية.

==========

لعبة الزقطة: وتلعبها اثنتان من البنات

ـ الأدوات (5) حجارة صغيرة دائرية الشكل .. وأحياناً تكون من عظام (سلاميات) الأصابع أصابع الخروف.

. كيف تلعبها البنات

* ترمي الحجارة مبعثرة على الأرض

* تأخذ اللاعبة الحجرين الأولى فترفعها بيدها إلى الأعلى وتلتقت حجرة من الأسفل مع الحجرة التي ارتفعت.. وهكذا حتى يتم الأمر مع الحجارة أحاداً ومثنى وثلاث ورباع وخماس... الخ.

* ثم يكرر نفس العمل ثنائي . وثلاث ورباع

* وفي كل حركة من الحركات إذا فشلت اللاعبة من التقاط الحجر الصاعد بعد هبوطه أو الحجر المأخوذ من المجموعة الأرضية يتنقل اللعب منها إلى اللاعبة الثانية. وهكذا دواليك

العماري العماري

. عدد اللاعبات مفتوح
. يقسم البنات إلى صفين متقابلين ومتوازين
. يبدأ الصف الأول (بين ذهاب وجيئة) قائلات

1. صبحكم بالخير يا لعماري العماري
2. صبحكم بالخير يا لعماري العماري

1. بالله أعطونا بنتكم يا لعماري العماري

2. ما نعطيكم إياها إلا بألف (وميي)

1. حتى تحطوا نقدها جوات الصينية
2. مَينزَل على دارها ومكسر أبوابها

1ـ والجامع توابها وهاي هي عروستنا (في كل جولة تأخذ عروس)

==========

أناشيد للأطفال لم تقع تحت الاحتلال

أثناء مقامي في مدينة ماديسون، خامرني شوق أكيد لأجمع هذه الأغاني والأناشيد من رواتها عندما كانوا في فلسطين صغاراً وغادروا الوطن حيارى فأخذت أبحث عمن سألتقي به فقطعت عهداً على نفسي ألا آخذ رواية إلا من أشخاص عاشوا في الوطن، وما زالت لهم ذاكرة قوية وحافظة أقوى وحب للوطن لا ينقطع فأعددت لذلك غداء عمل في أحد مطاعم ماديسون العربية. فاخترت منها مطعم لولو الشهير في شارع الجامعة. توقفت عجلات السيارة عند مرآب السيارات المحاذي للمطعم. كان الفصل شتاء وغاب الثلج عن المدينة هذه الأيام لكن الله سقاها مطراً مدراراً. دخلت من الباب الرئيسي الذي ازدان بخيمة تحمي الداخلين. وكتب على واجهة المطعم باللغتين العربية والإنكليزية مطعم وبقالية لولو. لبيت ذلك اليوم دعوة من صاحبة المطعم السيدة أم سابي واحدة من اللواتي ولدن في السموعي. واقترنت بزوج لها من مدينة حيفا. هاجرت إلى أرض العم سام تقريباً في منتصف العقد الثامن من القرن العشرين. ويرافقها من الأبناء أربعة، رعت أبناءها وتعلموا وتخرجوا واحتلوا أعلى الرتب في سلم المجتمع الجديد. أما هي فقد افتتحت هذا المطعم ونال سمعة في أوْسَاط المجتمع الأمريكي في هذه المدينة. وقد فاقت سمعته الآفاق إذ على موائده عرف الناس هنا ألوان الطعام العربي الفاخر في مطعم زاهر لأمٍ كانت السموعي مسقط رأس لها ودرست في ثانويات دمشق وخاصة ثانوية حيفا وكان معنا السيد صالح أشقر على نفس الطاولة.

وهو متزوج وقد رزق بثلاثة أولاد، وهو الآن متقاعد. يحب المطالعة والغولف، وما زال يتابع ذلك. وقد أحب الصيد وهو أبو جاد وله بنتان ريما وأميرة وشاب هو جاد ويلعب الشطرنج وجلست على الطاولة أيضاً أم سابي, وجود أشقر. وهو يعمل ما بين (لولو) ومطعم القصبة الذي يمتلكه شاب من حيفا هو سابي عطية.

==========

لم يكن من الجالسين من أحد يتوقع ماذا سيكون سؤالي هذه المرة... وما هي طبيعة المادة التي سأكتب عنها مادة هذا الكتاب الذي أتوقع أن يكون قيماً في الفحوى والمضمون وسوف بتداوله القراء وسط المطعم طاولات عديدة. ازدانت جدران المطعم بأبهى اللوحات الشرقية وعلى الجانبين رفان عليهما كتب للزبائن الراغبين بالقراءة. لأن المطالعة غذاء الفكر كما أن الطعام غذاء الجسم. ويتدلى من السقف ما يشبه الخيمة العربية أما الموسيقى العربية فقد أخذت تداعب مشاعر الزبائن. وفي لولو طباخ ماهر من مدينة القدس هو محمد الحناوي. نال الجوائز على طبخه أما صاحبة المطعم أم سامي فهي طاهية من الطراز الأول. وراح النادل آدم زريبة من ليبيا يسجل ما نطلب من طعام. وبشكل آلي على الحاسوب وصل الطلب إلى الطاهي البديع محمد الحناوي وبين الفينة والأخرى تتقدم الآنسة: كريمة بركاني من الجزائر وتسأل عما نريد أن نشرب، أو هل نحتاج إلى خدمة أو مساعدة جمعت شجاعتي لأطرح سؤالي لكني خشيت عند الطعام أن تضيع العقول. فآثرت التريث بعد الطعام. ثم بادرت السيد صالح أشقر بسؤالي. كان السؤال مباشراً عندما كنا نحتسي قهوتنا فسألته ماذا تحفظ من أغاني الأطفال وأناشيدهم من فلسطين؟ وما زالت ذاكرتك تحفظها هل لك أن تنشدها كما أنشدتها أمام أستاذك وولي أمرك؟

ثم غرق مفكراً... وأطرق لبرهة وساد صمتٍ وآذان صاغية وقلم يحاول أن يدون عندما شغف آذان السامعين بفيض منها. وكأن عطر الماضي قد انبعث من جديد فَعَطر المكان وفتح لنا نافذة من نوافذ الطفولة على صفحة من الماضي أردت أن أبعثها من جديد وأخذت أدون دون أن أنسى أو أغفل، ثم أراجع معه وكلي لهفة وشوق إلى سماع ذلك الماضي الذي مرَّ في ذاكرته وكأنه شريط سينمائي قد سجلته ذاكرته. ما أعذب تلك الألفاظ وأرقها وما أحكم تلك الأوزان وأقربها للأذن. حقاً لقد شدت سمعنا وأيقظت بنفوسنا ذكريات هامدة أغاني أضرمت فينا حب الطفولة كما تُضْرَمَ النارُ في الهشم أشعلت في النفوس ذكرى وأيقظت من الماضي عبرة وللأطفال سهرة ما بعدها سهرة. لأنها مرت على قهوة أمي عند الصباح وقهوة عمي عند العصر فتخيلت أني انتقلت أعْبرُ في عصر وقد تجاوزت هذا العصر لأعيش في عصر غير هذا العصر. ما أعذب الكلمات وما أحن العبارات.

صوت شدا من الماضي ليُسمع من هم يعيشون في الحاضر. أنه صوت من البعيد السعيد. إلى الحاضرين نحن فيه بقيد من حديد نَرْمُقُ الآفاق وقد طال للفجر طلوع أطفالنا ينشدون وقد جمعوا من بطاح الوطن أزهاراً وشكلوا منها أطواقاً. فاغرورقت لنا أحداقاً.

==========

وراحوا ينشدون من الوطن أناشيد للوطن

أناشيد حفظناها من كتاب القرية، ومدارس القرى المجاورة، ومن مدارس عاصمة الجليل مدينة صفد فاحفظوها كما حفظناها ورددوها للأجيال فعليها تتعلق الآمال. وكل شعب يتباهى بتراثه. وهذه الأناشيد جزء من ثقافتنا.

أنها صدى السهول والوديان وخرير الغدران، وتمايل الأقحوان بموجات من الألحان ما زالت تسمعها كل آذان وقد رواها عن الوطن عربي من كان عربي اللسان عاش في الوطن وأرغم على تغيير المكان فعاش بعيداً عن الوطن بشيء من الأمان بالمهجر.

وها هو يدلي لي ويسمعني، بعيداً عن الوطن في هذا المكان فصمت كل شيء فلا أسمع إلا صوته وهو يغرد بأجمل الألحان فأعاد صفحة من الماضي، أنقلها بصدق وأمانة فأرحل بعيداً، بعيداً بخيالي إلى الوطن، مرتع الطفولة ومسارح الكمال.

أناشيد كانت منسية يُزاح الستار عنها وينفض غبار النسيان عن أبياتها.

فقدم لي من تلك الأناشيد باقة فاح منها عطر الوطن وعبير الأزهار وعطر القهوة فذكرتني بقهوة عمي وأزاهير البستان حيث الورود كانت أطباقاً فوق السواقي تمايلت سكرى بعطرها الذي فاح في كل مكان وشربت من عيون الوطن واحتل عَبيرُها أرجاء البستان فصنعنا منها آن ذاك أطواقاً ووجه الأرض قد راقَ.

فهذه باقة لكم من تلك الأناشيد لا من تلك الورود التي سطى عليها غريب عن الوطن وارتكب حماقة فصادرها لكنه لم يستطيع أن يصادر أفكاري وأناشيدي فقد بقيت أرثاً لأطفالي.

وها هي من جديد تطفو على سطح الحياة في أرض المنافي واللجوء والمهاجر.

(1) الوَرْدُ

لْلـــــــــوُرُد، عِنْـــــــدي مَحَـــــــلَّ
لِأنَّـــــــــــهُ لا يُمَـــــــــــلَّ
كُـــــــلُّ الـــــــرَّياحينِ جُنْـــــــدٌ
وَهْـــــوَ الأمـــــيرُ الأجَـــــلَّ

(2) رن رن يا جرس

رن رن يا جـــــــــــــــــــــــرس
يا رب أركـــــــــب فـــــــــرس
رن رن يا جـــــــــــــــــــــــرس
يا رب أركـــــــــب فـــــــــرس

(3) الياسمين

وَ ياسَمـــــــين قّـــــــدْ بَـــــــدَتْ
أشْـــــجَارُهُ لِمَـــــنْ يَصِـــــفْ
كَمِثْـــــــلِ ثـــــــوبٍ اخْضَـــــــرَ
عَلَيْـــــهِ قُطْـــــنٌ قَـــــدْ نُـــــدِفْ

(4) الحصان

يَا حَصـــــــــــــاني يا حِصَـــــــــــاني
أنْـــــــتَ زيْـــــــنُ الحَيَـــــــوانِ

قِـــــــفْ قلـــــــيلاً لِرَكـــــــوبِ

ثمَّ سِـــــــرْ بي بأمَـــــــانِ

أنـــــــتي اليَـــــــوْمَ صَـــــــغيرٌ

وَغَـــــدَاً تعْـــــرفُ شـــــآني

(5) القْهوة

أَنا المَجنْوبـــــــــــة السّـــــــــمْرَا

وأُجْلَـــــــــي بالفَنـــــــــاجينِ

وعُـــــــودُ الهِنْـــــــدِ لي عِطْـــــــر

وَذِكْـــــري شـــــاع بالصّـــــينِ

(6) أمُّ عُوّيف

أُمُّ عُوّيـــــفْ أنْشـــــري بُرْدْيـــــكِ

ثُمَّ طِـــيري بَـــيْنَ صَـــحْراويك

إنَّ الأميْـــــرَ خاطـــــبٌ بنتيـــــكِ

وَبعيْنيْـــــهِ ناظـــــرٌ إليـــــكِ

(7) أَهلاً وَسهلاً

أهْـــــــــــلاً وَسَـــــــــــهْلاً

بِمْـــــــــــــن زارَنا الآنَ

الـــــــــــوَرْدُ فَـــــــــــتَّحَ

وَهَفْهَفْنـــــــــا الرَّيْحَـــــــــانَا

وَالطَّيْـــــــــرُ غَـــــــــنّى

بِقـــــــــــدومكِم وَهَنَّـــــــــــانَا

(8) الهدد

جــاءت سُــليمانَ يَــوْمَ العَــرضِ هُدهُــدَةٌ

وأهْـدَت لَـهُ مِـنْ جـرادٍ كَـانَ في فَيهـا

وَأنْشَـــــدْت بِلِســـــانْ الحَـــالِ قائلـــةً

لَـوْ كـانَ يُهْـدي إلى الإنْسـانِ قيمَتُـهُ

لَكَانَ يُهْدي لَكَ الدُنْيا وَمَا فَيها

أناشيد وأغاني البنات

حو دراجه، بودراجه — من كل طير وعارجه

حودراجه، بو دراجه — من كل عين دارجه

وقع مني رأس البصل وانكسر — حلفت معلمتي لتعلقني بالشجر

والشجر ملآن قروش قروش — ضبي أيديك يا عروس

يا أم الذهب والدبوس

==========

من حكايا الأطفال بالقرية

(الكلب سمور) يا له من سمر للعجائز

قصة رويت لنا ونحن صغاراً، داعبتنا وبقيت في عقولنا... روتها لنا الجدات، والقواعد من النساء كان يا ما كان في قديم الزمان كلب أسود كالطيلسان حارس للقطيع يتنقل معه من مكان إلى مكان يرافق القطيع إلى المرعي كل صباح مع القطيع في الحل والترحال حارس أمين في المرعى تحت صدى الشبابة وعين ساهرة في المراح عند القيلولة يتجول بين القطيع ويتفقد، وإذا ما هبت على القطيع الرياح رأيته يتمطى بصلبه على الأرض ليرتاح أغمض عيناً وترك أخرى ساهرة على القطيع وإذا ما أحس خطراً مداهماً شرع بالنباح. والذئب يأوي في النهار إلى مغارات البلدة بين الصخور وإذا ما غابت الشمس وراء الآفاق ورحلت أضواء النهار عن الحقول والتلال وسكن الظلام كل طريق مألوف أسرع الراعي بالقطيع فيدخل به حدود البلد وكأن القطيع صخور متنقلة وفي وسطها نقطة سوداء تتحرك وإذا ما دخل القطيع أزقة البلدة عرف كل رأس من القطيع طريقه إلى زريبته وبدت النقطة السوداء تتوقف وتنسحب إلى الوراء. وهذا هو حال الكلب سمور.

قبل قليل كان يتراجع وحول القطيع يدور وكأنه يتفقد أفراد القطيع.. فهو لراعي كلب مطيع في النهار. وإذا ما أتت على الكون قطع الليل البهيم آب القطيع إلى الزرائب. ويقصد الراعي منزله وخلفه سمور. يلوح بذبنه وكأنه يريد أن يودع الراعي والقطيع وينسحب من القرية مختفياً بين الزهور قبل أن يرسل الصبح على بلدتنا النور. فكأن هذا دأبه كل يوم وإذا هجع الراعي مع أسرته إلى قسط من الراحة تعود أن يرى كلبه سمور، يدور ويدور، ثم ينام وقبل الفجر من نومه يثور. لكن الراعي لاحظ أن كلبه يغادر الزريبة وفي الصباح الباكر يراه بين القطيع يتفقد القطيع

==========

يدور ويدور قبل أن يأتي على الكون من الصباح النور. فقرر أن يراقب الكلب لأن الأمر يتكرر بعد الوصول إلى القرية كل يوم تساءل الراعي ما قصة الكلب سمور. وقرر أن يخبر زوجته وابنه بالأمر فراعهم ما سمعوه.

قالت الأم: لقد اكتشفت أمره... أراه عند المساء يتنقل بين الأغنام ويحرسها بعين لا تنام وبينما كنت منهمكة في حلب القطيع وجمع ذلك في سطول أحسست أنه غير موجود لقد تعودتُ أن أقدم له صحناً من الحليب ليلعقه بعد كل جَنْيَه فأضعه أمام كوخه في زاوية الدار... فعرفت أنه قد غادر صحن الدار. تفقدته بين أفراد القطيع فلم أحصل له على أثر فقلت: ربما يكون هنا أو هناك في مكان آخر والغريب بالأمر أني أراه في كوخه قبل أن يتنفس الصباح.

أما الابن فقد اعتاد أن يأخذ سمور في جولة بين الحارات والدور ثم يعود به إلى مكانه المعهود بعد المغرب بقليل. ثم قال يا له من أمر مثير. أين يختفي سمور؟ ويدور؟ قال الأب: انراقبه ونكشف أمره أم نترك الطابق (الحادث) مستور يا سمور قالت الأم: ضعه تحت المراقبة... وليتحمل هو العاقبة... فلربما أصابته بالحقل إصابة ويحتاج إلى شبابة أو ربابه أما الابن فقال: اتركوا الطابق مستور... فقد يغضب أو يثور.. بل قولوا دَسْتور... دستور.

الأم: يا له من حارسٍ أمين يعيش معنا من سنين، وأمره اليوم مشين، الابن: وجه كلبنا فيه طولُ فهو يحمي القطيع ويصولُ وأخيراً قررت العائلة أن تراقب تصرفات الكلب سمور

فوضعوه تحت المراقبة... قبل أن تقع له إصابة... ونفتقد النباح في الحقل والمراح.

وعندما صاح الديك خرج الفلاح بالقطيع... وإذا بسمور يقفز بين الأغنام ويلوح بذنبه للجمهور، ويضرب سلام والكل به مبهور.

وهنا انتهى للعائلة عن سمور كل كلام... والحقيقة أكبر برهان... فشعر الراعي بالأمان بعودة سمور وفي جعبته أسرار هذا الزمان، وخفايا الخلان وعندما كان الراعي يعود من الحقل كل مساء ينقطع حيله (عزيمته) من كل رجاء عاد سمور... يدور حول القطيع ويدور ثم ينسحب بعد أن يختفي النور فلحق به الراعي خلسة دون أن يحس بخطواته من خلف الدّور.

وإذا بسمور يدخل كهفاً من كهوف القرية المسكون على بطحاء القرية... نظر الراعي، فرك عينه فإذا بالكهف وقد أضاء بالأسرجة، وإذا بسمور يخلع جلده الأسود وانبعثت من المغارة الموسيقى وراح سمور يرقص ويرقص لقط الراعي أنفاسه.. وقال والله لألعن أساسه هذا أنت يا سمور كالقمر بالكهف تدور... وانبعث من الكهف زمور وغنى قائلاً: ما رماني، ما رماني إلا بنت المسلماني بتنام بحرز الله وتنطق بذكر الله وهنا أطفئت الأضواء وسد باب الكهف... واختفى سمور.

==========

وقال الراعي دستور دستور...! فهل لي أن أعرف ماذا يدور؟

ومن يومها اختفى سمور وصارت هذه الحكاية بين أطفال قريتنا تدور وتدور

توتو توتو وقد انتهت الحكاية...

أبناءنا أنها حكاية من التراث... إلى الخرافة أقرب وإلى هذا النوع من القصص أصوب فهل صدقتم؟! إنها وقد تركت لكم خيال التفكير يذهب بكم التفكير إلى تقرير المصير.

وقد رأى (جدو) أبو جاد أنها قصص نسجت على منوال قصص ألف ليلة وليلة من المخطوطات العربية التي اشتهرت في الغرب كحكاية السندباد ولص بغداد وغيرها.

ومهما يكن الأمر فالمغارة ليست بعيدة عن القرية... وقد تركناها هناك... ولم تكن يوماً بعد فراقنا لها بسعيدة.. هناك على البطحاء فريدة، وحيدة تسمع في الليل عواء الذئاب وتردد صدى حفيف الأشجار، تبكي الصحاب كلما مر في سماء قريتنا سحاب ما زالت هناك وراءنا فكم مرت من أمامها أجيال وأجيال. وما زالت ثابتة رابطة الجأش خلفها بيادرنا قد طال بها العشب. وقريتنا قد دمرت وإني أتساءل أين كلاب تركناها هناك، وأين قطط تركناها وراءنا من أين تأكل؟ سأحكي لكم حكاية عن أحد الكلاب لكنها واقعية وليست خرافية كالكلب سمور في جلسة قادمة.

وفاء الكلب حمور: كل كلب ببابه نباح

حدث أن كان في قديم الزمان فتى من القرية اسمه مصلح يقصد المدرسة المجاورة لبيت عمته ليغرس في مشاتل المعرفة مبادئ اللغة العربية... كانت المدرسة ملتقى البراءة وكان أمام دارها يربض كلب لطيف. تعود الطفل أن يراه كل صباح فيداعبه ومرت الأيام سريعة الخطا توطدت علاقة بينه وبين الكلب حمور كان يعيش في دار عمته أم غازي التي كانت تسكن غرباً مع زوجها وبنتيها أمام بيتها صخرة صماء. غرف المنزل من الأسمنت واسعة وأسطحتها نظيفة جاهزة لموسم فرش التين ليتحول بأشعة الشمس الساخنة إلى (أطين) تين مجفف بأشعة الشمس.

كان الكلب حارساً أميناً يحرس الدار في الليل والنهار وإذا أحس بخطر مداهم ينبح نباحاً مستمراً كأنها إشارة لأصحاب البيت أن هناك من هو قادم نحو الباب الرئيسي للدار. لقد كان هذا شأن الكلب كل يوم، وكلما مر الطفل الصغير من أمام الكلب يناديه فيقفز إليه مداعباً حيناً أو مهدداً حيناً آخر بنباح بشبه التهديد والوعيد. الكلب لا يطيق المزاح، ولا يطيق الخلط بين الهزل والجد. وأحياناً كان الكلب يتبع الطفل.. ونسى الطفل أن القاعدة تقول لا تركض في مقدمة الكلاب لأنها

ستتبعك وتنهش ما قرب منها.. وفي كل مرة لا تسلم الجرة لكن كلب العمة أم غازي كان وديعاً وحارساً أميناً لكنه لا يحب دلع الأطفال المتحرشين وعندما اكتملت حلقات مأساة 1948 وغادر سكان القرية قريتهم على مضض إلى الجبال فاعتصموا في جبل السنديانة. لكن الكلب بقي في الدار يحرسها, ولما طال به الانتظار حاول أن يستطلع الخبر. وفجأة وجد في أزقة البلدة أناساً يتكلمون لغة ما هي بلغة أصحاب البيوت فعرف أنهم غرباء عن البلدة وهم يريدون بها سوءاً ولما سمع صوت التفجيرات بمنازل القرية عاد الكلب إلى دار العمة ليحرسها وتنبه ما في القرية من كلاب وقطط إلى خطر مداهم. فأحسوا بالخطر قبل أن يقع الخطر. ولما نسف منزل العمة أم غازي استطاع الكلب أن يقفز من سطح المنزل إلى سطح المنزل الذي يليه. كانت سياسة الغزاة تهديم المنازل وعدم ترك أي فرصة لعودة أصحابها إليها.

عاد الكلب إلى منزل العمة ووقف على الركام يبكي الأطلال وينبح نباحاً عالياً وكأنه (يدب الصوت) ويطلب النجدة ولكن لم ينجده أحد لم يصدق الكلب ما حدث، أهو كابوس حلم أم حقيقة أم أنها حلقات المأساة قد اكتملت.

هذه حكاية هذا الكلب الذي وقف وفياً وحارساً أميناً، مشهد يحرق الأعصاب وهو واقف على الأطلال لكن مطالبه لم تلق النوال. وأغرق مفكراً حيناً نابحاً أحياناً، قلقاً في مرات أخر وأما أهل القرية من شيوخ وأطفال وسيدات فضليات تاهوا جميعاً عبر الجبال والغابات بحثاً عن نجاة حتى وصلوا إلى جنوب لبنان، وهنا اكتملت حلقات المأساة.

وتفرق أهل القرية كلوح من بللور سقط على الأرض وتناثرت شظاياهم عبر الآفاق وحطت رحالهم في بلدة اسمها عنجر في لبنان ونصبت لهم الخيام. وصمت الكل عن الكلام وطال بهم المقام. لكن الكلب قطع الأمل وغادر قرية الأشباح، وأعطى ظهره للأطلال وراح يبحث عن أصحابه ويتبع آثارهم في الجبال وبين الأشجار، حتى وضع عصا الترحال أمام خيمة أصحابه في عنجر.. ولما رأته العمة وبنتاها لوح الكلب بذنبه وتقدم ذليلاً إلى أصحابه فتعرفوا عليه وكانت فرحتهم بعودة الكلب الضال كبرى ولكن السؤال الكبير كيف اهتدى إليهم مكسور الجناح ولم يسعفه النباح... والدمع من عينه قد ساح. وبقيت هذه الحكاية تتبادلها الألسنة فهل لنا أن نضعها في خزانة الذكرى... وأطفالنا لمثل هذه الحكايا أسرى، والجدات بها أدرى.. قصة وفاء وقد لاقت بين بيوت أهل القرية في الأمسيات مسرى، إنَّهُ كلب العمة وقف بدون نباح، وكل ديك على مزبلته صياح .

المتحدي للمجهول

==========

وهذه حكاية من تراث قريتنا ومخزونها الشعبي من القصص.

ألا إنَّها حكاية قصيرة رواها لنا الكبار وأصغينا لهم يجد واقتدار قالت الجدة خديجة كان يا مكان يحكى أن حواراً وقع بين اثنين عصراً في الحارة قال الأول: أستطيع أن أحمل الحمار وأضعه على سطح المنزل: ثم أنزله فقال الثاني: أجد هذا أم هزل ..؟ وكيف ذلك؟

ومر ثالث يسترق الحديث فأصغى إليهما باهتمام وهو يسوق بالجهد حماره، فاستوقفه الحوار وهو بما سمعه من حديث يُدار ، وبالله قد استجار .. وللحديث لغة ومسار فقال متحدياً الأول: فإن صح ما تقول فهذا هو الحمار. قم وأكمل المشوار.

ورد الأول وقال: سأقوم بذلك، ولما يرى القوم ما سأفعل .. وإلى شجاعتي بالبنان يشار قالت خديجة أخذ المتحدي الحمار ودخل الدار.. والكل بأمره قد احتار .. ثم قصد التبان (أين يوضع التبن) وأرغم الحمار على الدخول فدخل الحمار بدون حياء فسال لعابه لما رأى التبن فأخذ يلتهم منه مما قرب إليه. بينما الرجل المتحدي يجر بالحمار والحمار مغمور الرأس بالتبن، ربما كان يبحث عن حبات الشعير، إلى أن وصلا إلى فوهة (الروزنة) فتحه في السقف يعمل منها على إسقاط كميات التبن بعد انتهاء موسم الدرس والتذرية. ثم صعد المتحدي السقف من الروزنة وشد الحمار من (الرسن) وما هي إلا لحظات حتى وصل الحمار إلى سقف الدار وسلطت عليهما الأضواء ... نظر من كان على السقف من حمام.

وأخذ المتحدي يلوح بيده يرد على تصفيق المارة.. والحمار يرفع أذنيه وقد أصابته الدهشة ثم راح ينهق نهيقاً مستمراً وكأنه يقول شكر لكم. ثم هز جسمه هزة طيرت ما علق من تبن. وهنا أصغى المتحدي إلى نداء من الأسفل يقول له .. أعد الحمار إلى الأرض. لقد انتهى نصف العرض ونحن ننتظر العرض القادم.

فكر المتحدي بالأمر بينما كان يقوم بعرضه أمام الجمهور .. فسمع من كان في الدار حركة على السطح غير عادية. فاستطلعوا الخبر .. وقال احدهم من هناك؟ فاختفى المتحدي وراعهم أن وجدوا الحمار على السطح بين جيئة وذهاب يشم أطراف السقف يقتلع الأعشاب.

أما المتحدي: فأخذ يفكر بالأمر بعد أن اكتشف أمره بسرعة فكر بالدرج جرَّ الحمار إليه وأخذ ينزله درجة بعد درجة وهو يخشى أن يمسك بالجرم المشهود. ولما وصلا الأرض ترك العنان

للحمار. ولاذ المتحدي بالفرار مختبئاً عن الأنظار وأسدل الستار على المشهد الثاني من حكاية التحدي.

ونهق الحمار عندما لاذ بالفرار إلى أقرب مرعى وهو إلى العشب يسعى. وهنا أسدلت الجدة البرداية على هذه الحكاية وفاز الفتى بالتحدي أمام أصدقائه ومن القرية كثيرون لا يعرفون من هو بطل هذه الحكاية وغرق الجميع في ضحك وهم يشهدون خاتمة التحدي وكأن الحمار كان يقول للفتى ما بدي (لا أريد) ما بدي لقد أغريتني بتبن يطير وأنا أريد حبات الشعير.

التحدي في جورة النحلة

هذه قصة انطلقت من الذاكرة كانطلاق الخيل في حلبة السباق.. تروى لصغار فيركبون جناح الخيال إلى هاتيك البقاع يأخذون شجاعة الكبار وإنها قصة من بلدتي حكاها لنا الكبار.

المكان مغارة جورة النحلة، وأحداث القصة وقعت داخل المغارة وأما زمان القصة أيام العز في فلسطين في أحد أيام الشتاء ليلاً والبطل في هذه القصة هو فايز مصطفى حسين أشقر وكنيته (أبو أسامة) والشخصية الثانية التي حاكت أحداث القصة رشيد ذيب الحاج وكنيته (أبو سمير).

لقد جرت العادة عند مربي قطعان الأبقار والأغنام والماعز في بلدتنا أن يلتزم الراعي بأخذ القطيع صباحاً ليرعَ حتى قبيل العصر وعندما يحل العصر تقريباً يرجع بالقطيع ليرد الماء من رانات العين أي أحواضها، ثم تأخذ تلك قسطاً من الراحة في مراح لكنها لا تتوقف عن الاجترار بينما ينهمك الراعي في أخذ شبابته ويترك للوادي أن يردد أصداء تلك الأنغام في عزف قاصداً كل وصف وعجزت ريشة رسام أن ترسم لوحة لذلك المشهد البديع الذي يتكرر كل يوم بنظام بل تقف القوافي عاجزة عن نظم أبيات ترسم صورة المشهد الذي عاش في ذاكرة كل سموعي وعندما ترسل شمس الأصيل جدائل من تبرها على الجبل الغربي... وتشرع الطيور إلى أن تأوي لأعشاشها عادت القطعان إدراجها إلى زرائبها بإمرة الراعي والكلب حارس أمين يعيد كل قاصية إلى القطيع إن تحدياً وقع من شباب القرية فهم يبحثون عمن يأخذ القطعان إلى المراعي ثم يأوي بها ليلاً إلى أحدى المغائر. وعلى الراعي أن يتزود بزاد من طعام كافٍ له طول مدة الإقامة. فوقع الاختيار على مغارة جورة النحلة وكان بطلاها في التحدي فايز ورشيد.

وصل الرجلان المغامران إلى مغارة جورة النحلة في الشتاء يأويان مع القطيع إلى المغارة وإذا ما حل الليل وأسدل على الكون سدائل من ظلام يدخلان مع القطيع إلى المغارة وقد تكرر ذلك

بسلام ولكن اليوم حدث ما أوقع الرجلين في حيرة من أمرهما رفض القطيع الدخول وكلما دخلوا المغارة أمتاراً عادوا إلى الوراء متراً.

وقررا أن يشعلا نار المساء بحزم يابسة من الأندول (شجر له شوك وزهر أصفر) وإذا يبس كان سريع الاشتعال.

نظر فايز حوله بعد أن اشتعلت النار وجال بنظره في أطراف الكهف، وإذا به يرى عينان تلمعان لحيوان مفترس لم يعرف نوعه، منبطح على الأرض يراقب المشهد بحذر، توقف فايز عن النظر وفرك عيناه فاكتشف أنه ضبع من الحجم الكبير يرغب بالخروج ليلاً بحثاً عن فريسة ولكن منافذ المغارة قد سدت أمامه، وامتلأ خوفاً لما رأى النار أضاءت المكان وسن للهجوم أسنانه، وكشر عن أنياب حادة، ونهض من نومه ونفض جسمه وجعر جعرة رددت المغارة أصداء لهذا كأنها الزلزال فتدافع القطيع، وعندما تلقى الكلب الإشارة بآذانه استعد لمعرفة الخبر وأخبر فايز رفيق التحدي بما رأى, واستدار رشيد فجأة ليعرف الخبر ويأخذ الحذر ولما رأى رشيد بكلتا عينيه ما رأى فايز. تسرب الخوف إليه وأراد الانسحاب لنجاة من أي باب لكن التحدي دفع فايز وقرر مهاجمة الضبع بشهاب فتراجع الضبع بحثاً عن سرداب إلى أن اصطدم بهيكل المغارة ولم يلوي على شيء ليقوم به دفاعاً. لكن رشيد بلع ريقه وفرك عينيه وسد أنفه ثم تحول التحدي إلى قذف الضبع بكتل من جمر ومشاهيب كأنها معركة بالمجانيق.. قد شجع لها رشيد وبعد أن قام الضبع ضرب أخماساً بأسداس. يود الخروج من الكهف مهما تكلف الأمر وتسلح الرجلان بمشاهيب دفاعية بدل الهجوم. فقام الضبع بقفزة واحدة من فوق مشاهيب الرجلين وإذا بالضبع قد صار خارج المغارة وقد نجا بجلده من هذه الغارة وبقايا القطيع لاذت بالفرار والتصق بعضها ببعض تبحث عن قائد لها فلملمت نفسها وعادت لتأتمر بقوانين الراعي فاستجابت ودخلت الكهف... وناموا جميعاً نوماً هادئاً بعيداً عن خطر الضبع وبلل الأمطار وأخذت ألسنة اللهب من جديد تلعلع وتضيء المكان وضحك فائز ورشيد حتى شبعا ثم غطا في نوم عميق بلا منغصات لا من حيوان أو رقيب وبعد أن عادا للقرية قصا الحكاية وأعجب من سمع بهذا التحدي وفاز الرجلان بإعجاب أهل القرية كباراً وصغاراً، هذه لوحة أعجاب أردت أن تحكى لكم وفيها من الدروس والعبرة للأجيال فهل نجد من مقارنة بين لوحات (الكابوي) رعاة البقر بالغرب وبين هذه اللوحة من الشرق عند مربي القطعان في بلدتنا لا مكان فيها لنار من المسدسات، على ظهور الخيل.

أو العربات، بل النار من المجانيق والمشاهيب والدخان الذي حلق في زوايا الكهف فسد الأنوف وحجب الرؤية، وانتزع الرجلان من أهل البلد الإعجاب... والعبرة أن أبناء هذه البلدة يعرفون أرضهم شبراً شبراً ويحمون قطعانهم من المفترسين مهما طالت للمغيرين أظافرهم ودقت أنيابهم. فهم حماة لأملاكهم وصارت هذه الحكاية، والتي انتزعناها وأعدنا سردها من المخزون الثقافي لأبناء قريتنا وقد أصبحت أغنية على كل لسان عند العجائز من النسوان حكاية تزرع في قلوب الأحفاد الشجاعة والاطمئنان، ويغرب من سماء حياتهم الخوف والأحزان وعندها يشعرون أكثر بالأمان... أنها حكايا واقعية... ما زالت في شبكة الذاكرة واليوم نثرت كنانتي فاخترت من هذا المخزون حكاية وقد قصصتها من البداية إلى النهاية، عايشت الحدث وأعدتها على أوراقي كما سمعتها، لم أفلفلها كما بفعل مخرج الرواية.

ما أجمل الدفاع عن الحياض...! دون خوف من سيل فياض... أو عدو يهدد الحياض ففي هذه الحكاية درس وغاية.

أنها قصة ودرس، قصة من الماضي السعيد إلى مستقبل جديد خذ شجاعتك من عبر الماضي ودروسه، ومن حكايا الأجداد لأنها زاد لنا وغايتي: أن تتذكر أن لنا أرض في قريتنا علينا أن نذب عنها ونحميها، كما فعل رشيد وفايز في الدفاع عن المغارة.. والقطيع ووقفا كالطود الشامخ بوجه كل غارة ولم ينسحبا من المعركة من قبل أن يعطيا لنصر أمارة، وعاد النظام للقطيع بعد فوضى البحث عن القائد، وأخيراً يأتمر القطيع بأمر الراعي، ويستتب النظام في الكهف وينام الجميع بهدوء تحت السقف بعيداً عن أي زحف.

==========

كـــوميـــديـــا

كوميديا على موقف البوصطة (الباص)

وشاهد الصبية منظر سماء بلدي وقد عجت بالطيور من كل الأنواع تقطع المسافات مهاجرة أو عائدة من مهجر... قرب البستان ألتم الصبية على العبارة يجلسون وبخرير الماء يستأنسون وقد طال بهم الوقت وهم ينتظرون لكن أحاديثهم أنستهم طول الانتظار على موقف البوصطة.

غداً يوم الجمعة واليوم سيعود الدارسون من مدارسهم، وانضم إلى الجميع من شكلوا فراراً من المدرسة فكانوا أول الواصلين من شمال الطريق، ثم أطل من بعدهم من كانوا بالصفصاف أو ميرون من براعم العلم يقطفون فهذا محمد خير وعلى كتفه شنطة من القماش وقد دكت بالدفاتر والكتب، وعلى خصره بقايا زوادته أما علي الظاهر فقد أقبل مهرولاً فرحاً بالعودة إلى القرية، وإلى بيادرها ليلعب لعبة الحج أما محمد خير فقد كان على موعد مع البستان ليسقي المساكب العطاش.

مضى الوقت على العبارة سريعاً لأن أوقات الفرح باللقاء تمضي سريعة، وعلا صوت لجسم قادم من أحد الكواكب، إنه باص أبي عثمان يحمل على متنه الأصدقاء والخلان، زامور أزعج المنتظرين وطار الحمام في السماء من الزامور فارين عِنْدَما توقفت الحافلة (الباص . الحافلة) وهدأ رعدها وتطاير دخانها واطمأنت القلوب بقدوم كل محبوبة ومحبوب.

صمتٌ عمَّ المكان وصعد المعاون ظهر الحافلة، والسائق يراقب عمله بعين ساهرة، فهذا صالح يغادر البوصطة وخلفه صلاح ثم نايف قادمون من المنزل بصفد إلى أحلى منزل في عروس المنازل السموعي.

وكان في استقبالهم على الرصيف رقم 1 من الأصدقاء والأهل والأقارب مصلح وفوزي وفايز وغيرهم مما أسعفتني ذاكرتي من تذكرهم، وانزل المعاون أول حقيبة وتقدم صاحبها ليستلمها فانفتحت في

الهواء وتدفقت منها الملابس والغيارات فأخذ صاحبها يلملمها، ثم قال له أنزل كيس الحلويات من النقل فألقاه فانفتح فم الكيس وتناثرت حبات السكاكر على الطريق أباديد فاندفع الواقفون في لملمة ما تناثر منها وصاح طالب آخر وأين حقيبتي فقال المعاون إنها هنا أخذ يفك الحبل وينزل الحقيبة التي ظهر عليها خط من الحبل عند الشد. ثم قال له وعلبة الهريسة.

فاخذ المعاون يبحث عنها بين هياكل الحقائب بينما سال لعاب المنتظرين وهم يقولون الهريسة أطيب من الأطين. وقال مصلح ألقوا القبض على اللزاقيات وارموا بها في تتكة المهملات. أما الطالب الثالث فقال وأين حقيبتي، فبحث عنها المعاون ولم يجدها بين بقية الحقائب فصعد صاحب الحقيبة وأطل على السقف فلم يجدها، فقال أبو عثمان... نرسلها لك في الرحلة القادمة أعطيني عنوانك بدقة. إن شاء الله ستصل إلى باب دارك. فأخذ الطالب يندب حظه العاثر، نزل المعاون ودخل البوسطة وأخذ يتفقد الركاب وتبعه السائق... ثم قال المعاون حَرِك أدخل يا معلم حرك إلى حيفا عروس البحر المتوسط قفل الباب بسرعة على أصبع أحد المنتظرين فصاح. ونادى بأعلى صوت ركض كل من كل مكان قالوا وقف بصوت واحد أفتح أفتح الباب فتح الباب وكانت يد الفتى سليمة.

حرك السائق المحرك فاخذ يرتجف المحرك ثم انطلق ومن خلفه مدخنة من الدخان، فحلقت أسراب الحمام مذعورة وانطلق الباص متمايلاً على الطريق وهنا أقبل بعض المستقبلين عن طريق البطحة متأخرين فمنهم من أتى راكباً أو ماشياً. واختلفت وسائط النقل لطلاب القرية التي سيركبون عليها بين البغال والحمير. وعندما ركبوها ركبوا المرحلة الثانية من الرحلة كانت أرجلهم تجر على الأرض وتقوص ظهر الراحلة. أنهم يصعدون إلى عروس المنازل، ضيعة يحلمون بالعودة إليها، ما أروع ذلك اللقاء وما أقسى الحياة إنَّها حلوة لأنها على أرض البلد فما أحلى الرجوع إلى البلد... والطريق يحتاج إلى صبر وجلد.

وأنهى مصلح كلامه قائلاً: ما أجمل أن تكون من ضيعتنا وتنتظر مثلي بعيني فتى من القرية ينظر إليها من بعيد بعيني أهل القرية.

ألف تحية لهؤلاء الطلاب فقد كانوا فيما بعد الآباء ونعم الآباء الذين اقتحموا العالم من كل الآفاق يبحثون عن العلم والأرزاق. فالظلم في هذه الدنيا أصبح لا يطاق وحلمهم بالعودة إلى فلسطين ما زال يراودهم في كل مكان.

==========

كوميديا في كتّاب القرية

قصة أخذت أحداثها من كتاب القرية لكني انتزعت تلك الأحداث من ذاكرة الأيام بعد مرور تلك الأعوام... وقد تناثر كل تلميذ سعى يوماً لتحصيل منه في هذا العالم وقد هام أو طوته ذاكرة الحياة فأخذ يصعد سلم الحياة فخفته وراء غبارها، وطوته كطي النسيان، وتلميذ آخر وصل قمة هرم الحياة وبدأ ينحدر من الطرف الآخر فسقط وقد طواه الموت فغاب إلى الأبد عن الحياة وقد ترك وراءه ما لا تنساه الذاكرة ولا يختفي تحت غبارها.

أما الزمان: فهو منتصف العقد الرابع من القرن العشرين.

والمكان: يدور في باحة الكتاب وقد طالت واتسعت وقد غاب سورها عن الوجود، فكانت باحته في الهواء الطلق لا حدود لها والتلميذ يمارس أول حق من حقوقه بالحرية في الدخول للكتاب أو عدمه بلا رقيب، باحة لم يسمع بها جرس يدق بل صوت المربي كان يصل إلى كل آذان... وهكذا كان المكان في القصة.. ولكن الكتاب قد شارك في نسج الأحداث فاتسع المكان مع الأحداث وشارك في صنع الحدث.. فشرعت في لملمة تلك الأحداث والكتاب في قرية السموعي فيه نسعى إلى إعادة صورة من صورٍ عاشت في الذاكرة...

فإذا ملأ ضوء الشمس حارات القرية، واخذ نسيمها يطاردُ كالخيل بين الأزقة ما كان مصلح ليرى ذلك النسيم بل رأى الزوابع بين الحارات وحرك النسيم رؤوس الأشجار فمالت فعرف أن النسيم موجود وكذلك الهواء رأى آثاره ولم ترصده عيناه لأن الهواء لا يرى. وشاهد رفيق الدرب عارف بركة ماء ما زالت من بقايا الشتاء فألقى عارف بها حجراً فرأى في الماء دوائراً. فسأل وليداً عنها فقال وليد أنه انتقال الصوت نرى أثاره في الماء يشكل دوائر. فأبدى مصلح سروراً مما سمع وقال هذا درس لنا قبل أن نصل إلى الكتاب. وهنا طرح مصلح على صديقيه لماذا نرى البرق في الشتاء قبل صوت الرعد؟؟ تحمس الصديقان للإجابة لكنهما ما توصلا لها وبعد تفكير وإطالة اقتربنا من حدود الكتاب وإذا بسلمان يقف منتظراً موعد الدخول. فطرحنا عليه السؤال نفسه. فقال سلمان أن سرعة الضوء أسرع من سرعة الصوت لذا يرى البرق في الشتاء وبعد ذلك يصل صوت الرعد فسر مصلح من سماع الجواب الصحيح.

وأحس بثقل في حقيبة القماش فأسلمها إلى الكتف الآخر ونظف حلقه ومسح أرنبة أنفه كان التلاميذ قد وصلوا كتاب القرية تباعاً. وما هي إلا دقائق حتى سمعت من آثر دخول الكرم المجاور ليشكل فراراً من الكتاب فتنقضي ساحبة النهار ثم يعود إلى البيت وكأنه عائد من كتاب القرية.

وأمضى وقته في أكل التين. آه..! مصلح وبقية الرفاق آثروا دخول الكتاب بِلَوْحٍ وكتاب وفجأة فتح باب الكتاب وطلع منه المربي كريم أبو جبر هو معلم في الكتاب... أول مركز ثقافي في القرية بعد المضافة.. خرج المعلم مقطب الجبين عريض المنكبين وقد خط الشيب في شعره ويحمل في يده عوداً من الزيتون طويل أخذ يتجول أمام الكتاب ويضرب قنبازه بالقضيب ويأكل بيده الأخرى حبات من الزبيب ولما انتهى من ذلك أدخل يده في جيبه فأخذ شيئاً ما فإذا هي بذور أخذ يفصفصها وينثر القشر على

الجانبين. فوصل الخبر إلى طيور الحمام فزارت باحة الكتاب وراحت الطيور ترعى وتلتقط الحبوب وموعد الدرس بعد لم يحن ودخلت العصافير على الخط وفجأة صار الوقت (الضحى) فقرع الباب بالقضيب فكان هذا جرس الدخول باختصار لا يطول لكن عدد التلاميذ قد تبخر فدخل من دخل وانسحب من الميدان من انسحب ممن آثر اللعب بالكرم بكرنا لأننا لا نعرف الوقت، وليس في أيدينا ساعة لضبط الوقت ومعرفته.

فدخل مصلح وسامي وسلمان وعارف ونمر وغيرهم من الذكور والإناث لم تسعفني ذاكرتي بذكر أسمائهن فقد تناثر أبناء بلدتي في هذا العالم كتناثر العقد أباديد أنساني تلك الأسماء وبعد عني بهم اللقاء فهم في لبنان يعيشون وأنا في دمشق الفيحاء.

أخذ التلاميذ في كتاب قريتنا عند الضحى يقطفون من براعم العلم باقات أخذنا الأرض جلوساً على حصير من سعف النخيل داخل غرفة هي الصف لم نجد على جدارها سبورة للكتابة لكن الجدار ازدانت في فتحات اسمها نوافذ تسمح بتجديد الهواء أو سماع أصوات الزملاء في الخارج ممن أتعبهم اللعب، أو صوت صهيل لحصان عربي أصيل... وتلك تسمح بدخول الهديل إنها طاقة تسمح لنا بسماع الأرجوحة وقد أخرجت لها صريراً فوصل الصرير إلى مجالس التلاميذ على الحصير فانقطعت سلسلة الأفكار وانهار ما بناه المربي من تركيز منذ ضحى هذا النهار.

جدار الكتاب لا يحمل خارطة ولا حتى وسيلة إيضاح لتساعد المعلم على الشرح والإيضاح.. والجلوس هنا على الحصير لا على المقاعد والمربي يجلس في صدر المجلس على (أصة عالية) ويسند على الجدار مساند لا لتلاميذ بل لضيف الزائر وفي تعليمه يبدأ من الجزء إلى الكل والعصا في يده تصل لداني والقريب في طوافها فوق الرؤوس... وفجأة يطرق أحد المساند فتعيد من خرج عن الدرس إلى الدرس، والقلب من صوت المؤشر يهتز وتلميذ ضعيف القلب على أسنانه خوفاً كز ومن مكانه فز. وفي تعليمه بمزج بين الفصحى والعامية فهو إلى العامية في تعليمه أميل. وفي توزيع أسئلته لتلامذته للعدل أشمل وفي تعليمه يكرر ويعيد، لا يفرق بين تلميذ مطيع أو عنيد، وكل تلميذ يجب أن يقرأ ثم يكتب ويعيد وإلا أكلت العصا من جنبه الأيمن أو الأيسر سيان. وإذا انتهى من العربية انتقل إلى مبادئ الحساب.

فأي تلميذ لا يهتم بالحساب جمعاً أو طرحاً له العقاب على اليدين بقضيب الرمان ومن كان حافظاً فقد مضت ساعة بأمان. وإذا ما بدأ في تسميع جدول الضرب حمل العصا وجال بين الجالسين وطلب منهم واحداً واحداً أن يسمع له جزءاً من جدول الضرب، فإن كان حافظاً نجا من العقاب، ومن لم يكن حافظاً لجدول الضرب فالعقاب حتماً سيكون بالضرب على الرجلين.. وقد سماها فلقة ولا تسمع إلا الصراخ.... وإذا ما انتهت مواعيد الدرس خرجنا للهواء الطلق لتناول عرائس الزيت والزعتر ولكن أحب الدروس كان درس الأناشيد فشوق التلاميذ في كل يوم للأناشيد يزيد وقد تنوعت الأناشيد عن الورود والياسمين والحصان الأصيل والمحبوبة السمراء فبعضها ما زال حاضراً في الذاكرة إلى يومنا هذا وبعضه الآخر تبخر وطار مع مرور الأيام بلا سابق إنذار.

==========

وإذا ما جاء العصر رأيتنا نستعد للعودة إلى المنازل... وإذا ما خرجنا من حرم الكتاب أطلق كل تلميذ رجليه للهواء دون أدنى انتظار قبل أن ينتهي النهار، فلا مصباح في الطريق يرشد للدار وهنا يقفل باب الصف بلوحٍ من دف. وينتقل المربي من مهنة التدريس إلى مهنة الحلاقة ففي صالون أشبيليا بالهواء الطلق تفتح رغبةً بالتزين. فينتصب في الوسط كرسي من الخيزران... من يجلس عليه لا يشعر بالأمان. ولا تسمع إلا صوت المقص وقد شرع بشعر الزبون قص عن جنب وطرف.. نعم ينسى الزبون ما جرى لشعره عندما فتحت فيه الشوارع وجاءت مكينة الحلاقة على عجل لتخفي عيب المقص في أول المشوار... ثم يُبَلّلْ ما بقي من الشعر بالماء وعطر رأس الزبون بأحسن العطور... ونزع البشكير وينفض الشعر عنه وأخذ الشعر في الفضاء يطير وقال لزبون نعيماً يا عم... وغادر الزبون الكرسي بسلام وقال الله ينعم عليك ويرحم والدينا ووالديك.

ثم قال سجل أجرة الحلاقة إلى موسم الزيتون وقال السلام عليكم، غادر الصالون بأمان، وقرر العودة إلى البيت.. لكن المشهد الثالث استوقف مصلحاً.. إذ سمع أنيناً من حوله... فاستوقفه الأنين.... وراح يراقب المشهد... فجلس الزبون على نفس الكرسي وشكا للحلاق بعبرة وألم ففتح الزبون فمه وأدخل الحلاق في فم الزبون كماشة... وراح يشد ويسحب والزبون يشتد ألماً ويغضب وتبلل بالعرق.... وإذا بالكماشة تلقي القبض على ضرس الزبون بالجرم المشهود في عناق مع السوس... ثم قال الحلاق: أطلع يا منحوس...

تسرب الخوف إلى الطفل مصلح وقال وهو يغادر المكان (يَمّا) يا أماه والله عشنا وشفنا كنا نحلق صرنا نقلع أضراس.... شوفوا يا ناس الأفضل أن يكون للمرء اختصاص... ثلاث بطيخات في يد واحدة وهذه كرسي الحلاق على الأمر شاهدة إذا كنتم بحاجة أعزائي القراء إلى شاهد..

◈ **وفي الختام:** ألف شكر للكتاب بقريتنا فقد وضع الأطفال في المركبة على سكة المستقبل وبدأ القطار يسير إلى الأمام لنتحرر من الأمية... وعبد أمامنا الطريق وأنَارَ العقول فألف تحية للبطل المجهول معلم الكتاب فارس العلم في بلدتنا الأخ كريم أبو أحمد (أبو جبر) فألف شكر يا شيخنا الجليل ومرشد الأجيال إلى العلا...

ومضيء مصابيحه فكم من طالب تخرج من الكتاب حقاً إنه معلم القرية وقد صنعت السنون أخاديد وأتلام في وجهه تنم عن كبره وشقائه في حياته ونادراً ما تظهر الابتسامة على شفتيه ومن ينكر فقد لعبت الكتاتيب دوراً كبيراً في حياة الطلبة... كأحمد أمين... وطه حسين وغيرهم كثير ثم دخلوا إلى المدارس وبيدهم اكبر سلاح وتنقلوا حسب مراحل التعليم..

وخلاصة القول من علمني حرفاً كنت له عبداً... وحكاية الوليمة التي دعا إليها هارون الرشيد علماء بغداد معروفة لما قام الخليفة بعد انتهاء الوليمة فصب الماء على يدي من كان مؤدبه عندما كان صغيراً.. تقديراً لأرباب العلم.. وما أنسى لا أنسَ ابتسامته عندما يتقاضى أجره عن كل تلميذ قدم له يوماً حرفاً.. وشكر كبير لكتاب القرية..

==========

Food From Samoui

* مأكولات من السموعي

* وصايا للآكلين.....173
* مأكولات من تراث السموعي.....176

فهرس المأكولات من مطبخ السموعي (حسب الحروف الأبجدية)

1 بامياء
2 خبيزة
3 خبيزة بالبرغل
4 رز مفلفل
5 روستو
6 رشتة بالحليب
7 رشتة بالعدس
8 شومر
9 شومر
10 الشوش برك
11 شيخ المحشي
12 شيخ المخشي
13 صيادية سمك
14 صواني بطاطا باللحم، أو الدجاج
15 ضلعة
16 طاجين السمك
17 علت (هندية)
18 عكوب (محيوس)
19 عكوب باللبن
20 فاصوليا
21 الفول الأخضر المقلي
22 فولية (رز بالفول)
23 فريكه
24 كلخ
25 كوسا وباذنجان وفلفل محشي
26 كبة نية
27 كبة مقلية
28 الكبة بالصينية
29 كبة أرنبية
30 كبة كذابة
31 لحمة بالصحن
32 لسان الثور
33 مجدرة
34 مخلوطة
35 المقلوبة
36 ملفوف
37 منسف
38 منزلة باذنجان
39 منزلة كوسا
40 ورق عنب
41 مفتول

الفطائر ـ والمناقيش

199.....
1* مناقيش
2* مناقيش البطم
3* مناقيش زعتر (فلسطيني)

4* مناقيش فلفل (حلو أو حار) أحمر
5* مناقيش السبانخ أو الفطائر
6* مناقيش الحميض أو فطائر

الزنكل والفطائر
202.....

1* الزنكل
2* الفطائر بالعجين

حلويات أمسيات السموعي 203

1* بحتة (رز بحليب)
2* اللزئيات
3* مهلبية بالحليب
4* مهلبية بالبرتقال
5* البغارير وما يتفرع عنها
قطائف بالجوز أو اللوز أو اللبة (الشمندور)
فطائر عصافيري
6* بسيسة
7* فطاير العيد المجمرة
8* كعك العيد

==========

(6)
مأكولات من السموعي

وصايا للآكلين

◈إذا كانت المطالعة غذاء الفكر فإن المأكولات غذاء الجسم. مآكلنا حملناها معنا عنواناً لشخصيتنا وجزءاً من ثقافة بلاد الشام في المأكولات.

◈إن التغذية الجيدة هي التي تبني الأجسام السليمة، وتكون أناساً يعملون بجد ونشاط.

◈والغذاء السليم يشتمل على كافة العناصر التي تحتاجها أجسامنا ولابد أن تكون متساوية، ولا يتم ذلك إلا في تناول أنواع متعددة من الغذاء.

◈وما أكثر الخضار التي كانت تزرع في ضيعتنا وعمت شهرة فاكهتها.

◈وسوء التغذية يقود الجسم إلى الكسل، وينقص من سنوات العمر وأيامه وتصبح مقاومة الجسم للأمراض ضعيفة فالغذاء السليم يجعل الجسم سليماً.

◈وإذا نزل المرض على جسم الإنسان فلا بد من التداوي فكل داء له دواء وإن المرض هو قدر من الله، والاستشفاء قدر من الله، والبيت الذي تدخله شمس لا يدخله طبب ولم ألاحظ منازل خاضعة لشروط الصحية خلال جولتي في مخيمات اللاجئين في بلاد الشام.

◈ومن أهم القواعد في تناول الطعام:

أن تشرع بما لان، ولا تأخذ من الغذاء إلا بما لزم، وابتعد جداً عن إدخال الطعام على طعام. فنحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا تشبع ألا تقبل على الطعام إلا بعد الجوع والأكل الكثير يضعف الجسم.

◈وعلى المرء أن يحسن طريقة ووضعية تناول الطعام فلا تتناول الطعام وأنت متكئ فيحدث ذلك تقلصات في البلعوم عند الأكل، وحذار أن تأكل متكئاً وأفضل الطرق كما علمنا رسول الله (ص) هي الجلوس عند تناول الطعام وثني الساقين ليتواجد الدم في منطقة الجهاز الهضمي للقيام بمهمته، بشكل تبقى المعدة حرة لا ضغط عليها. أما الحركة والسير أثناء الأكل ويؤدي إلى ذهاب الدم نحو العضلات.

==========

◈ **وعلى الآكلين أن يتناولوا غذاء يشتمل على كافة الفيتامينات.**

◈ **لابد أن تكون الخضار طازجة. وقد كانت في قريتنا دائماً طازجة تنادي على الآكلين.**

◈ **وخير الفواكه ما كان منها طازجاً وحاول أن تحتفظ بالخضار والفواكه الطازجة في مكان رطب مظلم. ولابد من غسلها عند الاستعمال مرة لكي لا تفقد ما بها من الفيتامينات بعد شرائها.**

◈ **لا تغمر طويلاً بالماء بعد تنظيفها.**

◈ **انضجي الخضار سريعاً ولا تظل طهيها لكي تحافظ على ما فيها من فيتامينات.**

◈ **لا تكثري من التحريك إذا لم يكن لازماً.**

◈ **وكلما باتت الأطعمة فقدت قسماً مما تحويه من فيتامينات ولا تسخني الطعام إلا بقدر ما تحتاجين ولا تدخلي ما تبقى منه إلى البراد.**

◈ **إن الفيتامينات بعناصرها العضوية والكيماوية ضرورية إلى نمو الجسم بشكل طبيعي وقلتها تؤدي إلى اضطرابات.**

◈ **أكثر من تناول الطازج. وأكثر من تواجدك في الهواء الطلق ولتكن أشعة الشمس صديقة لك وأكثر من التواجد في الطبيعة وقد كانت مشاهد قريتنا الطبيعية آية من آيات الجمال التي تأخذ بالألباب.**

◈ **على المرء أن يتقيد في مواعيد تناول الطعام وعدم إدخال الطعام على الطعام ولا تملأ معدتك حتى التخمة.**

◈ **ولابد أن يكون النوم حسب حاجة الجسم.**

◈ **ولا تدخل إلى معدتك ما لا تطيقه. التزم بقوله (ص) عند تناول الطعام «ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس».**

◈ **على المرء أن يراعي عدم تناول الوجبات الدسمة ليبتعد المرء عن البدانة التي أصبح هذا العصر يشكو منها.**

وإليكم مجموعة من الأطعمة التي عرفها أهل قرية السموعي... وقد كانت متعددة.. ولم يستطع المحتل أن يدخلها إلى سجن النسيان. بل هاجرت معنا من محطة إلى محطة.

وقد أراد الكِتاب أن يقدم لقراء العربية أنواعاً من الأكلات، وما هي المواد التي تتكون منها وكيف نطهيها وما هي المقادير اللازمة لها، وإن لزم وضعنا الوقت اللازم للإيضاح.

وفي الختام سنقدم أطباقاً من الحلويات التي عرفها سكان السموعي قبل 1948م.

==========

مأكولات من تراث السموعي (بإلهنا والشفا)

مأكولات هاجرت معنا، وأخرى شاركتنا في اللجوء. ما زالت تعيش معنا لأنها جزء من تراثنا ويبدو أن بعضها قد صودر من فوق موائدنا ونسب للمحتل. ومن عجب أن ترتدي ثوباً ليس لك لأن الثوب المعار لا يدفئ صاحبه كما يقول العامة من الناس.

هذه المأكولات سأتناولها لعلها تكون مساعداً لكل فتاة زفت إلى زوجها حديثاً إنها أطباق هي زاد لكل عروس جديدة نقدمها لها في عش الزوجية. فهو المعين الذي يجيب عن كل سؤال من جهة. ومن جهة أخرى يذكر بالتراث وبثقافة المأكولات عندنا فلكل أمة تراثها الذي تعتز به فلا عجب أن تعتز بما يذكرنا بالوطن لأن التراث جزء من هَوّيّتنا. بل هو الذي يذكرنا بالوطن. فلكل أمة لغة وتراث وهذا جانب من تراثنا وإليك قائمة ببعض هذه المأكولات من أم ولدت في السموعي وعاشت ما بين دمشق، والمهجر بالولايات المتحدة.

وعلى إحدى طاولات لولو التقيت بها وأخذت عنها ما يفيدنا في إعداد هذه الصفحات التي تسيل اللعاب وتكرم الضيوف والأحباب.

وَطلبت منها أن تحدثني عن أشهر المأكولات التي كانت تُرى على موائد أهل بلدتنا مما تعيه الذاكرة أو وصل إليها عن طريق والدتها أو العمات أو الخالات أو من الأخوات الكبريات، أو جدات الفضليات.

وأثناء الحوار كنت أدون، حرصاً على أن لا تفلت مني كلمة تخل بهذه الطبخة وكيفية طهيها.

إنها مجمعة مأكولات عاشت بالذاكرة ولم ترفض الهجرة معنا بل لازمت هجرتنا انتشرت في المخيمات لم يعبها تقدم العمر بل تصدرت موائد الفقراء والأغنياء وسار ذكرها في كل الأنحاء. وفتحوا لها المطاعم وأقاموا بها الولائم وشمر لطبخها طباخون من ذوي العزائم... وسيدات فضليات من ذوي الكرائم.. ومن منا لم يتذكر طبخ الأمهات فأكرم بطبخ أمي يذكرني بها... ويربطني بالوطن يا له من طبخ قد نضج في بيتنا الكبير على الموءدة وعاش معنا بالغربة وقاسمنا الانتظار وتقرير المصير وذاق معنا قساوة الأعوام تنتظر قدوم السلام وهل لنا أن نحاكي طبخ الأمهات وعلى المطابخ الفلسطينية تفتح هذه البوابات، أنها مأكولات تُقَدم ذلك إلى أمهات المستقبل وأزاهير الأمل لهذا الوطن من إعداد أبي وسيم وأم سابي.إليكم هذه الأطباق بالهنا والشفا.

بالهنا والشفا

المـأكــولات

المأكولات التي انتقيناها لكم من مطبخ أهل السموعي:

(1) بامياء:

المواد:

بامياء . لحم غنم موزات قطع . فلفل أسمر . ملح . حبات بندورة مقشرة أو مغلي البندورة . بصلة.

المقادير:

1 كلغ بامياء . لحم غنم موزات ½ كلغ . 3 ملاعق معجون الطماطم أو كلغ من حبات البندورة.

كيفية الطهي:

. نقوم بتأميع البامياء (بقطع الرأس).
. اقليها بالزيت العادي بشكل يبقيها القلي على طراوتها.
ـ وضع اللحم بالقدر مع قليل من البصل المفروم وزيت عادي وبعد تقليبه نضيف الماء حتى درجة الغليان لينضج اللحم جاهزاً نضع قرون الباميا المقلية على نار هادئة بعد غلي المرق الأحمر.
. ويمكن تناول هذا الطبق مع الرز وهو الأفضل.

(2) الخبيزة.

المواد:

. خبيزة
. بصل يابس

. زيت زيتون كافٍ.

المقادير:

1 كلغ من الخبيزة . بصلتين . ملح. **الزمن: 20 دقيقة**

كيفية الطهي:

. بعد غسل الخبيزة بالماء البارد جيداً تنشر لتجف.
. تفرم بالسكين فرماً ناعماً.
. فرم البصلة وتوضع في قدر ويضاف زيت الزيتون الكافي للطهي مع التقليب، ثم تقومين بإضافة الخبيزة والتقليب وإعادة التقليب بين الفينة والأخرى حتى تنضج بدون إغلاق القدر لنحافظ على لون الخبيزة الأخضر وينتهي الطهي برشة ملح وفلفل أسمر لازمتين.
ـ وإن رغبت الخبيزة بالبرغل، أضيفي كمية من الماء للخبيزة حتى تغلي وأضيفي كمية البرغل المناسبة أقل من نصف كلغ، حركي، وتفقدي حتى ينضج البرغل انزعي غطاء القدر لتصبح الخلطة وكأنها مجدرة. أثناء القيام بطبخ الخبيزة.

(3) خبيزة بالبرغل:

المواد:

. برغل خشن
. خبيزة: وقد شكلت بسطاً خضراء حول قريتنا
حول القرية تجمعها النسوة وهن يحكين حكايا فلتت من سهرة الأمس.

المقادير:

. ½ كلغ من البرغل الخشن.
. ملح، فلفل أسمر. **الزمن: 15 دقيقة**

كيفية الطهي:

بنفس الطريقة طهي الخبيزة نضيف كمية من الماء حتى الغليان ثم إضافة البرغل مع التحريك القليل بملعقة من الخشب

(4) الرز:

المواد:

رز . ملح . سمن أو زيت عادي.

المقادير:

كأسين من الرز ويقابلهما كأسان من الماء حسب طبيعة ونوع الرز.

كيفية الطهي:

غسل الرز بالماء بعد نقعه بالماء الساخن (15د).

. وبعد ذلك يوضع السمن في القدر وعندما يسخن أضيفي كمية الماء وبعد ذلك أضيفي ملعقة ملح مناسبة وبعد الغليان أضيفي لذلك الرز... وعند الغليان هدئي النار وارفعي الغطاء حتى ينضج الرز... استعملي هداية الرز لا يحرك الرز الأبعد نضجه بشوكة.

. وبنفس الطريقة يطهى البرغل الخشن مع إضافة كمية الماء أكثر فوق كمية البرغل.

(5) روستو:

أكلة شائعة في القرية مرقها حامض لذيذ مثير للشهية وحبات البطاطا سليمة بخديها الموردين يضافان للآكلين شهية على شهية. وهي بلهجة أهل الجزائر بنينة وبلهجة أهل تونس بنة على بنة.

المواد:

بطاطا 2 كلغ . لحم غنم موزات أو فخذة 1½ كلغ . ليمون قطعة . ملح . فلفل أسمر.

كيف نعد الروستو:

ـ نقشر حبات البطاطا التي وقع عليها الاختيار وتبقى من النوع الوسط حبة على حالها ثم تغسل.

. قلي اللحم بزيت عادي مع التقليب ويستحسن قلي البطاطا أول ثم اللحم.

. عصر 3 ليمونات.

. قلي حبات البطاطا مع تقليبها.

تطبيق الطبخة:

وضع اللحم في القدر أو الصينية وإضافة الماء اللازم وبعد الغلي تضيف حبات البطاطا وإضافة الملح والفلفل الأسمر اللازمين وقبل نضج الطبخة نضيف لها عصير الليمون وعلى نار هادئة جداً يتم الطبخ.

كيف تقدم:

تقدم مع طبق من الرز أو بدونه وهي مع الرز أفضل.

(6) رشتة بالحليب:

وهي من أشهر حلويات المساء وهي كثيرة الطهي نظراً لوفرة حليب الغنم في قريتنا.

المواد:

العجين لصناعة شرائح الرشتة كمية مناسبة . حليب 1 كلغ . سكر كمية مناسبة حسب رغبة الحلاوة.

وكيف تعد الطبخة؟

. غلي الحليب على نار هادئة حتى لا يشوط (يحترق) لدرجة الغليان.
. إضافة شرائح الرشتة التي أعدد صنعها حسب الطريقة الآنية.
. وبعد الغليان وتضيف كمية السكر اللازمة مع التذوق لتأكد من رغبة الحلاوة المرادة.
. إضافة الشرائح بطول الخنصر.

كيف تقدم؟

. تصب في أطباق ثم تقدم باردة لأفراد الأسرة.

(7) رشتاية بالعدس:

وهي من المأكولات السموعية الشهيرة نظراً لكثرة العدس الذي زرعناه يوماً بأيدينا وهي من أكلات الشتاء لأنها دافئة.

المواد:

عجين . عدس وبعد السلق ليكون جاهزاً . ملح . دبس رمان (أو) سماق.

كيف تعد الطبخة؟

. نقوم بفرد العجينة بواسطة الشوبك والطحين.
ـ طي العجين الممدد عدة طيات مستطيلة مع وضع الدقيق بين كل طية وأخرى لكي لا تلتصق الشرائح بعضها ببعض.
. القيام بتقطيعها شرائح قليلة العرض وقد ظهرت آلة تقوم بتقطيع الشرائح.

- بعد سلق العدس نضيف دبس الرمان والملح اللازم وقبل أن ينضج العدس تضاف شرائح العجين التي أعدت سابقاً إلى السائل حتى درجة الغليان وبعد الغليان نخفض درجة الحراري ليتم النضج بهدوء.
- تحضير الأفرة: بقص البصل جناحات ثم يقلى بزيت عادي ويضاف للأكلة.. وبعد قليل تقدم للآكلين.

وكيف تقدم؟

تقدم بطبق عميق ثم تقوم سيدة المنزل بتقديم خدمات صب الطعام لأفراد الأسرة وتأكل بالملعقة بدون خبز.

(8) سميدة حمراء

المواد:

برغل خشن رقم 2 . زيت زيتون . بصلة واحدة . معجون بندورة . أو حب بندورة (مقشر) ومعصور.

المقادير:

½ كلغ

كيفية الطهي:

- فرم البصلة ناعم.
- وضع زيت الزيتون اللازم وتحميص ذلك قبل احمرار البصل أضيفي الماء عند الغليان أضيفي معجون الطماطم وعند درجة الغليان أضيفي البرغل على نار هادئة حتى (يَتَنَبَّت).

(9) شومر:

المواد:

شومر . زيت الزيتون . بصلة أو بصلتين . عدس . ملح .

المقادير: **الزمن: 15 دقيقة**

1 كلغ من الشومر

½ كلغ من العدس

كيفية الطهي:

. غسل الشومر الأخضر.
. فرم الشومر ناعماً.

. فرم البصل، أضيفي زيت الزيتون وقبل الاحمرار أضيفي الماء.

ـ انتظري درجة الغليان أضيفي كمية العدس بعد غسله قبل أن يجف الماء وينضج العدس بقليل. ويمكن سلق العدس لوحده، ثم إضافة

. أضيفي كمية الشومر حتى ينشف الماء وينضج الطبق.

(10) الشوش برك:

المواد:

دقيق . وفلفل أسمر . ماء لحمة غنم مفرومة . بصل . لبن . زيت عادي للحشوة . زيت نباتي.

المقادير:

½ كلغ دقيق . ½ كلغ من لحم غنم مفروم . 4 بصلات . 1 كلغ من اللحم (حسب العائلة) . كمية مناسبة . ملعقة ملح وقليل من الفلفل الأسمر.

كيفية الطهي:

. القيام بعجن الدقيق بإضافة الملح اللازم والماء تنتظرين بضع دقائق بعد أن نغطي العجن.
. نقوم بتحضير الحشوة.
. بفرم البصل وضعه مع اللحم وزيت الزيتون على النار مع التحريك.
ـ تقوم باستعمال الشوبك في مد العجن وبعد ذلك نصنع منه أقراصاً دائرية باستعمال فنجان أو شكل مماثل من اللدائن (البلاستيك).
. نرش الصدر بالدقيق ونضع عليه أقراص العجين الدائرية ثم نحضر الحشوة بفرم البصل ونضيف الزيت واللحم المفروم حتى تنضج على نار هادئة ونضيف إلى الحشوة الملح والفلفل الأسمر اللازمين.
. نضع في كل قرص كمية من الحشوة ثم نقفل بطي دائرة العجين إلى نصفين باتخاذ قطر الدائرة سبيلاً لذلك ثم نطويها طية أخرى لتخرج وكأنها تشبه الصدفة وهكذا دواليك حتى تجمع الأصداف.
ـ ثم نقوم بتحضير اللبن على النار إضافة قليل من الماء وتحركيه مع ذائب النشا تتابع التحريك حتى يغلي وقبيل النضج بقليل.

- نقوم بوضع حبات الشوش برك في اللبن الذي يغلي على نار هادئة ننتظر حتى ينضج العجين.
- عندها يسكب في صحون جاهزة لتناول يطلب بارداً أو ساخناً.

(11) شيخ المحشي:

المواد:

باذنجان بلدي صغير 1.5 كلغ . لحم غنم مفروم ½ كلغ . بصل 3 رؤوس . زيت قلي كمية مناسبة . معجون بندورة كمية مناسبة أو حب البندورة (الطماطم) المقشر.

كيف نعد الطبق:

- نقشر الباذنجان ونجعل بجانبه فتحة.
- يفرم البصل صغيراً.
- تكوين الحشوة بعد قلي اللحم والبصل بقليل من الزيت حتى يتبدل لونه ونضيف له الصنوبر المقلي والفلفل الأسمر وكمية من الملح اللازم.
- نقوم بحشي الباذنجان بالحشوة.
- ثم نقليه قليلاً.
- نضع الباذنجان في دبسية ونضيف ماء الطماطم (دبس البندورة) بعد تذويبه أو شرائح البندورة مع قليل من الماء.
- ويتم الطبخ على نار هادئة حتى ينضج.

كيف تقدم؟

يمكن أن تتناول بجانب الرز المفلفل.

(12) شيخ المخشي:

المواد:

كوسا صغيرة 1½ كلغ . حشوة (لحم غنم وصنوبر) وقد أعدت سابقاً . لبن ونضع منه فقاعية 1.5 كلغ.

كيف نعد الطبق:

. نقر (حفر) الكوسا كمية قليلة من لبها غلسها ثم نحشيها بالحشوة.
. قلي الكوسا بزيت عادي.
. تقلى بزيت حتى يتبدل لونها قليلاً.
. إعداد اللبن بطبخه كما سبق ذكره.
. ثم نقوم بتسقيط الكوسا لتتضج على نار هادئة.

كيف تقدم:

تأكل مع طبق آخر من الرز أو البرغل، ولكم الخيار.

(13) الصيادية:

أكلة معروفة في قريتنا مادتها الأساسية هي سمك المشط وتكثر هذه الأسماك في بحيرة طبريا.

المواد:

سمك 2 كلغ . فلفل أسمر . ملح . بصل . 4 حبات ليمون حامض .

كيف نعد الطبق:

. تنظيف السمك وغسله بالماء البارد. ثم تقومين بتصفيته.
. إضافة الملح والفلفل وشرائح الليمون الحامض مع الخلط.
. قلي قطع السمك وهناك من يقلي شرائح البصل قبل قلي السمك.
. غسل الرز بالماء البارد.
. تقشير البصل وتقطيعه شرائح قليلة قليلاً.
. وضع طبقة من الرز والبصل وفوقها طبقة من السمك.
. إضافة كمية من الماء اللازمة لإنضاج السمك والرز.
ـ وضع القدر على نار هادئة وبعد الغلي نخفف درجة الحرارة حتى ينضج السمك والرز.

كيف تقدم الصيادية؟

. توضع في صدر بعد قلبها.
. توزيع الصيادية على الأطباق.

==========

(14) صواني البطاطا:

شائعة الانتشار في قريتنا فالبطاطا متوفرة بسبب إنتاجها المحلي ويمكن الحصول عليها في موسم قلعها من إحدى الحواكير المحيطة بمنازل قريتنا والكميات المتبقية للمونة تخزن لحين الطلب.

المواد:

بطاطا ½ كلغ. أو أكثر، حسب العائلة.
لحم غنم شقف 1 كلغ.
أو لحم الدجاج: قطع صدر أو أجنحة أو دبابيس حسب رغبة الطاهية ويمكن إضافة الزيت والخل لها ونقعها قبل القيام بإعدادها بساعات . ملح . فلفل أحمر . شرائح بندورة وليمون.

كيف نعد الصينية:

. نقشر البطاطا وتغسل وتقطع الواحدة نصفين.
ـ توضع البطاطا في الدبسية مع قليل من الزيت العادي والملح والفلفل اللازمين.
. إضافة قطع الدجاج . أو اللحم . بعد خلطها بإضافة شرائح البصل.
ـ نزينها بشرائح من البندورة وأخرى من الفلفل الأخضر الحلو أو الحار حسب الرغبة مع قليل من الماء وشرائح البصل مع رشة من الملح والفلفل الأسمر وإضافة كأس من الماء.
. وضع الصينية بالفرن الذي أعدت تحميته مسبقاً ومراقبة ذلك بين الفينة والأخرى حتى النضج.

(15) الضُّلَعَة:

المواد :

نصف خاروف (صدر) شقة . رز ½ كلغ . لحم غنم مفروم ½ كلغ . صنوبر مقلي كمية مناسبة . زبدة كمية مناسبة.

كيف نعد الطبخة؟

. نقوم بفتح الشقة فتحة جانبية استعداداً ثم نحشيها بالحشوة.
. تكوين الحشوة.
. غسل الرز وسلقه.. تصفية الماء قبل نضجه.
. إضافة اللحم بعد تقليته بكمية من السمن.
. إضافة الصنوبر مع التخليط وإضافة ما يلزم من ملح وفلفل أسمر.
. ثم تحشى الضلعة بحشوة الرز.
. قلي الضلعة مع التقليب.
ـ وضع الضلعة على نار هادئة حتى تنضج إلى أن يتناقص ماؤها مع التقليب.

كيف تقدم:

تقدم لأفراد العائلة في صدر ثم نقوم الأم بتوزيع أجزاء منها مع حشوة الرز على أطباق الآكلين.

(16) طاجين سمك:

نضيف إلى السمك المقلي البصل جناحات ثم نقوم بإعداد كمية من الطحينة بإضافة حمض الليمون وقليلاً من الماء وخفق ذلك بإضافة ملح الطعام.

وضع السمك والبصل والطحينة السائلة في صينية ثم نقوم بوضعها على نار هادئة حتى ينضج الطبق ولا تأكل هذه الأكلة إلا في مناسبات خاصة بعد السفر إلى طبريا السياحية وجلب السمك من باعة أسواق طبريا فهو أفضل أنواع السمك في فلسطين.

(17) عِلتْ: (هَنْدِبَةْ)

المواد:

علت . بصل يابس . زيت زيتون.

الزمن: 20 دقيقة

المقادير:

1 كلغ . بصلتين . ليمونة . ملح . فلفل أسمر . زيت زيتون

==========

كيفية الطهي:

. بعد غسل العلت بالماء البارد.. ينشر قليلاً.

ـ فرم العلت.. سلقه.. وعصره ليذهب المرار ويمكن العكس السلق ثم العصر والفرم.

. فرم البصل وقليه.. لا يغطي القدر أثناء الطهي.

ـ وضع العلت قبل احمرار البصل، تقليب، ومراقبة وعند الأكل أضيفي عصرة الليمون ويمكن تقليه البصل وإضافته للطبق بزينة جديدة ليقدم على الطاولة.

(18) عكوب محيوس (مقلي)

المواد:

ينتشر العكوب في حقول القرية في مطلع الربيع والنسوة يقمن بجمعه

كمية العكوب المناسبة . بصل . زيت الزيتون . ملح . فلفل أسمر.

المقادير:

1 كلغ عكوب . بصلتين.

الكمية تقدر حسب عدد أفراد الأسرة.

كيفية الطهي:

. تنظيف العكوب من الشوك قبل طبخه، ووضعه في الماء لكي لا يسود مع إضافة قليل من ملح الليمون.

. فرم البصل.

. قلي البصل بدون أن يتغير لونه بزيت الزيتون وما أكثر زيوت الوطن.

ـ أضيفي كمية العكوب إلى ذلك مع قليل من الماء حركي وغطي القدر حتى ينضج العكوب على نار هادئة.

(19) عكوب باللبن:

==========

المواد:

لبن . لحم غنم . عكوب . فلفل أسمر . ملح . نشا.

المقادير:

½ كلغ لحم غنم . 1 كلغ من اللبن.

كيفية الطهي:

. يضاف للبن.

. كمية الماء اللازمة + ملعقة نشاء + ملعقة ملح ثم يصفى اللبن بمصفاة ناعمة (كالمنخل) ثم يرفع على النار حتى الغليان.واستمري في التحريك حتى ينضج اللبن بعد وضعه على النار.

. بينما يوضع قي القدر الثاني بصلة وزيت عادي ثم أضيفي اللحم وفلفل أسمر وملح مع التحريك ثم أضيفي الماء حتى الغليان واجمعي بعيداً الدسم الذي يطفو ليكون المرق خالٍ من الكلسترول.

ـ وهنا يضاف اللحم والعكوب المسلوق إلى مزيج اللبن حتى ينضج المزيج.

. ويمكن أكله مع الرز أو البرغل المفلفل.

(20) فاصوليا:

المواد:

فاصوليا خضراء . لحم غنم موزات قطع . ملح . فلفل أسمر . حبات بندورة مقشرة.

المقادير:

1 كلغ فاصولياء . ½ كلغ لحم غنم موزات.

كيفية الطهي:

تأميع وتقطيع قرون الفاصولياء بعد تنسيلها، طهي اللحم مع البصل والزيت أو السمن.

==========

ـ نقوم برفع المرق على النار بإضافة ماء فوق اللحم وحب البندورة بعد تقشيره حتى يغلي وينضج، نضع قطع الفاصولياء في المرق حتى تنضج متالفة.

. ويمكن أكل هذا الطبق مع الرز المفلفل وقد سبق إعداده سابقاً.

(21) الفول الأخضر المقلي (المحيوس):

الفول الأخضر من إحدى المأكولات السريعة التي تقدم في الربيع وما أكثر ما كنا نزرع الفول وإذا ما كبرت حباته يطهى مع الرز واللحم أو مع البرغل فقط ونسميه فولية.

المواد:

1 كلغ من الفول . ثوم . بصل يابس . زيت زيتون . ملح . وفلفل أسمر. أما الكزبراء فلم تشاهد في بساتين القرية.

كيف نعد الطبخة؟

. بعد غسل قرون الفول وتنسيلها (بنزع الخيط الجانبي) تقطع.

. توضع في قدر مع فرمة البصل وزيت الزيتون تقلب.

ـ إضافة قطع الفول وتقليتها حتى تنضج. إضافة الثوم المدقوق والملح والفلفل. ونحرك ويأكل الفول بارداً أو ساخناً بالخبز (غماس).

(22) الفولية:

المواد:

1 كلغ فول (قشر وحب) ليعطي القشر اللون الأخضر للرز، الحب أكثر من القشر ولابد أن يكون القشر طرياً . رز . لحم غنم . أو بقر (قطع صغيرة).

كيف نعد الطبق؟

قلي اللحم بالزبدة أو السمن إضافة الماء حتى يغلي ثم نضيف الفول المفصفص ونقلب.

. إضافة كمية الماء إن لزم.
. غسل الرز بماء بارد وإضافته إلى ماء الفول والقيام بالتحريك.
. ينضج الطعام على نار هادئة.
. ويأكل مع اللبن.

(23) الفريكة:

إحدى المأكولات التي كانت شائعة في القرية، وقد زينت موائدنا آنذاك وما تزال معنا في الشتات.

المواد:

فريكة ا كلغ . لحم غنم أو بقر ½ كلغ . سمن أو زبدة كمية مناسبة . ملح وفلفل أسمر كمية مناسبة.

العمل لإنجاز الطبخة:

. قلي كمية اللحم بكمية سمن مناسبة.
. إضافة الماء لإنضاج اللحم على نار هادئة.. وإضافة ما لزم من ملح وفلفل أسمر.
. نأخذ الفريك بإعادة تنقيته أو غسله للتأكد من نظافته.
. إضافة كمية الفريك للماء الغالي... وبعد الغليان يرفع غطاء القدر على نار هادئة لينضج الفريك ويتناقص الماء حتى تصبح كأنها المجدرة ويزين الطبق بقلوب الصنوبر المقلي بلونه البني.

تناول الفريكة:

نضع الفريك بعد نضجه في وعاء كبير وتزين ثم يأخذ منه كمية للأكل توضع في أطباق مع اللبن فما أطيب الفريك..! الذي كان يصنع بأيدينا بالقرية ولا حاجة لشرائه من السوق. وكلما أكلنا الفريكة تذكرنا كيفية تحضيرها يدوياً في آخر الربيع ومطلع الصيف عندما تكون حبات القمح بين القساوة والطراوة تحرق على نار ثم تؤخذ السنابل وتخبط في مخابيط لكي تتبعثر منها حبات الفريكة (أو فركها يدوياً) تنقى جيداً وتحمل إلى المنزل لتكون مؤونة العام حتى الموسم القادم الفريكة من

أشهى المأكولات في بلاد الشام. وتجرش بجاروشة مازالت بانتظارنا في البيت الكبير تحت الأنقاض.

(24) كلخ:

المواد:

الكلخ . زيت الزيتون . بصلة . ملح وفلفل مناسبين.

المقادير:

كمية مناسبة من الكلخ ½ كلغ.

كيفية الطهي:

ـ خذ حبات الكلخ بعد قطعها من العرانيس حذار أن تبق شيئاً من الساق، في كرات الكلخ التي جمعتها.

. فرم البصل + زيت الزيتون(كمية مناسبة).

قلي البصلة حتى (قبيل الاحمرار) على نار هادئة وإضافة قليل من الماء مع الكلخ وحركي. ثم قومي بتغطية القدر حتى ينضج. انتظري حتى يبرد ليصبح جاهزاً للأكل وبعض العائلات تضيف إليه عدة بيضات مخفوقة على نار هادئة. أضيفي رشة الفلفل والملح مع التحريك.

(25) كوسا محشي . باذنجان محشي . فلفل محشي

المواد:

كوسا صغيرة . باذنجان بلدي صغير . رز . سجق أو زبدة . لحم غنم مفروم . معجون بندورة . أو حب بندورة طازج مقشر . ملح فلفل أسمر . قرن فلفل حار.

المقادير:

حسب العائلة كيلو من كل نوع قرون فلفل لرز المتبقي.

كيفية الطهي:

. حفر الكوسا والباذنجان بواسطة محفارة وحذار من ثقبها . إخراج البذور والقمعة من قرون الفلفل.

. غسل الرز بالماء البارد وإضافة الملح والفلفل الأسمر مزج ذلك جيداً بعد إضافة اللحم المفروم وقليل من الزبدة أو السمن.

ـ حشي حبات الكوسا والباذنجان حذار من ملئها لكي لا تنفزر بعد انتفاخها ويمكن حشي الفلفل.

. وضع المرق على النار بإضافة معجون الطماطم للماء الغالي أو حبات البندورة الطازجة المقشرة وقرن الفلفل الحار.

ـ وبعد الغلي المستمر توضع حبات الكوسا والباذنجان بعد معالجتها بالحشي والملأ.

. وبعد أن يغلي جيداً وينضج تهدأ النار ويمكن إضافة (نعنع ناعم وقليل من الثوم) حسب الرغبة.

. وبعد مدة تخرج حبات الكوسا والباذنجان وتوضعان في جاطات خاصة.

. ويصب المرق في زبادي لحين الاستعمال.

(26) الكبة (ولها أنواع عديدة):

المواد:

1 كلم لحم عجل ناعم + بصل + صنوبر + ملح + مردأوش+ فلفل أسمر + كمون + فلفل حار أحمر + لحم غنم مفروم للحشوة+ زيت زيتون.

المقادير:

1 كلغ لحم عجل ناعم . ½ غنم مفروم . ½ كلغ من البصل.

كيفية الطهي:

وهي أنواع (النية . والمقلية . والصونية . والأرنبية).

ـ يتم طهي الحشوة بزيت الزيتون والبصل المفروم واللحم المفروم وحبات الصنوبر التي تضاف بعد تحميرها بالسمن.

الكبة النية:

وما زال الجرن الحجري ينتظر عودتنا، فهو أمام بيت العيلة.

. وضع البرغل في (لجن أو دبسية) رشة بالماء لينفش حسب الرغبة.

. إضافة الملح والمردأوش والكمون وأنواع الفلفل الحار.
. مزج ذلك مع البرغل وبعد ذلك نضيف اللحم الناعم الذي دق بالجرن.
. وعجن الكبة النية بإضافة رشات ماء متتالية مع الجبل ثم نتقيها بالسكين لنخرج العروق.
ـ توزع الكمية على صحون وتأكل مع الحشوة أو زيت زيتون إنها كبة السموعي المفضلة ترى على موائد القرية.

(27) الكبة المقلية:

المواد:

كبة نية . حشوة . زيت عادي للقلي . زيت زيتون.

طريقة الطهي:

الكبة المحشية بجبل . الكبة النية بنفس الطريقة السباقة المحضرة . أو استعمال ما تبقى منها على الغداء مثلاً

كيفية العمل:

. عجن الكمية مع قليل من الدقيق نقسم إلى قطع صغيرة دائرية.
. نقوم بصنع الكمية المناسبة بتحويلها إلى كرات مجوفة طويلة لا دائرية.
ـ تحشى بالحشوة وهكذا دواليك حتى الأواديس وقد تضعين أقراصاً بدون حشوة.
. تسخين زيت القلي، القيام بقلي الكبة حتى تحمر بنيّة كجناح الدبور.

(28) الكبة بالصينية:

أما الكبة بالصينية:

ـ نضع كمية من الكبة النية في صينية بعد مسحها بزيت الزيتون نقوم بمدها على أن لا تكون سميكة ولا رقيقة لكي لا تحترق بمساعدة الماء الذي نبلل به اليدين.
. نضيف الحشوة المعدة سابقاً فوق الصينية الأولى.

==========

ـ ثم نضع كمية من الكبة النية بشكل أقراص ونمدها فوق طبقة الحشوة بنفس سمك الطبقة الأولى. ثم تُقطع بشكل مربعات.

. نضيف كمية زيت الزيتون فوق الصينية.

. ثم توضع بالفرن حتى تحمر وتصبح جاهزة للآكلين.

(29) الكبة الأرنبية:

. نصنع من الكبة النية كرات صغيرة مجوفة وتملأ.

. بالحشوة التي سبق إعدادها وتقفل فتصبح بشكل دائري.

ـ يطبخ اللبن على النار بنفس الطريقة السابقة للفقاعية وعند الغلي تقومين:

ـ تسقيط الكبة الأرنبية باللبن بِلُطفٍ وننتظر حتى تنضج بدون تحريك مستمر.

(30) الكبة الكذابة (كبة تحيلي):

المواد:

برغل ناعم . فلفل أسمر . ملح كمون . حمص مقشر . بصل مفروم . ماء وسماق.

طريقة الطهي:

الحشوة:

. سلق الحمص بعد قشره وكسره إلى فلقتين.

. فرم البصل وإضافة زيت الزيتون وقبل احمراره نضيف الحمص الناضج سلفاً لمزيج بإضافة الفلفل الأسمر والملح فتصبح الحشوة جاهزة.

. نطهي الكبة الكذابة (بدون لحم).

. مزج البرغل والكمون والملح.

ـ نضع مرق من السماء بوضع الماء والملح والفلفل والسماء يغلي حتى يصبح المذاق حامضاً.

. نقوم بصنع كرات فارغة نملؤها بالحشوة ونقفلها وتكون دائرية أو طويلة وهكذا دواليك وإذا بقى شيء من الكبة ولم يبق من الحشوة نصنع منها كرات صغيرة تسمى (زقاليط) أو نصنع أقراصاً إن شئنا.

. وعندما يصبح المرق جاهزاً نضيف كميات الكبة الكذابة إلى المرق بعد غليانه وتنتظر حتى ينضج الطعام على نار هادئة.

(31) لحمة بالصحن:

واحدة من المأكولات السريعة تطهى على عجل:

المواد:

لحم ناعم غنم أو بقر . ملح أو فلفل أسمر . (بقدونس ناعم) حسب الرغبة . بصل ناعم مفروم.

العمل لإنجاز الطبخة:

. مزج اللحم مع البصل الناعم والفلفل الأسمر مع قليل من الماء.

ـ مد اللحم في صينية (دبسية) واستعمال اليد في دهنها بقليل من الزيت أو الماء لتمتد بالتساوي. ثم نلجأ إلى تقسيمها بشكل فني بتزينها بواسطة شرائح من البندورة (طماطم) أو حبات الجارنك كما يفعل الدمشقيون في مطلع الصيف بعد نزول الجارنك.

ـ وضع الصينية بالفرن بعد تحميته.. ويحدد الوقت حسب كمية اللحم وكبر الصينية.

. تناول اللحمة بالصحن.

تقدم خدمات التوزيع من قبل الأم بوضع قطعة مناسبة في كل صحن ويمكن تناوله مع الرز كما يفعل المغتربون هنا.

(32) لسان الثور:

المواد:

لسان الثور . رز مغسول بماء بارد . لحم أو بدون لحم . ملح . فلفل أسمر.

المقادير:

كمية مناسبة.

كيفية الطهي:

. سلق لسان الثور وعند السلق نتذكر القرية وأكلاتها الشعبية.
. تكوين خلطة الرز مع اللحم الضان بإضافة ما يكفي من الملح والفلفل الأسمر والكمون أو بدون لحم حسب الرغبة.
. نشر الأوراق مفتوحة على الطاولة.
. وضع الرز الكافي على ورقة.
. لفها بشكل جيد... ويتابع العمل.
. ووضع الضلوع في القدر وصف ما لف في القدر.
. وضع ثقالة وإضافة الماء اللازم.
. رفع القدر على النار.. حتى يغلي .
. خفض حرارة النار.. حتى تنضج الطبخة.

(33) المجدرة:

المواد:

برغل . أو رز . ملح كمية مناسبة . بصل 5 بصلات متوسطة . عدس . ماء . زيت زيتون . (وزيتون أخضر أو سلطة أو مخلل . فجل كمقبلات).

المقادير:

1 كلغ.

كيفية الطهي:

. يغلى الماء ثم يضاف أليه العدس. وقبل نضجه بقليل يضاف الرز أو البرغل.
. تحريك ذلك مع كمية الملح اللازمة (ملعقة صغيرة).
. وهكذا حتى ينضج على نار هادئة بعد الغلي.

بَينما يقلي البصل بزيت الزيتون ويصبح اللون كجناح الدبور وبعد احمراره أضيفي كل ذلك فوق قدر المجدرة ثم تابعي ذلك بالتحريك حتى يتبخر

بملعقة خشبية وتنضج المجردة على نار هادئة حتى تتنبت أي لا يبق ماء ما عدا لمعة زيت الزيتون.

(34) المخلوطة:

المواد:

فول مصري مقشر . والبعض يضيف حبوب أخرى حسب الرغبة . بصل . زيت الزيتون . ماء كافٍ لإنضاج الفول . ملح وفلفل أسمر .

المقادير:

1 كلغ من حبوب مختلفة.

كيفية الطهي:

. رفع القدر على نار عالية ووضع كمية الماء اللازمة لسلق حبات الفول الصفراء النظيفة حتى ينضج وإذا رغبت بإضافة حبوب أخرى (قمح+عدس أصفر) قومي بذلك في البداية تنضج جميع الحبوب معاً.

ـ في وقت واحد أما الفول أو الحمص فيتأخران لذا نضع من ينضج متأخراً في البداية وبعد وقت نضيف بقية عناصر الطبخة + كمية الملح اللازمة وعندما تنضج المخلوطة.

ـ تقلية البصل بزيت الزيتون الكافي يرفع على النار بإضافة ذلك للمخلوطة مع بذل الحذر عند الإضافة بهدوء لأن إضافة (الأفرة) تخرج صوتاً متبوعاً برذاذ ساخن يخشى من حرق يديك لا سمح الله.

(35) المقلوبة:

من الأكلات الفاخرة نظراً لكثرة الباذنجان في بساتين القرية في موسمه.

المواد:

باذنجان عجمي 1.5 كلغ . رز 1 كلغ . زيت للقلي . ملح فلفل أسمر كمية مناسبة . لحم غنم أو بقر 1 كلغ . صنوبر .

كيف نعد الطبخة؟

. تقشير الباذنجان العجمي أو بيض العجل وقليه بزيت عادي.

. سلق اللحم.
. غسل الرز بالماء البارد.
ـ وضع طبقة من الرز وأخرى من الباذنجان المقلي (وترك كمية مناسبة لتزيين الأطباق) من الباذنجان وإضافة كمية الماء اللازمة.
. طهي الطعام وبعد الغليان نخفض درجة الحرارة.

كيف يقدم الطعام:

قلب القدر في صدر ويوزع على أطباق الآكلين نقوم بوضع كمية من الباذنجان والصنوبر في زبدية ملئها بالرز، وقلبها في صحن واسع وتأكل المقلوبة مع اللبن.

(36) ملفوف:

المواد:

رأس كبير من الملفوف . لحم مفروم . زبدة . الرز . فلفل أسمر وكمون . ملح .

المقادير :

كمية مناسبة حسب العائلة.

كيفية الطهي:

. نغلي الماء على النار.
. نفك أوراق الملفوف.
. سلق الأوراق لثوانٍ.
ـ تكوين الحشوة من الرز المغسول بالماء البارد ونضيف الملح والفلفل الأسمر اللازمين وكمية كافية من الكمون ثم اللحم المفروم وكمية من الزبدة. ويتم اللف بالطريقة الآتية:
ـ تقومين بفتح ورقة الملفوف ووضع كمية من الحشوة اللازمة ولفها.. ووضع تلك اللفائف في قدر تصف فوق ضلوع الملفوف التي وضعت في القدر وكانت أول طبقة .. وبعد الانتهاء من اللف نقوم بإضافة كمية من

الماء في القدر حتى تصل نسبته فوق اللفائف ونضع في القدر ثقالة من الفخار أو نحوها.

. يوضع القدر على النار حتى درجة الغليان مع المراقبة بوضع الثقالة.

. وقبل موعد النضج يبقى القدر على نار هادئة.

. ثم يذاق فإن نضج الرز والورق انتهت المهمة بعد إضافة الثوم المدقوق والحامض بقدر كأس منه.

وهناك طريقة سريعة بعد قلي اللحمة بالزبدة نضيف الماء والبهارات اللازمة الغليان (ويكون الماء قيل) نقص رأس الملفوف بعد غسله إلى شرائح صغيرة ثم نضيفها إلى الطبخة. واحسبي حساب الماء لأن الملفوف يطلق الماء وهي طريقة مختصرة غير قائمة على اللف وانتظري حتى ينضج وهذه الطريقة للنساء العاملات.

(37) المنسف:

المواد:

رز . لبن . خاروف كامل . سمن لقلي الخروف . خبز شراك مليوح (ساج).

المقادير:

3 أرغفة.

كيفية الطهي:

. طبخ الرز بنفس الطريقة التي سبق شرحها لك بدون شعيرية.

. طبخ اللبن بنفس الطريقة السابقة.

. قلي الخاروف بشكل جيد من كل الجوانب.

ـ وضع الخاروف في اللبن ويترك بغلي على نار هادئة حتى ينضج اللحم.

تكوين المنسف:

. وضع خبز الساج المقطع على المنسف ويسقى بالمرق وكمية من اللبن الذي صار (شاكرية) أو ما يُسمى عندنا (فقاعية).

. وضع الرز بعد أن نضج فوق الخبز ويفرش جيداً.

. وضع كمية من الفقاعية ثم نفرش الرز.
. وضع اللحم على القمة بالصّدر ويعلوها الرأس.
ـ إضافة كمية من الفقاعية والسمن إن لزم للبعض ويأكل من الصدر مباشرة، أو بتوزيع الطعام على أطباق الآكلين.

(38) منزلة باذنجان (الكذابة):

المواد:

1 كلغ باذنجان . رأسين بصل . ملح طعام . قرنا فلفل حار.

كيف نعمل منزلة الباذنجان:

. تقشير الطماطم الحب . أو وضع معجون الطماطم.
. تقوم بقلي الباذنجان (ويتم التقشير حسب الرغبة).
. قلي البصلة قليلاً.
. وضع الباذنجان والبصل في دبسية (صينية).
. وضع قرون الفلفل كما هي بدون فتح.
. وضع الصينية بالفرن حتى تنضج.
. ويمكن القيام بالطبخ على الموقد مع التحريك القليل بملعقة من الخشب,
. وتقدم مع طبق من الرز.

(39) منزلة كوسا:

المواد:

1 كلغ من الكوسا . 1 كلغ بندورة . قرنا فلفل حار . رأسا بصل.

كيفية العمل:

. تقطيع الكوسا بعد غسلها قطع صغيرة.
. تقشير الطماطم وتقطيعها.
. أجنحة البصل تقلى قليلاً.
. وضع قطع الكوسا والبندورة والبصل.
. إضافة الملح والفلفل الأسمر حسب الطلب.

==========

. طهي الطعام وقبل أن يتم النضج نضع قرنا الفلفل ليعطي الطعام نكهة خاصة بدون فتحهما.

(40) ورق عنب:

المواد:

رز مغسول بماء بارد . لحم غنم مفروم . فلفل أسمر وملح . شرحات لحم عجل أو قشطاط أو ضلوع من صدر الخروف (كوكليت) . ثوم وحامض أو عصايص.

المقادير:

كمية مناسبة حسب العائلة.

كيفية الطهي:

. تكون الحشوة بنفس الطريقة السابقة.
. فإن كان ورق العنب طازج قمنا بسلقه قليلاً.
. وإن كان مَعلباً بغسله بماء بارد وتقطيع (ضلوعة).
. تصف الأوراق بعد فتحها على الطاولة ثم نضع فوقها كمية الحشوة ولفها وتصف في القدر المعد وتحوي قطع طماطم وبين الصفوف نضع شرائح اللحم أو ما شابهها كالكوكليت (ضلوع من الصدر).
. ثم ثقلي بثقالة الفخار وأضيفي الماء اللازم وارفعي القدر على الموقد.
. وقبل نضج الطبخة نضع لها فنجانا من الحامض والثوم.

(41) المفتول:

من أطباق الشتاء. قد يكون لها جذور مغربية أو فلسطينية وخاصة من الجزائر. نتيجة للاحتكاك بعد وصول الأمير عبد القادر الجزائري ومن معه إلى الشام من أشقاء الجالية الجزائرية.

ـ أصبح المفتول يباع جاهزاً في علبة، تخفيفاً على سيدة البيت وهناك الطريقة التقليدية. وإليك تفاصيلها.

المواد:

برغل ناعم . دقيق (طحين) . ملح مناسب . فلفل أسمر . لحم غنم أو عجل أو دجاج . بصل يابس صغير . حمص.

الكمية:

½ كلغ برغل (يَنمبش البرغل . ببخة ماء) . كمية مناسبة للطبخة (حوالي ¼ كلغ مثلاً أو أقل) . لحم 1½ كلغ من لحم الغنم أو العجل أو الدجاج . ½ كلغ حمص.

العمل لإنجاز الطبخة:

. بل الحمص بيوم سابق . غسله ووضعه في قدر مع الماء المناسب لغليه في اليوم الثاني.

. قلي حبات البصل المقشر بشكل كرات في مقلاة متوسطة الحجم.

. تقليه اللحم بعد وضعه في المقلاة.

. ثم تقلية البصل على جنين.

ـ إضافة اللحم والبصل إلى قدر الحمص، وإضافة الملح والفلفل الأسمر وتهدئة النار.

ـ وضع حفنة من البرغل المنمش في لجن واسع (من الخشب على الطريقة الجزائرية) أو من النحاس مع رشة ملح مناسبة.

. رش البرغل برشة ماء ثم رش البرغل بالطحين رشة خفيفة.

ـ ثم تقومين بفتح اليدين ووضعها فوق البرغل والطحين والقيام بالفتل إعادة الرش بالماء والطحين مع الفتل حتى تصبح حبات المفتول متساوية الحجم.. بعد الانتهاء من عملية الفتل خذي الحب المتساوي الحجم. وضعيه في مصفاة كبيرة.. وهكذا تكرر العملية حتى تتم عملية الفتل.. وحبة المفتول تكون أكبر من حبة العدس وأصغر من حبة الحمص.

. وضع المصفاة على القدر وسدها على الجانبين إما بعجين أو بقطعة قماش والعودة إلى الفتل والفتل هو تلبيس حبة البرغل بثوب من العجين.

. وعندما يخرج البخار من بين مسامات المفتول وتتحققين من قرب نضجها.

ـ ضعي المفتول في لجن كبير وأضيفي إليه الماء البارد مع الغسل لكل بياض تركه الدقيق. إعادة المفتول إلى المصفاة بعد إضافة كمية قليلة من

الزبدة رفع المصفاة على النار من جديد حتى يتبخر المفتول أضيفي الماء إن لزم.

تناول المفتول:

. وضع كمية المفتول في دبسية، إضافة المرق بما حوى من بصل ولحم وحمص.

. ويمكن تناول الطعام مباشرة من الدبسية كما يفعل أهل الجزائر.

. أو توزع على صحون حسب الحاجة.

==========

الفطاير والمناقيش

(1) مناقيش:

وهي من المأكولات السريعة. .. وفطور الصباح غالباً ومنها نوعان عرفتهما فريتنا مناقيش بالزعتر ومناقيش بالبطم وقد كانت حقولنا غنية بنبات الزعتر وبأشجار البطم... أما كيف يصنع الزعتر وبعد البطم فلذلك طرق خاصة به.

(2) مناقيش البطم:

والبطم في قريتنا يحتل مساحات واسعة في جبالنا وعلى سفوحها ويعتبر البطن والفستق الحلبي من نفس الفصيلة. حبات البطم كحبات الفلفل الأسمر لكنها ملونة وتحضر عجينتها بنفس الطريقة السابقة ويوضع على العجينة حبات البطم الملونة وتدخل إلى الفرن لخبزها حتى تصبح مقرقشة ويمكن تذوقها في أي وقت في النهار خاصة في أمسيات السهرات العائلية.

وما زلت أتذكر قرقشتها فهي ما زالت تسكن في آذاني وقد هاجرت معنا وما أجمل أن تعود إليها إذا ما شدك الحنين إلى الوطن.

(3) مناقيش الزعتر:

المواد:

دقيق 1 كلغ . ملح . ماء . زيت زيتون كمية مناسبة . زعتر: منه نوعان حلبي وفلسطيني.

==========

كيف نعد العجينة:

ـ نأخذ الطحين ونضيف إليه كمية الملح والماء اللازمين ونقوم بعملية العجن بعد إذابة الخميرة وخلط المزيج جيداً وعجنه.

. يترك ليتخمر ... بينما نعد زيت الزيتون والزعتر.

. يقطع العجين إلى قطع صغير.

ـ بواسطة الشوبك نمد قطعة العجين لتصبح دائرية الشكل ليست سميكة ولا هي رقيقة.

. نقوم بوضع خلطة زيت والزعتر على قطعة العجين.

ـ ووضعها بالفرن الخاص لخبزها حتى تنضج نتأكد أنها ليست طرية ولا هي يابسة.

(4) مناقيش فلفل:

المواد:

دقيق 1 كلغ . ملح كمية مناسبة . خميرة كمية مناسبة . فلفل أحمر وحلو وحار وبصل وفلفل أحمر كمية مناسبة.

كيف نعد المناقيش:

. القيام بعجن الطحين حسب الأصول المرعية سابقاً (طحين وماء وخميرة) وإضافة الملح.

. تقسيم العجينة إلى كتل صغيرة ثم مدها (رقها).

. تكوين حشوة المناقيش.

. غسل الفلفل وتقطيعه صغيراً.

. تقطيع البصل ناعم جداً.

. خلط الحشوة بعد إضافة الملح اللازم.

. وضع الحشوة على الأقراص الصغير ووضعها في صواني.

. خبز مناقيش الفلفل ويستحسن تقدها بين الفينة والأخرى لكي لا تبس أو تحترق وحتى ولا تبق عجيناً.

==========

(5) مناقيش السبانخ:

وتتم بنفس الطريقة السباقة.

- فرم السبانخ وإضافة، بصل مفروم فلفل أسمر وملح وعصرة حامض وقرن فلفل حار.
- نقطع العجين إلى قطع صغيرة مناسبة ثم يمد ويحشى حسب الشكل المرغوب.
- ثم يخبز.

(6) مناقيش الحميض:

وتتم بنفس الطريقة السابقة.

- يغسل الحميض ويفرم وإضافة فرمة البصل وما لزم من ملح وعصرة ليمون وقرن حار من الفلفل.

وتتم بقية الطريقة حسب ما تم في مناقيش السبانخ (فطاير).

==========

الزنكل والفطائر

(1) الزنكل (الزنغل):

وهي واسعة الانتشار في الديار الفلسطينية وخاصة في البيوت القروية وهي تصنع من نفس العجينة بأخذ قطعة عجين تمددها الأم بيدها ربما بمساعدة بل اليد بالماء ثم تملأ حشوة (من لحم الغنم الناعم وبصلة) فتحشى العجينة وتغلق ثم تلقى في الزيت العادي الساخن حتى تحمر كجناح الدبور وتأكل ساخنة من أفضل الأنواع في عالم الزنكل. ولست أدري من أين جاء الاسم فهي لا تأكل بالقطر.

(2) الفطاير بالعجين:

وهي قطعة عجين تمدد باليدين وتوسع قليلاً وتلقى في الزيت الساخن لنأخذ نصيبها من القلي. وهكذا دواليك وهذا النوع قليل الانتشار بقريتنا واسع الانتشار في المغرب العربي وخاصة ما بين الجزائر وتونس حتى إن البعض بل الكل يسميها (فطاير) أي فطائر تونسية ولكن بدون حشوة.

وهي ما يؤكل عند أهل المغرب صباحاً قبل الشروع بالعمل لدى الديار المغربية ولا تأكل بالقطر. وإني أعتبر أن المطبخ الدمشقي فاقت شهرته الآفاق، ولا يشق له غبار بشهادة أهالي الديار العربية ومن ذاق المأكولات الشرقية من أهالي البلاد الغربية.

وفي الختام إلى كل أم وقد قدمنا لها نماذج من مطبخ إحدى القرى الفلسطينية ونرجو لها الموفقية في تلك الجولة عبر أروقة إحدى المطابخ العربية بأسمائها التي عرفت بها في العقد الرابع من القرن العشرين.

وهو عكاز لها في جولتها المهاجرية... انتظاراً لعودة حقها بالعودة إلى فلسطين فهذه ثقافتنا فيجب أن نحافظ عليها لأنها نموذج من فلكلورنا لأنه جزء من شخصيتنا إلى فلسطين العربية الفلسطينية.

==========

حلويات أمسيات السموعي

(1) البحتة (رز بحليب):

وهي من المأكولات الشائعة الانتشار على موائد أهل السموعي نظراً لوفرة الحليب الذي لا يخل من وجوده ببيت في القرية وقد يكون حليب من الغنم، أو الماعز، أو البقر.

المواد:

حليب 1 كلغ . سكر حسب الرغبة . رز ونشاء 4/1 كلغ من الرز حسب عدد أفراد العائلة.

كيف تعد الأم السموعية البحتة؟

. يغلى الحليب على نار هادئة حتى لا يحترق.
. وبعد الغليان يضاف الرز بعد غسله بماء بارد كمية الرز قليلة مناسبة.
. القيام بالتحريك حتى لا يلتصق الرز في قاع القدر.
. وبعد أن ينضج الرز فيصبح طرياً نضيف له كمية السكر ونحرك.
. تذويب كمية النشاء في كأسٍ وتضاف للقدر مع تكرار التحريك حتى يصبح المزيج ثقيلاً متماسكاً غير سائل.
. يصب الرز بالحليب في زبادي صينية. ويضاف لزبادي كمية من المكسرات (من لوز أو جوز أو فستق حلبي) لتزويقها وهي طريقة دمشقية في التزيين.

(2) اللزائيات:

وقد وجدت طريقها إلى موائدنا في المساء وتؤكل ساخنة حلوة.

==========

المواد:

عجين . سكر لصناعة القطر السكري: 3 كؤوس من الماء وكأس ونصف من السكر (حسب الرغبة) تغلى وأبعاد ما علاها من طبقة.

كيف تعد الأكلة؟

. يكون العجين طرياً. نقوم بوضع حفنة منه على الساج ثم نمدها حتى تنضج ثم تقلب لتنضج. وتوضع الأرغفة بعضها فوق بعض.
. ثم تقسم إلى مربعات.
. نغرق بقطر السكر والزيت أو السمن حسب الرغبة.
ثم تقدم للآكلين.

(3) مِهَلَّبِيَّهْ بالحليب:

المقادير:

حليب 3 كؤوس . نشاء 3 ملاعق . سكر (حسب الرغبة).

كيف تعد المهلبية؟

. وضع الحليب على نار هادئة لكي لا يحترق.
. وضع 3 ملاعق من النشا في وعاء وتذويبه بكمية من الماء أو الحليب تذويباً كاملاً مع التحريك المستمر.
ـ إضافة ذلك إلى الحليب مع استمرار التحريك حتى يفور ليصبح جاهزاً بإضافة كمية السكر حتى الذوبان.
. تصب المهلبية في زبادي.
. وتقدم لأفراد الأسرة باردة من البراد.

(4) مهلبية بالبرتقال:

الكمية:

عصير برتقال 3 كؤوس . نشاء 3 ملاعق . حليب كأسين . سكر كمية مناسبة.

كيف نعد مهلبية البرتقال؟

ـ يغلى الحليب على نار هادئة ونصنع منه مهلبية الحليب حسب الطريقة السابقة.
. يغلى عصير البرتقال على النار.

. إضافة كمية من الحليب إلى النشاء ليذوب جيداً.
ـ ملعقتان من السكر وتضافان لعصير البرتقال المغلي مع التحريك الجيد المستمر.

الإعداد الثاني:

. صب مهلبية الحليب وتركها لتبرد قليلاً.
. ثم نصب فوقها بهدوء بعد قليل مهلبية البرتقال.
وبعدها انظر إلى هاتين الطبقتين أصفر على أبيض إنها مهلبية البرتقال بالحليب معاً دون أن يختلطا.
. تصب في زبادي عندما تقدم لأفراد العائلة أو تصب مباشرة بالزبادي.

(5) بغارير:

ومن أدواتها طاجين وغطاء له.
ومن أدواتها عجين لزج، يخبز. ويصب عليه القطر (وهو سكر سائل مغلي مدد بالماء).
ـ هي نوع آخر من الحلويات التي شاعت في ضيعتنا وتتكون من عجين مع الخميرة. وعجينة البغارير غير سميكة بل تمتد من بين الأصابع بسرعة. وتخبز على طاجين خاص لهذا الغرض.
. يحمى الطاجين، ثم يمسح بقطعة قماش مبللة بسمن أو زيت صب على الطاجين كميات متساوية من عجين البغارير ثم نغطي بطربوش خاص ملحق بالطاجين وقد صنع من الفخار وبعد دقيقة يكشف عن البغارير برفع الغطاء ونرفع القرص الأول لنتحقق فإن كان محمراً أي بني فإنه ناضج.
. وتأكل البغارير مع القطر.
. وأما إذا حشيت بالجوز أو اللوز بإعداد الحشوة من كل نوع أو منهما معاً مع إضافة قليل من السكر والقرفة. فصارت قطائف وتأكل مع القطر.
. وإن بقي من العجين وقلينا ذلك العجين بأشكال مختلفة.
. من أنواع القطائف ما يحشى بالشمندور (اللبة) وهو أفضل الأنواع عندي ومن العائلات ما تجعل البغارير صغيرة مسحت بشيء من الشمندور صار اسمها عند الدمشقيين قطايف عصافيري.

- فإن قلي كريات صغيرة تكون بملعقة صغيرة بشكل جسراً بين وعاء العجينة والمقلي تسمى في هذه الحالة عوامة لأنها كرات تعوم فوق الزيت. وتسمى في مصر لقمة القاضي.
- وأما إذا صنعنا منها عند القلي أشكالاً كأنها دائرية أو شبابيكاً متصلة ببعضها مفرغة كالقصب بدت لنظارين عند أهل الشام (مشبكاً) وعند أهل المغرب العربي زلابية وخاصة في الجزائر البيضاء وتونس الخضراء وأكبر ظني أن هذا النوع من الزلابية قد أتى من الجناح الشرقي للبلاد العربية من بلاد فارس التي تعرف في زماننا بـ(إيران) وقد وصفها ابن الرومي في أشعاره فعد للأبيات فإذا ما قرأتها سال لعابك . رعاك الله . وبعدها عد إلى صانعها كما يسميه أشقاؤنا التوانسة (الفطايري).
. وأما ما عرف في قريتنا فهي البغارير والعوامة فقط حسب ما بقي في ذاكرتي من ذكريات من أواخر 1948 عام النكبة.

(6) بسيسة:

. هي أكلة صباحية عندما كانت الأم تنتهي من الخبز على الصاج.
. تأخذ ما تبقى من عجين وتصنع منه قطعاً وتضعها سميكة على الصاج ثم تقلب بسرعة على الوجه الثاني.
. نفتت الأم قطعة الطلامي صغيرة، ثم تضيف إليها سمناً أو زيت زيتون وسكراً وتمزج ذلك ثم تقدم للآكلين وخاصة أيام الشتاء لتعطي للجسم حرارة وتبقيه دافئاً.
. وهي أكلة محبوبة لدى كبار السن ممن فقدوا أسنانهم لسبب أو لآخر.

(7) المُجَمَّرة:

ونعد بنفس طريقة الرز بحليب.
وتصبها الأم في صينية (دبسية) وتزين بفلقات من اللوز اليابس وتوضع على نار هادئة حتى يتبخر سطحها وجوانبها حتى تجف.
ويمكن تقسيمها إلى مربعات ليسهل على سيدة البيت من توزيعها على أفراد الأسرة.

(8) كعك العيد

وهو من حلويات عيد الفطر السعيد، بعد انتهاء شهر رمضان المبارك. أما عيد الأضحى، وفيه يقوم الحجاج بأداء فريضة الحج لمن استطاع إليه سبيلاً، وفيه تذبح الأضاحي التي تذكرنا بمنام إبراهيم عليه السلام، وابنه إسماعيل الذي استجاب لرغبة والده في ذبحه وسوف يكون صابراً، ولما هم بذلك فداه الله بكبش... وأما الأطفال في العيدين، فهم ينتظرون بفارغ الصبر بدلة العيد الجديدة، وخرجية العيد. بينما الأمهات فأنهن ينهمكن بصناعة حلويات العيد لكي تتوج الفرحة أما خبز العيد فله لون وطعم آخر.

*** خبز العيد:**

. المواد: 1 كلغ من الدقيق
. زيت الزيتون: وما أكثره بعد موسم جني الزيتون وعصره (كمية مناسبة 200 غ)
. كمية من السمسم وحبة البركة والخميرة

*** كيفية العجن والخبز:**

يعجن الدقيق بعد إضافة كمية الماء اللازمة ثم تضاف الخميرة بعد تذويبها بقليل من الماء ثم يضاف زيت الزيتون وتقوم عملية التبسيس ثم توضع كتل العجين على قالب خاص وتمدد فتأخذ شكل القالب استدارة ونقوشاً.
وإذا ما انتهت من ذلك قامت فخبزت رغيفاً بعد آخر من الطاجن إلى الفرن وينضج خبز العيد بلونه البني الذي يحافظ على طراوته ويرى على مائدة العيد عند الصباح فطوراً.

*** كعك العيد:**

وله قوالب وأشكال منها سبموسك، فطائر، ومقروطة.. ويصنع من الدقيق، ومدقوق (مهروس) التمر وفيه يتجلى تعاون أفراد الأسرة، والجارات.

*** المواد اللازمة:**

. 1.5 كلغ من الدقيق أو أكثر (حسب عدد أفراد العائلة)
. ½ كلغ من السكر الناعم

==========

. كمية سمن وزيت نباتي
. حوايج من (كمية مناسبة من الشمر، قرنفل، سمسم) خميرة

* كيفية الصنع:

. تذوب الخميرة في قليل من الماء وتضاف إلى الدقيق.
. يخلط الدقيق بالزيت والسمسم ويمزج جيداً.
. تصبح العجينة جاهزة بعد أن تكون قد حضرنا التمر.

* كيفية عجن التمر.. كمية مناسبة

. ينظف ثم يمزج بزيت الزيتون، ويصبح جاهزاً للحشي.
- نضع الرقائق من العجين بواسطة الشوبك فتتحول إلى دوائر جاهزة ليوضع عليها كمية مناسبة من التمر الجاهز للحشي.
- وبفضل الأيدي الماهرة للأمهات السموعيات تتحول تلك الأقمار إلى أشكال كالفطائر (بشكل مثلث) بطي جزء منها وطي الجزأين الآخرين فترى الشكل بسرعة بفضل تلك الأنامل مثلثات وتمسح الصواني بالزيت ثم تصف المثلثات وتجد طريقها إلى الفرن لخبزها وتبقى عين الأم يقظة.
. أما الشكل الثاني فهو السمبوسك بطي قطر الدائرة على الجزء الثاني المكافئ ويترك على محيط نصف الدائرة نقوشاً تثنى برؤوس الأنامل وتأخذ طريقها إلى الصدر الذي يستقر بالفرن حتى تنضج.
- أما النوع الثالث فهي مقروطة ويتجلى ذلك بعد مد العجين بشكل مستطيل عرضه قليل يوضع التمر عليه ثم نضع فوقه مستطيل آخر من العجين وبعد ذلك نقوم بقصها بشكل تخرج القطع وكأنها متوازي المستطيلات بعد أحكام سدها ثم نوضع على الصواني وندخل الفرن وتقوم الأم السموعية بتقليب القطع حتى تنضج لتجد طريقها على موائد الضيوف صباح العيد بعد أداء صلاة العيد ويطوف القوم على دور القرية للقيام بواجب التهنئة بالعيد.

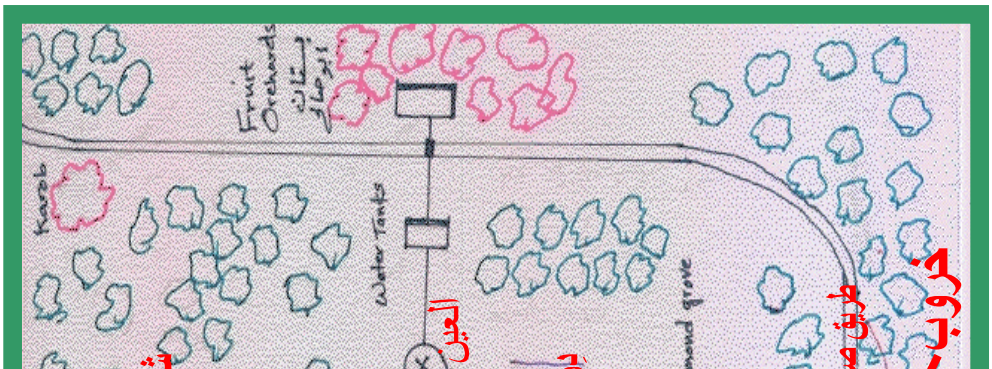

==========

ش.غ.
سوريا
كرم حمرة
المغيرة
وادي ميرون
جور ميرون
الديدبة
Enlarged area page no.